شرح السنة للإمام البربهارى رحمه الله

(-252*233 - 329 هـ)

عبد الله الغليفى

رحمه الله

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد

فالحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلاله وعظمته على أن وفقنا ويسر لنا إقامة هذه الدورة العلمية السابعة ،وهى ضمن سلسلة الدورات العلمية في شرح كتب التوحيد والسنة في عامها الثانى على التوالي في مدينة استنبول بتركيا ،أسأل الله الصدق والإخلاص والقبول ، وأن يجعل هذه المجالس العلمية مشاعل نور وهداية وثبات على طريق الحق طريق أهل السنة والجماعة ،وأن يجعلنا من الفرقة الناجية والطائفة المنصورة التي لا يضرها من خزلها إلى يوم القيامة ،واستكمالاً لما تم شرحه من كتب التوحيد السنة في الدورات الست السالفة وعددها **(أربعون كتاباً)**في العقيدة والسيرة والتفسير والجهاد والحديث والسياسة الشرعية والأخلاق والزهد والتربية والتزكية وعلوم القرأن وأداب الطلب نبدأ هذه الدورة بتوفيق الله وإعانته بشرح كتاب السنة للإمام البربهارى – رحمه الله- حتى تلحق بأخواتها ،السنة للإمام الحميدي ، والسنة للإمام المزنى ، والسنة للإمام أحمد ، وصريح السنة للإمام الطبرى ،نسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارؤها وشارحها وطالبها وناشرها ،وكل من ساهم في نشر التوحيد والسنة ،ومما يميز هذه الرسالة أنها كسابقيها كتبت في القرون الثلاثة المفضلة التي زكاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ومؤلفها حديث عهد بعصر الإمام أحمد وتربى على أخص تلامذته ،كما سيأتي في ترجمته لا حقاً ، رحم الله الجميع فنسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح ،وأن يجعلنا وإياكم من الأدلاء عليه سبحانه وممن يربط قلوب العباد به سبحانه ،ونسأله أن يجعلنا من أنصار دينه وسنة نبيه وعباده المسلمين المؤمنين المجاهدين ،وأن يرزقنا الستر والعافية وحسن الخاتمة ،وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الله الغليفى

ترجمة الإمام البربهارى رحمه الله

البربهاري أبو محمد الحسن بن علي بن خلف شيخ الحنابلة، القدوة، الإمام، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ، الفقيه. نسبة إلى (البربهار) وهي أدوية كانت تجلب من الهند ويقال لجالبها البربهاري، ولعلها ما يسمى اليوم بالبهارات

كان قوالا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم. كان شديد الإنكار على أهل البدع، بيده ولسانه.

صحب أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز المروذي المقدم من أصحاب الإمام أحمد لورعه وفضله مات سنة 275 ، وصحب سهل بن عبد الله التستري. أبو محمد الصالح المشهور مات سنة283

فقيل: إن الأشعري- أبو الحسن مات سنة 324 لما قدم بغداد جاء إلى أبي محمد البربهاري، فجعل يقول: رددت على الجبائي، رددت على المجوس، وعلى النصارى.

فقال أبو محمد: لا أدري ما تقول، ولا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد.

فخرج وصنف الإبانة فلم يقبل منه.

بلغ من كثرة أصحاب البربهاري أنه عطس وهو يجتاز بالجانب الغربي من بغداد، فشمته أصحابه، فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة - الراضي - وهو في روشنه(كوة أو شباك)، فسأل عن الحال، فأخبر بها، فاستهولها

ومن عبارة الشيخ البربهاري، قال: احذر صغار المحدثات من الأمور، فإن صغار البدع، تعود كبارا، فالكلام في الرب عز وجل محدث وبدعة وضلالة، فلا نتكلم فيه إلا بما وصف به نفسه، ولا نقول في صفاته: لم؟ ولا كيف؟ والقرآن كلام الله، وتنزيله ونوره ليس مخلوقا، والمراء فيه كفر

قال ابن بطة العكبري ت 387 :سمعت البربهاري يقول: المجالسة للمناصحة فتح باب الفائدة، والمجالسة للمناظرة غلق باب الفائدة.

قال أبو الحسين بن الفراء: كان للبربهاري مجاهدات ومقامات في الدين، وكان المخالفون يغلظون ويغرون قلب السلطان عليه.

ففي سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة أرادوا حبسه، فاختفى. وأخذ كبار أصحابه، وحملوا إلى البصرة.

فعاقب الله الوزير ابن مقلة (الوزير الكبير، أبو علي محمد بن علي بن حسن بن مقلة. فقطعت يده وقطع لسانه وحبس ومات شر ميتة) ، وأعاد الله البربهاري إلى حشمته، وزادت، وكثر أصحابه.

، ثم لم تزل المبتدعة توحش قلب الراضي، حتى نودي في بغداد: لا يجتمع اثنان من أصحاب البربهاري، فاختفى، وتوفي مستترا في مخبأه. في رجب سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة ، فدفن بدار أخت توزون (أحد القواد الاتراك، خلع عليه المتقي وجعله أمير الامراء، ودامت إماراته حتى وفاته سنة 334 ه وهو الذي سمل المتقي بالله وخلعه، وبايع المستكفي.

أخباره في " الكامل في التاريخ لابن الأثير) فقيل:إنه لما كفن، وعنده، الخادم، صلى عليه وحده، فنظرت هي من الروشن ، فرأت البيت ملآن رجالا في ثياب بيض، يصلون عليه، فخافت وطلبت الخادم، فحلف أن الباب لم يفتح

وقيل: إنه ترك ميراث أبيه تورعا، وكان سبعين ألفا.

وفي سنة ثلاث وعشرين أوقع بأصحاب البربهاري فاستتر، وتتبع أصحابه ونهبت منازلهم، وعاش ستاً وتسعين سنة ، وكان في آخر عمره قد تزوج بجارية.

انظر ترجمته في طبقات الحنابلة: 2 / 18 - 45، المنتظم: 6 / 323، العبر: 2 / 216 - 217، البداية والنهاية: 11 / 201، الوافي بالوفيات: 12 / 146 - 147، شذرات الذهب: 2 / 319. وسير أعلام النبلاء للذهبي

المتن

شرح السنة، الشرح هو البيان والتفصيل والتوضيح لفك مشكل ورفع التباس

السنة ،هنا بمعنى الهدى وطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضى الله عنهم والسلف الصالح من التابعين وتابعيهم بإحسان رحمهم الله ،وهى أعم من تعريف الفقهاء والمحدثين وأهل الاصطلاح ، فهى طريقة أهل السنة في الاعتقاد والفقه والحديث والآداب والأخلاق وغير ذلك من شرائع الإسلام

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ومن علينا به وأخرجنا في خير أمة فنسأله التوفيق لما يحب ويرضى والحفظ مما يكره ويسخط

فيه حمد الله وشكره على نعمة الهداية والإسلام وهذه منة من الله وفضل

ومنه قول الله تعالى (الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

وعلى أن جعلنا من أمة الإسلام وهى خير أمة أخرجت للناس كما قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس)

وفيه أن سبب هذه الخيرية هو الإيمان بالله واليوم الآخر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإن تركت الأمة سبب خيريتها أصبحت من شر الأمم

وفيه أن المعروف الأكبر هو التوحيد وإفراد الله بالعبادة ، والمنكر الأكبر هو الشرك والكفر والنفاق

وفيه التضرع إلى الله واللجوء إليه وحسن التوكل عليه وسؤاله سبحانه التوفيق لما يحب ويرضى من الإيمان والعمل الصالح، والحفظ والرعاية والاستعاذة من سخطه وغضبه وشر عقابه

وفيه أن طالب العلم خاصة والمسلم عامة يتبرأ من حوله وقوته ويلجأ إلى ربه وسيده وخالقه ويطلب منه العون والمدد والثبات على الحق وحسن الخاتمة

وفيه بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات أسماء الله وصفاته مع أركان توحيد الأسماء والصفات، من الإقرار والامرار والاثبات مع التنزيه وأن الله يحب ويرضى ويكره ويسخط

١ - اعلم أن الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر فمن السنة لزوم الجماعة و من رغب غير الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالاً مضلا

قوله أعلم أو أعلموا جاء بها للانتباه والاهتمام والتثبت واليقين لأن أمور التوحيد والرسالة قطعية يقينية ،الشك فيها كفر ومنه قول الله تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله)

فيه معنى الإسلام وله معنيان

الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله ،

والثاني وهو التوحيد والعقيدة ،وهو دعوة جميع الرسل(إن الدين عند الله الإسلام)

والسنة ، هي الطريقة والهدى

وقوله الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام ،فيه التلازم بينهما وأنهما شيئاً واحداً لا ينفك أحدهما على الأخر ،فلا يصح ولا يقبل اسلام بلا سنة ولا سنة بلا إسلام ، لأنهما وحى من الله(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)النجم

(﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾]البقرة ١٥١

(وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (وإن تطيعوه تهتدوا)

وصح عند الترمذي وأبو داود والإمام أحمد في المسند قوله عليه الصلاة والسلام(ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)

(ألا إنِّي أُوتيتُ الكِتابَ ومِثلَه معه، ألا إنِّي أُوتيتُ القُرآنَ ومِثلَه معه، ألا يوشِكُ رجُلٌ يَنْثَني شَبْعانًا على أَريكتِه يقولُ: عليكم بالقُرآنِ، فما وجَدْتُم فيه مِن حلالٍ فأَحِلُّوه، وما وجَدْتُم فيه مِن حرامٍ فحَرِّموه!) وفى لفظ (ألا إنَّ ما حرَّم رسولُ اللهِ مثلَ ما حرَّم اللهُ) فالحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله

وفيه أن السنة وحى من الله تأتى إما لتوافق مافى القرأن وتؤكده وتؤيده وإما تأتى السنة بياناً وتفصيلا لما أجمله القرأن أو سكت عنه مثل صفة الصلاة وعدد ركعات كل صلاة وما يقال في كل موضع ،ومقادير الزكاة وما يجب في كل نوع وما يحرم من الحيوان وما يحل براً وبحراً (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)وغير ذلك مما فصلته السنة وبينته

وإما تأتى السنة مبينة لما لحكم نسخ -لمن يقول بالنسخ – مثل لا وصية لوارث ،ومثل الجلد والتغريب للزانى بدلاً من الحبس حتى الموت كما ثبت في صحيح مسلم (البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام)

وفيه منزلة السنة ووجوب العمل بها كما قال الله تعالى(وما أتاكم الرسول فخذوه) وقوله (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) وقوله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا)وقوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) والأيات في وجوب العمل بالسنة وكفر من أنكرها كثيرة جداً في القرأن الكريم ، فمن يقول أن يكتفى بالقرأن ولا يعمل بالسنة فقد كفر بالقرأن وكذب به

وحكم منكرها خلافاً لمن تأولها فمن أنكر السنة وقال أكتفى بالقرأن فقط وما جاء في السنة وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألتزمه ولا أعمل به فهو كافر مكذب بالقرأن متولِ عن الطاعة والانقياد والعمل بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم فهو كمن قال لا إله إلا الله وكفر بـ بمحمد رسول الله ،فإن محبة الله تقتضى اتباع رسوله وطاعته فإن أصل المحبة الاتباع كما قال الله تعالى في القرأن (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)

أما من تأول الأحاديث ولم ينكرها وكانت عنده شبهات في تواترها وطرق ثبوتها وقبول العقل لها فهذا مبتدع ضال منحرف عن الحق لا يكفر خلافاً لمن أنكرها وجحدها وكذب بها

٢ - والأساس الذي بينا عليه الجماعة هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمهم الله أجمعين وهم أهل السنة والجماعة فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع وكل بدعة ضلالة والضلال وأهله في النار قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى ولا في هدى تركه حسبه ضلالة فقد بينت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله وتبين للناس فعلى الناس الاتباع

يعنى الدين يؤخذ من القرأن المحكم والسنة الصحيحة بفهم الصحابة فهم الجماعة رضى الله عنهم أجمعين وهم أهل السنة والجماعة وهم السواد الأعظم الذين تمسكوا بالسنة واجتمعوا عليها فلا يقدم فهم أحد على فهمهم ولا إجماع على إجماعهم ،فمن لم يأخذ عن الصحابة فقد ضل وعصى الله ورسوله وترك الحق لأن الحق كما قال رسول الله (ما أنا اليوم عليه وأصحابي)

فيه التمسك بالجماعة وعدم التفرق (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

وفيه معنى الجماعة وهو ما وافق الحق وإن كنت وحدك

والجماعة ما اجتمع عليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم عقيدة وعمل (ما أنا اليوم عليه وأصحابي)فقد زكاهم الله ورضى عنهم (﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَـٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾]التوبة ١٠٠، فمن لزم غرزهم نجا مثلهم

وتعريف الصحابى وهو من لقى النبي صلى الله عليه وسلم وأمن به ومات على ذلك

وفيه أن الصحابة هم أهل السنة والجماعة وسموا بذلك لأنهم تمسكوا بالسنة واجتمعوا عليها

وفيه ضلال من لم يتقيد بفهم وعمل الصحابة رضى الله عنهم
وفيه معنى البدعة وهى كل طريقة محدثة في الدين
وفيه أن البدع كلها ضلال وكل ضلالة في النار
وفيه تعريف المبتدع وهو من ابتدع في دين الله ودعا إلى بدعته ومات عليها وهو وضلالته في النار خلافاً لمن تاب من بدعته لا يقال عنه مبتدع
وفيه قطع العذر لمن أعرض عن دين الله وكان متمكناً من العلم ففرط وقصر
وفيه أن الدين تم وكمل لا نقص فيه (اليوم أكملت لكم دينكم) فإن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل ،وهذا من الحرص على النجاة وشدة الاتباع
وفيه صحة أثر عمر رضى الله عنه وصحة ما يدل عليه ويؤيده ما ثبت في صحيح البخارى (إنَّ أُناسًا كانُوا يُؤْخَذُونَ بالوَحْيِ في عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وإنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وإنَّما نَأْخُذُكُمُ الآنَ بما ظَهَرَ لَنا مِن أعْمالِكُمْ، فمَن أظْهَرَ لَنا خَيْرًا، أمِنّاهُ وقَرَّبْناهُ، وليسَ إلَيْنا مِن سَرِيرَتِهِ شَيءٌ، اللَّهُ يُحاسِبُهُ في سَرِيرَتِهِ، ومَن أظْهَرَ لَنا سُوءًا، لَمْ نَأْمَنْهُ ولَمْ نُصَدِّقْهُ، وإنْ قالَ :إنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ.)
وفيه بطلان دعوى الأشاعرة أنهم أهل السنة !!فإن وجود أهل السنة قبل ولادة إمامهم الذين يزعمون الانتماء إليه بثلاثة قرون ،فلا وجود لهم قبل ذلك ؟

٣ - واعلم رحمك الله أن الدين إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم وعلمه عند الله وعند رسوله فلا تتبع شيئا بهواك فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام فإنه لا حجة لك فقد بين رسول الله صلى الله عليه و سلم لأمته السنة وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة وهم السواد الأعظم والسواد الأعظم الحق وأهله فمن خالف أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم في شيء من أمر الدين فقد كفر
فيه التنبيه والتأكيد على المتعلم مع الدعاء له بالرحمة على أن الدين من عند الله تبارك وتعالى
وفيه أنه لم يوضع لأهواء الناس وما يرونه وما تقبله عقولهم

وفيه الانقياد والتسليم وعدم اعمال العقل في الدين وما جاء من عند الله ورسوله
ولا يقال لما وكيف
وفيه أن من تبع هواه وأعمل عقله ولم يسلم لنصوص الوحيين وأنكرها وجحدها ولم يعمل بها إذعانا وانقياداً لها فقد كفر وخرج من الإسلام بغير دليل ولا برهان ولا عذر له ولا حجة فقد وصل إليه الحق بدليله وقامت عليه الحجة ووضحت المحجة التي تركنا عليها رسول الله بيضاء نقية لا غبش ولا شبهة فيها
وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة أتم بلاغ وأوضحه وما من طائر يطير في السماء إلا وأعلم الصحابة خبره وما من شيء في دينهم خيرا إلا ودلهم عليه ، وما من شيء شر في دينهم ومعاشهم إلا حذرهم منه
وفيه التقيد بما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزوم غرزهم فهم الحق وهم الجماعة وهم السواد الأعظم – كما سبق – فمن خالفهم في دينهم انكاراً وجحداً وتكذيباً وعناداً وإعراضاً ورداً فقد كفر وخرج من الإسلام
ومن خالفهم متأولاً بشبهة وهو مريد للحق ونصرته فهو مخالف بحسب مخالفته ولا يكفر، بل يخطأ أو يبدع أو يضلل بحسب حكم مخالفته في الشرع
وفيه التنبيه على أنه ليس كل مخالفة كفر ويحمل كلام البربهارى رحمه الله على المخالفة في التوحيد والرسالة ،فليس كل مخالفة كفر ،وليس كل معصية كفر ، كما سبق في شرح مسألة الإيمان والكفر عند أهل السنة ، وفصلنا مذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة ، ورددنا على شبهات الخوارج وأهل الغلو في التكفير الذين يكفرون بمطلق المعاصى ومطلق المخالفات ،فإن التوحيد ضده الكفر ، والسنة ضدها البدعة ،والطاعة ضدها المعصية ، فعندنا ثلاثة أشياء ضد ثلاثة أشياء ، وليست شيئاً واحداً كما تقول الخوارج والمرجئة

٤ - واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها فاحذر المحرمات من الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة والضلالة وأهلها في النار
فيه وجوب التمسك بالسنة والعمل بها
وفيه أن البدع باب شر لترك السنن
وفيه أن ما من سنة تُركت إلا وحل مكانها بدعة
وفيه أن البدع في الدين كلها شر وضلال وسيئة لا حسنة فيها فليس ثَم بدعة حسنة ،بل البدع في الدين كلها ضلال ،والضلال وأهله في النار
وفيه أن البدع منها ما هو كفر أكبر كبدع دعاء الأموات والطلب منهم والاستغاثة بهم ،وصرف العبادة لهم ،ومنها ما ليس بكفر مخرج كبدعة التوسل والتبرك بأثار الصالحين ،وقراءة القرأن على القبور ،والذكر الجماعى ,والأعياد المخترعة المبتدعة كعيد المولد والميلاد والحب والوطن والأم والأب وغير ذلك مما أحدثه الناس في دينهم تقليداً للكفار وغيرهم من فرق الضلال

٥ - **واحذر صغار المحدثات من الأمور فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارا وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيرا يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع المخرج منها فعظمت وصارت دينا يدان بها فخالف الصراط المستقيم فخرج من الإسلام فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم أو أحد من العلماء فإن أصبت فيه أثرا عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء ولا تختر عليه شيئا فتسقط في النار**
فيه التحذير من البدع والمحدثات وإن صغرت ،فالبدع لا تنفع صاحبها ولا ينتفع بها كما ثبت في الصحيحين من حديث أمنا عائشة رضى الله عنها وعن أبيها وعن الصحابة أجمعين (من أحدث في أمرنا هذا فهو رد)أي مردود عليه غير مقبول (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)
وفيه إنكار البدع وعدم السكوت عنها ،فإن السكوت عن البدع والمنكرات وإن كانت صغيرة – مع مرور الأيام وتعاقب الأجيال تكبر ويتعود عليها الناس

حتى يظنونها سنة ،ثم يصعب على الدعاة بعد ذلك إنكارها ،فيتعودها الكبير ويتربى عليها الصغير

وفيه وجوب الاعتصام والتمسك بما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم فهو سبيل النجاة من البدع والمحدثات والفتن

وفيه خطورة السكوت عن البدع والمنكرات ،فالسكوت عن الباطل يصيره عند بعض الناس حقا ، وهذا فيه فساد الدين والدنيا

وفيه وجوب التثبت من أقوال الناس ووزنها بميزان الشرع والأصول الثلاثة المعصومة ،القرأن المحكم والسنة الصحيحة وعمل الصحابة رضى الله عنهم

فأي مسألة في الدين ليس للصحابة فيها قول ،وليس لك فيها سلف صالح وليست من النوازل وموارد الاجتهاد فاعلم أنها بدعة محدثة في دين الله

وفيه شدة الاتباع والتمسك بالدليل وما كان عليه الصدر الأول من القرون الثلاثة المفضلة

وفيه الفرق بين الاتباع والتقليد ، ومتى يكون اتباعاً ،ومتى يكون تقليداً مذموماً

وفيه أن كلام العلماء المجرد المخالف ليس دليلاً يحتج به ،بل يحتج له

٦ - واعلم أن الخروج عن الطريق على وجهين أما أحدهما فرجل قد زل عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير فلا يقتدى بزلله فإنه هالك ورجل عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين فهو ضال مضل شيطان مريد في هذه الأمة حقيق على من عرفه أن يحذر الناس منه ويبين لهم قصته لئلا يقع في بدعته أحد فيهلك

فيه أن الخروج عن طريق الحق يقع بقصد وبغير قصد بتأويل أو بعلم وعناد

وفيه أن طريق الحق واحد والطرق إليه متعددة

وفيه عدم عصمة العالم وأنه بشر

وفيه منهج أهل السنة في التعامل مع زلة العالم الذى قصده الحق ونصرته ولكنه أخطأ في الوصول إليه باجتهاد أو بتأويل وقد فصلنا ذلك في شرح المقدمة ،ورفع الملام ،والمسائل والفوائد

وفيه الفرق بين الخطأ وبين الضلال ،بين من قصده الخير وإصلاح الناس ولكنه أخطأ الطريق ، وبين من قصده الشر والضلال وغواية الناس فهذا شيطان
وفيه بيان مذهب أهل السنة في عدم كفر المتأول خلافاً للمعاند وقد فصلنا ذلك فيما سبق من شروحات مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة ،ومنهجهم في الاستدلال والنظر ، وخصائص أهل السنة والجماعة ومميزاتهم ،ومنهجهم في الحكم على المخالف
وفيه عدم اتباع العالم فيما أخطأ فيه
وفيه وجوب بيان الخطأ والتنبيه عليه بقطع النظر عن المخطئ ،فالأصل بيان الخطأ والتحذير منه
وفيه التحذير من أهل الضلال وضلالهم الذين خالفوا طريق الحق عن علم وقصد وعناد
وفيه وجوب الرد على المخالف نصحاً لا تعييراً

٧ - واعلم رحمك الله أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعا مصدقا مسلما فمن زعم أنه قد بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد كذبهم وكفى بهذا فرقة وطعنا عليهم فهو مبتدع ضال مضل محدث في الإسلام ما ليس منه
فيه بيان شروط لاإله إلا الله من الإتباع وضده الابتداع والاعراض ،فشرط الاتباع والتسليم ، **وفيه** الصدق وضده الكذب والنفاق والشك ،وشرط التسليم أن يكون مسلماً منقاداً قابلاً غير معترض ولا راد لأمر الله
وفيه تعظيم الصحابة وصدقهم في بلاغ الدين وأنهم كلهم عدول نقلوا إلينا الدين تاماً كاملاً غير منقوص
وفيه حكم من كذب الصحابة أو كفرهم
وفيه بيان أن الطعن في الصحابة طعن في الدين لأنهم حملته ،وإسقاطهم هدم للدين
وفيه أن أهل البدع يفترقون ويبتدعون ولا يجتمعون ضالون عن الحق في أنفسهم مضلون لغيرهم
وفيه أن المبتدع شر على الإسلام من اليهودى والنصرانى وخطره أعظم

٨ - واعلم رحمك الله أنه ليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تتبع فيها الأهواء بل هو التصديق بآثار رسول الله صلى الله عليه و سلم بلا كيف ولا شرح ولا يقال لم ولا كيف فالكلام والخصومة والجدال والمراء محدث يقدح الشك في القلب وإن أصاب صاحبه الحق والسنة

فيه أن المراد بالسنة هنا العقيدة والتوحيد لأن رسالة المصنف فيها

فيه أن السنة توقيفية على الدليل لا مجال للعقل فيها بل هي على القبول والتسليم

وفيه تعريف القياس وهو ردُّ واقعةٍ غيرِ منصوصِ عليها إلى واقعةٍ منصوص عليها؛ لاتفاقهما في العِلَّة، وبالتالي الحكم.

مثال ، فالمخدِّرات كالحشيش، مقيس أو فرع، لم يأتِ دليل خاص يُبيِّن حكم الحشيش؛ هل هو حرام أم حلال؟ فهو واقعة غير منصوص عليها، وهذا المقيس يُرَدُّ إلى الخمر، وهي واقعة منصوص عليها (المقيس عليه)؛ أي: أصل جاء نص في بيان حكمها :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: 90]، فهنا جاء نصٌّ محكم في بيان التحريم، والعِلَّة الجامعة بينهما التي اتَّفقا فيها هي السُّكْر؛ أي: كلاهما يُسْكِر ويُذهِب العقل، وهذا وجه التشابُه بينهما، وعليه فمن أركان القياس أن يتفق المقيس والمقيس عليه في العِلَّة، وهي السُّكْر في هذه الحالة، وقد أخذ حكم المقيس عليه؛ إذًا جميع أنواع المخدِّرات تُقاس على الخَمْر، وجميع أنواع المسكِرات تُقاس عليها، فهذا هو بيان القياس.

وفيه أن القياس الفاسد هو الذى يعارض النصوص الصحيحة ،مثل قياس إبليس وهو أول من قاس ،والقياس الفاسد هو ما يعارض به النصوص ،يستعمل في مقابل النص ،ومنه قول الكفار (إنما البيع مثل الربا) ومنه قياس إبليس

فالقياس الفاسد هو الذي يكون في مقابلة النصوص، فإبليس كان عنده نص وهو(اسْجُدُوا لِآدَمَ)البقرة:٣٤، فقام بالقياس الفاسد وهو(أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

أما القياس الصحيح : فلا يرِد عليه شيء من تلك الأدلة ، ولا يناقض بعضه بعضاً ، ولا يناقض البتة نصّاً صحيحاً من كتاب ، أو سنَّة ، فكما لا تتناقض دلالة النصوص الصحيحة : فإنه لا تتناقض دلالة الأقيسة الصحيحة ، ولا دلالة النص الصريح والقياس الصحيح ، بل كلها متصادقة ، متعاضدة ، متناصرة ، يصدق بعضها بعضاً ، ويشهد بعضها لبعض ، فلا يناقض القياس الصحيح النصَّ الصحيح أبداً

وضابط القياس الصحيح هو : أن تكون العلة التي علق الشارع بها الحكم وشرعه من أجلها موجودة بتمامها في الفرع ، من غير معارض في الفرع يمنع حكمها فيه

كما فصل ذلك العلماء رحمهم الله في الرد على الظاهرية وبن حزم في نفيهم القياس وإبطاله ،منهم الامام بن القيم في كتابه اعلام الموقعين ،والامام الشنقيطي في كتابه **أضواء البيان. (4 /175– 228)"**
وفيه التنبيه على أن القياس ليس من مصادر التشريع : فهو وسيلة لإثبات الأحكام الشرعية التي تشترك مع المنصوص عليه بجامع العلة بينهما ، ومثله يقال في الإجماع ، حيث لا إجماع إلا على نص من الوحي ، فصارت مصادر التشريع : الكتاب والسنَّة ، وأما الإجماع والقياس فمرجعهما إلى نصوص الوحي ، فتسميتهما " مصادر تشريع " هي مسألة اصطلاحية ، فيها نوع من التسامح في العبارة ، والمراد بها : أنه من المصادر المعرفة بتشريع الله ، والموصلة إليه

٩ - واعلم رحمك الله أن الكلام في الرب تعالى محدث وهو بدعة وضلالة ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه عز و جل في القرآن وما بين رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه فهو جل ثناؤه واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ربنا أول بلا متى وآخر بلا منتهى يعلم

السر وأخفى وهو على عرشه استوى وعلمه بكل مكان ولا يخلو من علمه مكان ولا يقول في صفات الرب تعالى لم إلا شاك في الله تبارك وتعالى والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره وليس مخلوقا لأن القرآن من الله وما كان من الله فليس بمخلوق وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفقهاء قبلهما وبعدهما والمراء فيه كفر

فيه أن الكلام في أسماء الله وصفاته بما لا يليق تعطيلاً وتحريفاً وتأويلاً بدعة محدثة في دين الله وضلالة أحدثها المبتدعة كجهم والجعد وغيلان والفرق الضالة كالجهمية والمعتزلة والاشاعرة والماترودية وبعض فرق الصوفية

وفيه أن صفات الله تعالى لا يتكلم فيها إلا على جهة الإقرار والامرار والاثبات والتنزيه وهى توقيفية لا مجال للعقل فيها ولا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرأن الكريم ووصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الصحيحة وما سمعه الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم **(ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير)**

وفيه أن الله أول بلا ابتداء ،كان الله ولم يكن شيئ ،وأخر بلا انتهاء (هو الأول والأخر)

وفيه أن الله علام الغيوب ،يعلم السر الذى لا يعلمه إلا صاحبه والذى يخفيه ويكتمه صاحبه عن غيره ،ويعلم ما هو أخفى من ذلك ،فالله يعلم ما لا يعلمه الانسان وما يكسبه في غد وكل ذلك يدل على علم الله وقدرته على كل شيئ سبحانه

وفيه أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته (الرحمن على العرش استوى) وهو من العلو والارتفاع

وفيه اثبات العرش واثبات صفة العلو لله تعالى ،وإثبات صفة العلم لله تعالى وأن علمه سبحانه وتعالى محيط بكل شيئ ولا يخفى عليه شيئ في الأرض ولا في السماء ،وأن الله سبحانه له الذات والأسماء والصفات على وجه الإثبات والتنزيه وكل ماورد في بالك فالله خلاف ذلك فلا يقال لله لم وكيف إلا شاك متحير مشبه أو معطل أو مأول

وفيه أن القرأن كلام الله وتنزيله نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] {الحجر:٩

وقال(وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي)السجدة:١٣

وقال(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ] {النحل:١٠٢

وقال(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ] {المائدة:٤٨

وقال(حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ] {الأحقاف:١ - ٢

وقال(حم * تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] {فصلت:١ - ٢

وقال(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ] {القدر:١

وقال(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ] {الدخان:٣

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي فيها بيان أن القرآن كلام الله وتنزيله، نزل به جبريل عليه الصلاة والسلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى} :نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ] {الشعراء:١٩٣ - ١٩٥[

ونوره وبركته وهداه فهذه كلها أوصاف للقرأن الكريم ،فإنه يوصف بأنه نور وروح تحيا به القلوب ، تكلم الله به على الحقيقة بحرف وصوت ،كلاماً سمعه من شاء الله من خلقه ،وأنه ليس بمخلوق ،وأنه صفة من صفاته ،وصفات الله غير مخلوقة ، والجدال والمراء في ذلك كفر وضلال وقد فصلنا ذلك في شروح كتب السنة وبينا مذهب أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (وكلم الله موسي تكليما) (حتى يسمع كلام الله)(يريدون أن يبدلوا كلام الله)(قال الله)(أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ البقرة ٧٥

١٠ - والإيمان بالرؤية يوم القيامة يرون الله عز و جل بأعين رؤوسهم وهو يحاسبهم بلا حاجب ولا ترجمان

وفيه أن من عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ،يرونه رؤية حقيقية بأعينهم التي في رؤسهم وليس بعين قلوبهم كما يقول النفاة

قال تعالى(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ومن الآيات الدالة على الرؤية كذلك قوله سبحانه(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَمَحْجُوبُونَ)المطففين:١٥، فدل على أن المؤمنين ليسوا
بمحجوبين، وقوله سبحانه(وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) جاء تفسير)مزيد (بالنظر إلى وجه الله الكريم.)

وقال سبحانه(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)يونس:٢٦، فالحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم

١١ - والإيمان بالميزان يوم القيامة يوزن فيه الخير والشر له كفتان وله لسان

فيه الايمان بيوم القيامة والبعث والنشور والجزاء والحساب والجنة والنار ،والإيمان بالميزان وأنه ميزان حقيقى له كفتان توزن به الحسنات والسيئات ،وكذلك توزن الأعمال والأبدان وصحائف الأعمال (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)(فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ- ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ) ويوزن فيه الخير والشر.

وفي الحديث(يؤتى بالرجل العظيم السمين لا يزن عند الله جناح بعوضة)

وثبت في الحديث الصحيح أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كشفت الريح عن ساقيه، وكان دقيق الساقين رضي الله عنه، فضحك

الصحابة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم) :لم تضحكون؟ قالوا :من دقة ساقيه يا رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :والذي نفسي بيده، لهما في الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أحد)

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد، أو أن هناك موازين متعددة، فمن العلماء من قال :إنه ميزان واحد، ومنهم من قال :هي موازين متعددة، لكل شخص ميزان، ولكل أمة ميزان، واستدلوا بقوله تعالى(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)الأنبياء:٤٧، ومن قال إنه ميزان واحد أجاب عن ذلك بأنها جمعت باعتبار الموزون، وإلا فهو ميزان واحد

١٢ - والإيمان بعذاب القبر ومنكر ونكير

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وبمنكر ونكير وبفتنة القبر وهذا على الحقيقة كما قال جاء في القرأن دليل ذلك ومنه قول الله تعالى (قال الله تعالى في شأن آل فرعون(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا)غافر:٤٦، ثم قال(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)غافر:٤٦[، فقول الله عز وجل} :وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ] {غافر:٤٦[، دل على أن العرض الأول في القبر، وهو قوله} :النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا] {غافر:٤٦[، أي :قبل يوم القيامة؛ لأنه قال بعد ذلك} :وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ] {غافر:٤٦.[

وقال سبحانه} :وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ] {الأنعام:٩٣[، فهذا عذاب القبر.

وقوله سبحانه} :وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ] {الأنفال:٥٠[، فيضربون وجوههم وأدبارهم أي :عند التوفي، فهذا من عذاب القبر ونعيمه.

وجاء في السنة أحاديث كثيرة تدل على عذاب القبر ونعيمه منها ما ثبت في الصحيحين وغيرهما -قال صلى الله عليه وسلم (إذا صلى أحدكم فليستعذ

بالله من أربع، يقول :اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال)، وقال عليه الصلاة والسلام(استعيذوا بالله من عذاب القبر)

وثبت في حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال(إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين وقال :لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا.)

وكذلك أيضاً ما جاء في حديث البراء وغيره(أن المؤمن يوسع له في قبره مد البصر، ويفتح له باب إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الريح يؤنسه، فيقول :من أنت؟ فوجهك الذي يجيء بالخير، فيقول :أنا عملك الصالح، والفاجر أو الفاسق يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه، ويفتح له باب إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويأتيه رجل قبيح الوجه، منتن الريح، فلا يزال يروعه ويوحشه، فيقول :من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول :أنا عملك الخبيث) كل هذا يدل على إثبات عذاب القبر ونعيمه، وسؤال منكر ونكير له من ربك وما دينك ومن نبيك، كله ذلك حق

١٣ - والإيمان بحوض رسول الله صلى الله عليه و سلم ولكل نبي حوض إلا صالح عليه السلام فإن حوضه ضرع ناقته

من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يؤمنون بحوض النبي صلى الله عليه وسلم وقد وصفه لهم في أحاديث من كثرتها بلغت حد التواتر كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه (إنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِن أَيْلَةَ مِن عَدَنٍ لَهو أَشَدُّ بَياضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلى مِنَ العَسَلِ باللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِن عَدَدِ النُّجُومِ وإنِّي لأَصُدُّ النّاسَ عنْه، كما يَصُدُّ الرَّجُلُ إبِلَ النّاسِ عن حَوْضِهِ قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، أَتَعْرِفُنا يَومَئذٍ؟ قالَ: نَعَمْ لَكُمْ سِيما ليسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِن أَثَرِ الوُضُوءِ) وفي صحيح مسلم أيضاً عن عقبة بن عامر رضى الله عنه (أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلّى على أَهْلِ أُحُدٍ صَلاتَهُ على المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إلى المِنْبَرِ فَقالَ: إنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنا شَهِيدٌ

علَيْكُم، وإنِّي واللَّهِ لَأَنْظُرُ إلى حَوْضِي الآنَ، وإنِّي قدْ أُعْطِيتُ مَفاتِيحَ خَزائِنِ الأرْضِ، أَوْ مَفاتِيحَ الأرْضِ، وإنِّي، واللَّهِ ما أَخافُ علَيْكُم أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخافُ علَيْكُم أَنْ تَتَنافَسُوا فِيها.
وثبت في صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه (عَنِ النبيِّ ﷺ، قالَ: ما بيْنَ بَيْتي ومِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِياضِ الجَنَّةِ، ومِنْبَرِي على حَوْضِي) وفى صحيح البخارى أيضا عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، ماؤُهُ أبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، ورِيحُهُ أطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وكِيزانُهُ كَنُجُومِ السَّماءِ، مَن شَرِبَ مِنْها فلا يَظْمَأُ أبَدًا.) ولكل نبي حوضاً تشرب منه أمته في يوم شديد حره شديد كربه نسأل الله الستر والعافية وحسن الخاتمة ،أما أن حوض نبي الله صالح ضرع ناقته فلا يصح وأن له حوضاً كباقي أنبياء الله ورسله ،والحديث المذكور موضوع لا أصل له ،بل حديث منكر كما قال الإمام بن الجوزى والإمام الذهبى والعقيلى وغيرهم رحمهم الله تعالى ورضى عنهم ونفعنا بعلمهم .

١٤ - والإيمان بشفاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم للمذنبين الخاطئين يوم القيامة وعلى الصراط ويخرجهم من جوف جهنم وما من نبي إلا وله شفاعة وكذلك الصديقون والشهداء والصالحون ولله بعد ذلك تفضل كثير على من يشاء والخروج من النار بعدما احترقوا وصاروا فحما

فيه تعريف الشفاعة هي التوسط للغير في جلب المنفعة أو دفع المضرة، وهى إما شفاعة في الدنيا بين الناس أو شفاعة في الأخرة يوم القيامة ،والمقصود هنا الشفاعة يوم القيامة

وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم له شفاعة عامة مثله مثل الأنبياء والرسل والشهداء والصالحين وسائر المؤمنين ، وله شفاعة خاصة خصه الله بها لمنزلته

وفيه بيان مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب الكبائر ،وأن صاحب الكبيرة وإن مات عليها من غير توبة مسلم تحت المشيئة مالم يستحلها ، يخرجه الله من النار أو يعفو عنه بما معه من توحيد ،وإن دخلها يخرجه الله

بفضله وكرمه ويُشفِعُ **فيه** من شاء من خلقه بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع

وفيه الإيمان بيوم القيامة ، والصراط ،وجهنم ،والشفاعة لكل نبى وشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحيحين من حديث أبو هريرة رضى الله عنه (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، وأَرَدْتُ إنْ شاءَ اللَّهُ أنْ أخْتَبِئَ دَعْوَتي شَفاعَةً لِأُمَّتي يَومَ القِيامَةِ.وفيهما أيضاً من حديث أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه (أَمّا أهْلُ النّارِ الَّذِينَ هُمْ أهْلُها، فإنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فيها ولا يَحْيَوْنَ، ولَكِنْ ناسٌ أصابَتْهُمُ النّارُ بذُنُوبِهِمْ، أوْ قالَ بخَطاياهُمْ، فأماتَهُمْ إماتَةً حتّى إذا كانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بالشَّفاعَةِ) وفى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه (مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّداءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التّامَّةِ، والصَّلاةِ القائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفاعَتي يَومَ القِيامَةِ.) وثبت في السنن والمسند وصحيح بن حبان على شرط مسلم من حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (شَفاعَتي لِأَهْلِ الكبائرِ مِنْ أُمَّتي).

وفيه شفاعته الخاصة لعمه أبي طالب كما ثبت في صحيح البخارى أن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه (أنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ، وذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أبو طالِبٍ، فَقالَ: لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفاعَتي يَومَ القِيامَةِ، فيُجْعَلُ في ضَحْضاحٍ مِنَ النّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي منه أُمُّ دِماغِهِ.) وعلى ما سبق فإن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع شفاعات خاصة به صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها أحد

أولها: الشفاعة العظمى

وهي المقام المحمود الذي وعده الله إياه، في قوله تعالى:(وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)

وحقيقة هذه الشفاعة هي أن يشفع لجميع الخلق حين يؤخر الله الحساب فيطول بهم الانتظار في أرض المحشر يوم القيامة فيبلغ بهم من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيقولون: من يشفع لنا إلى ربنا حتى يفصل بين العباد، يتمنون التحول من هذا المكان، فيأتي الناس إلى الأنبياء فيقول كل

واحد منهم: لست لها، حتى إذا أتوا إلى نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول: أنا لها، أنا لها. فيشفع لهم في فصل القضاء، فهذه شفاعته في أهل الموقف وهي من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم.

والأحاديث الدالة على هذه الشفاعة كثيرة في الصحيحين وغيرهما و منها ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما:("إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود".)

ثانيها: الشفاعة لأهل الجنة لدخول الجنة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(:آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك) رواه مسلم. وفي رواية له(أنا أول شفيع في الجنة)

ثالثها: شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب وقد سبق ذكرها

رابعها: شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول أناس من أمته الجنة بغير حساب

مارواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه في حديث الشفاعة الطويل وفيه(:ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ: أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ)

الشفاعة العامة

وهي تكون للرسول صلى الله عليه وسلم ويشاركه فيها من شاء الله من الملائكة والنبيين والصالحين وهي أقسام:

أولاها: الشفاعة لأناس قد دخلوا النارفي أن يخرجوا منها . والأدلة على هذا القسم كثيرة جدا منها:

ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا:(فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا... فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط .)وفصلنا معنى ذلك في شرح السنة أنه على نفى التجويد

ثانيها: الشفاعة لأناس قد استحقوا النار في أن لا يدخلوها، وهذه قد يستدل لها بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه أخرجه مسلم فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك.

ثالثها: الشفاعة لأناس من أهل الإيمان قد استحقوا الجنة أن يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة، ومثال ذلك ما رواه مسلم رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا لأبي سلمة فقال:(اللّهمّ اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديّين، واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا ربّ العالمين، وافسح له في قبره، ونوّر له فيه.)

شروط الشفاعة في الآخرة

دلت الأدلة على أن الشفاعة في الآخرة لا تقع إلا بشروط هي:

رضا الله عن المشفوع له، لقول تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وهذا يستلزم أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد لأن الله لا يرضى عن المشركين. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ:(قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِه.)

إذن الله للشافع أن يشفع لقوله تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)

رضا الله عن الشافع، لقوله تعالى: (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)

الشفاعة المتعلقة بالدنيا وهي على نوعين:

الأول: ما يكون في مقدور العبد واستطاعته القيام به ؛ فهذه جائزة بشرطين:

1- أن تكون في شيئ مباح ، فلا تصح الشفاعة في شيء يترتب عليه ضياع حقوق الخلق أو ظلمهم، كما لا تصح الشفاعة في تحصيل أمر محرم. كمن يشفع لأناس قد وجب عليهم الحد أن لا يقام عليهم، قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)

وفي الصحيحين عن أمنا عائشة رضي الله عنها:(أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلا أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا

سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)

2- أن لا يعتمد بقلبه في تحقيق المطلوب ودفع المكروه إلا على الله وحده، وأن يعلم أن هذا الشافع لا يعدو كونه سببا أَذِنَ الله به، وأن النفع والضر بيد الله وحده، وهذا المعنى واضح جدا في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فإذا تخلف أحد هذين الشرطين صارت الشفاعة ممنوعة منهيا عنها.

الثاني: ما لا يكون في مقدور العبد، وطاقته ووسعه كطلب الشفاعة من الأموات وأصحاب القبور، أو من الحي الغائب معتقدا أن بمقدوره أن يسمع وأن يحقق له طلبه فهذه هي الشفاعة الشركية التي تواردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بنفيها وإبطالها لما في ذلك من وصفهم بصفات الخالق عز وجل، لأن من صفاته عز وجل أنه هو الحي الذي لا يموت.

وشبهة هؤلاء أنهم يقولون: إن الأولياء وإن السادة يشفعون لأقاربهم، ولمن دعاهم، ولمن والاهم، ولمن أحبهم، ولأجل ذلك يطلبون منهم الشفاعة، وهذا بعينه هو ما حكاه الله عن المشركين الأولين حين قالوا: (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) يعنون معبوداتهم من الملائكة، ومن الصالحين، وغيرهم، وأنها تشفع لهم عند الله. وكذلك المشركون المعاصرون الآن ؛ يقولون: إن الأولياء يشفعون لنا، وإننا لا نجرؤ أن نطلب من الله بل نطلب منهم وهم يطلبون من الله، ويقولون: إن النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحين أعطاهم الله الشفاعة، ونحن ندعوهم ونقول: اشفعوا لنا كما أعطاكم الله الشفاعة. ويضربون مثلاً بملوك الدنيا فيقولون: إن ملوك الدنيا لا يوصل إليهم إلا بالشفاعة إذا أردت حاجة فإنك تتوسل بأوليائهم ومقربيهم من وزير وبواب وخادم وولد ونحوهم يشفعون لك حتى يقضي ذلك الملك حاجتك، فهكذا نحن مع الله تعالى نتوسل ونستشفع بأوليائه و بالسادة المقربين عنده، فوقعوا بهذا في شرك السابقين، وقاسوا الخالق بالمخلوق.

والله تعالى ذكر عن الرجل المؤمن في سورة يس قوله: (أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً) ، وذكر الله تعالى أن الكفار اعترفوا على أنفسهم بقولهم:(قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين * فما تنفعهم شفاعة الشافعين) المدثر

والنبي صلى الله عليه وسلم وإن أعطي الشفاعة يوم القيامة، إلا أنه لن يتمكن منها إلا بعد إذن الله تعالى، ورضاه عن المشفوع له.

ولهذا لم يدع صلى عليه وسلم أمته لطلب الشفاعة منه في الدنيا، ولا نقل ذلك عنه أحد من أصحابه رضي الله عنهم، ولو كان خيرا، لبلَّغه لأمته، ودعاهم إليه، ولسارع إلى تطبيقه أصحابه الحريصون على الخير، فعُلم أن طلب الشفاعة منه الآن منكر عظيم ؛ لما فيه من دعاء غير الله، والإتيان بسبب يمنع الشفاعة، فإن الشفاعة لا تكون إلا لمن أخلص التوحيد لله.

وأهل الموقف إنما يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لهم في فصل القضاء، لحضوره معهم، واستطاعته أن يتوجه إلى ربه بالسؤال، فهو من باب طلب الدعاء من الحي الحاضر فيما يقدر عليه.

ولهذا لم يرد أن أحدا من أهل الموقف سيطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يشفع له في مغفرة ذنبه.

وهؤلاء الذين يطلبون منه الشفاعة الآن، بناء على جواز طلبها في الآخرة، لو ساغ لهم ما يدّعون، للزمهم الاقتصار على قولهم: يا رسول الله اشفع لنا في فصل القضاء!! ولكن واقع هؤلاء غير ذلك، فهم لا يقتصرون على طلب الشفاعة، وإنما يسألون النبي صلى الله عليه وسلم -وغيره – تفريج الكربات، وإنزال الرحمات، ويفزعون إليه في الملمات، ويطلبونه في البر والبحر، والشدة والرخاء، معرضين عن قول الله:(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله) النمل

ومن خلال ما سبق يتضح لكل منصف أن الشفاعة المثبتة هي الشفاعة المتعلقة بإذن الله ورضاه، لأن الشفاعة كلها ملكه. ويدخل في ذلك ما أذن الله به من طلب الشفاعة في أمور الدنيا من المخلوق الحي القادر على ذلك، وينتبه هنا إلى أن هذا النوع إنما جاز لأن الله أذن به، وذلك لأنه ليس فيه تعلقٌ قلبيٌ بالمخلوق وإنما غاية الأمر أنه سبب كسائر الأسباب التي أذن الشرع باستخدامها. وأن الشفاعة المنفية هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، لأن غير الله لا يملك الشفاعة و لا يستطيعها حتى يأذن الله له بها، ويرضى. فمن طلبها من غيره فقد تعدى على مقام الله، وظلم نفسه، وعرضها للحرمان من شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

والمخالفون لأهل السنة في الشفاعة على طرفي نقيض فقد أنكرالشفاعة الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بالكبائر والمعاصى التي هي دون الشرك وغلا في إثبات الشفاعة الصوفية القبورية وغيرهم من أهل الضلال الذى طلبوها من الأموات فاستغاثوا بهم وصرفوا لهم الطاعات والعبادات التي لا تصرف إلا لله تعالى

وقد فصلنا ذلك في شرح رسائل التوحيد والمسائل والفوائد والمقدمة

نسأل الله العافية والسلامة، ونسأله أن يُشفِّع فينا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم.. آمين.

١٥ - والإيمان بالصراط على جهنم يأخذ الصراط من شاء الله ويجوز من شاء الله ويسقط في جهنم من شاء الله ولهم أنوار على قدر إيمانهم

الإيمان بالصراط من عقيدة أهل السنة والجماعة ،وأنه جسر حقيقى حسى وليس معنوى منصوب على جهنم جاء ذكره في القران الكريم في قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضيا) وجاء وصفه في الصحاح أنه أدق من الشعر وأحد من السيف يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ونورهم بين أيديهم على قدر إيمانهم

كما ثبت في صحيح البخارى عن أمنا عائشة رضى الله عنها أنها قالت (سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عن قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ :﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ والسَّمَواتُ**﴾ فأيْنَ يَكونُ النّاسُ يَومَئذٍ يا رَسُولَ اللهِ؟ فَقالَ: على الصِّراطِ.)

وثبت في الصحيحين من حديث أبو هريرة رضى الله عنه وهو حديث طويل فيه أدلة أكثر المسائل التي ذكرها الإمام البربهارى في رسالته وفيه (أنَّ ناسًا قالُوا لِرَسولِ اللهِ ﷺ: يا رَسولَ اللهِ، هلْ نَرى رَبَّنا يَومَ القِيامَةِ؟ فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: هلْ تُضارُّونَ في رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟ قالوا: لا يا رَسولَ اللهِ، قالَ: هلْ تُضارُّونَ في الشَّمْسِ ليسَ دُونَها سَحابٌ؟ قالوا: لا يا رَسولَ اللهِ، قالَ: فإنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، كَذلكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النّاسَ يَومَ القِيامَةِ فيَقولُ: مَن كانَ يَعْبُدُ شيئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَن كانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، ويَتَّبِعُ مَن كانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، ويَتَّبِعُ مَن كانَ يَعْبُدُ الطواغيت ، الطواغيت ، وتَبْقى هذِه الأُمَّةُ فيها مُنافِقُوها، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالى في صُورَةٍ غيرِ صُورَتِهِ الَّتي يَعْرِفُونَ، فيَقولُ: أنا رَبُّكُمْ، فيَقولونَ: نَعُوذُ باللَّهِ مِنْكَ، هذا مَكانُنا حتّى يَأْتِيَنا رَبُّنا، فإذا جاءَ رَبُّنا عَرَفْناهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعالى في صُورَتِهِ الَّتي يَعْرِفُونَ، فيَقولُ: أنا رَبُّكُمْ، فيَقولونَ: أنْتَ رَبُّنا فَيَتَّبِعُونَهُ ويُضْرَبُ الصِّراطُ بيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فأكُونُ أنا وأُمَّتي أوَّلَ مَن يُجِيزُ، ولا يَتَكَلَّمُ يَومَئذٍ إلّا الرُّسُلُ، ودَعْوى الرُّسُلِ يَومَئذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ، وفي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدانِ، هلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدانَ؟ قالوا: نَعَمْ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: فإنَّها مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدانِ غيرَ أنَّه لا يَعْلَمُ ما قَدْرُ عِظَمِها إلّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النّاسَ بأَعْمالِهِمْ، فَمِنْهُمُ المُؤْمِنُ بَقِيَ بعَمَلِهِ، ومِنْهُمُ المُجازى حتّى يُنَجّى، حتّى إذا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ القَضاءِ بيْنَ العِبادِ، وأَرادَ أنْ يُخْرِجَ برَحْمَتِهِ مَن أرادَ مِن أهْلِ النّارِ، أمَرَ المَلائِكَةَ أنْ يُخْرِجُوا مِنَ النّارِ مَن كانَ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا مِمَّنْ أرادَ اللَّهُ تَعالى أنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يقولُ: لا إلَهَ إلّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ في النّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إلّا أثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ على النّارِ أنْ تَأْكُلَ أثَرَ السُّجُودِ، فيُخْرَجُونَ مِنَ النّارِ وقَدِ امْتَحَشُوا، فيُصَبُّ عليهم ماءُ الحَياةِ، فَيَنْبُتُونَ منه كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعالى مِنَ القَضاءِ بيْنَ العِبادِ، ويَبْقى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بوَجْهِهِ على النّارِ وهو آخِرُ أهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، اصْرِفْ وجْهِي عَنِ النّارِ، فإنَّه قدْ قَشَبَنِي رِيحُها، وأَحْرَقَنِي ذَكاؤُها، فَيَدْعُو اللَّهَ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالى: هلْ عَسَيْتَ إنْ فَعَلْتُ ذلكَ بكَ

أنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فيَقولُ: لا أسْأَلُكَ غَيْرَهُ، ويُعْطِي رَبَّهُ مِن عُهُودٍ ومَواثِيقَ ما شاءَ اللَّهُ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وجْهَهُ عَنِ النّارِ، فإذا أقْبَلَ على الجَنَّةِ ورَآها سَكَتَ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يقولُ: أيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إلى بابِ الجَنَّةِ، فيَقولُ اللَّهُ له: أليسَ قدْ أعْطَيْتَ عُهُودَكَ ومَواثِيقَكَ لا تَسْأَلُنِي غيرَ الذي أعْطَيْتُكَ، ويْلَكَ يا ابْنَ آدَمَ، ما أغْدَرَكَ فيَقولُ: أيْ رَبِّ، يَدْعُو اللَّهَ حتّى يَقُولَ له: فَهلْ عَسَيْتَ إنْ أعْطَيْتُكَ ذلكَ أنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فيَقولُ: لا وعِزَّتِكَ، فيُعْطِي رَبَّهُ ما شاءَ اللَّهُ مِن عُهُودٍ ومَواثِيقَ، فيُقَدِّمُهُ إلى بابِ الجَنَّةِ، فإذا قامَ على بابِ الجَنَّةِ انْفَهَقَتْ له الجَنَّةُ، فَرَأى ما فيها مِنَ الخَيْرِ والسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يقولُ: أيْ رَبِّ، أدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فيَقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالى له: أليسَ قدْ أعْطَيْتَ عُهُودَكَ ومَواثِيقَكَ أنْ لا تَسْأَلَ غيرَ ما أُعْطِيتَ؟ ويْلَكَ يا ابْنَ آدَمَ، ما أغْدَرَكَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، لا أكُونُ أشْقى خَلْقِكَ، فلا يَزالُ يَدْعُو اللَّهَ حتّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالى منه، فإذا ضَحِكَ اللَّهُ منه قالَ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فإذا دَخَلَها قالَ اللَّهُ له: تَمَنَّهْ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ ويَتَمَنّى حتّى إنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِن كَذا وكَذا، حتّى إذا انْقَطَعَتْ به الأمانِيُّ، قالَ اللَّهُ تَعالى: ذلكَ لكَ ومِثْلُهُ معهُ.)

١٦ - والإيمان بالأنبياء والملائكة

الإيمان بالأنبياء والملائكة من أركان الإيمان الستة التي لا يصح ولا يقبل إيمان العبد إلا بالإيمان بها واعتقادها قولا وعملاً ظاهراً وباطناً وهى، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره ، وجاء دليلها في القرأن والسنة الصحيحة كما قال ربنا عز وجل فى سورة البقرة (لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ) وقال سبحانه وتعالى في خواتيم سورة البقرة (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ)

وقال تعالى (كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ) وثبت ذلك في السنة الصحيحة في الحديث المجمع على صحته وهو حديث جبريل عليه السلام (بينما نحن عند رسولِ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ شديدُ سوادِ الشعرِ، لا نرى عليه أثرَ السفرِ ولا نعرفُه، حتّى جلس إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأسند ركبتَه إلى ركبتِه ووضع كفَّيهِ على فخذِه ثمَّ قال: يا محمدُ أخبِرْني عن الإسلامِ، ما الإسلامُ؟ قال: أنْ تشهدَ أنْ لا إلهَ إلّا اللهَ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ وتقيمَ الصلاةَ وتؤتيَ الزكاةَ وتصومَ رمضانَ وتحجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سبيلًا. قال: صدقتَ: قال عمرُ: فعجِبنا له يسألهُ ويصدقُه. فقال: يا محمدُ أخبرني عن الإيمانِ ما الإيمانُ؟ قال: الإيمانُ أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ والقدرِ كلِّه خيرِه وشرِّه. قال: صدقتَ. قال: فأخبرني عن الإحسانِ ما الإحسانُ؟ قال: أنْ تعبدَ اللهَ كأنك تراهُ فإن لم تكنْ تراهُ فإنه يراكَ. فقال :أخبرني عن الساعةِ متى الساعةُ؟ قال: ما المسئولُ عنها بأعلمَ من السائلِ. فقال :أخبرني عن أماراتِها. قال: أنْ تلدَ الأمةُ ربَّتها وأنْ ترى الحفاةَ العراةَ العالةَ رعاءَ الشّاءِ يتطاولونَ في البناءِ، قال: ثمَّ انطلقَ الرجلُ، قال عمرُ: فلبثتُ ثلاثًا ثمَّ قال رسولُ اللهِ ﷺ: يا عمرُ أتدري من السائلُ؟ قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: فإنه جبريلُ عليه السلامُ أتاكم يعلِّمَكم دينَكم)

وقد فصلنا ذلك وبينا القدر المجزئ في كل ركن من أركان الإيمان والإسلام في رسالة شرح أركان الإيمان ، ورسالة شرح أركان الإسلام ،و شرح حديث جبريل لشيخ الإسلام الموسوم ب الإيمان الأوسط .

١٧ - والإيمان بأن الجنة حق والنار حق وأنهما مخلوقتان الجنة في السماء السابعة وسقفها العرش والنار تحت الأرض السابعة السفلى وهما مخلوقتان قد علم الله تعالى عدد أهل الجنة ومن يدخلها وعدد أهل النار ومن يدخلها لا تفنيان أبدا بقاؤهما مع بقاء الله أبد الآبدين ودهر الداهرين

الإيمان بوجود الجنة والنار من الايمان بالغيب واليوم الاخر ،والجنة دار المتقين وجزاء الموحدين ،وهى في السماء والفردوس عرش الرحمن وهى درجات ، والنار دار الكافرين ومأوى المشركين ، وهى في سجين وأسفل سافلين ،وقيل أنها في الأرض أو في قاع البحار ،وتحديد موضعها على وجه الدقة لم يثبت في خبر صحيح ،واجتهد العلماء رحمهم الله في ذلك اعتمادا على تفسير بعض الأثار عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ،وأنهما مخلوقتان وموجودتان وستبقيان ولا تفنيان وهذا مذهب أهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة والمبتدعة والدليل على أن الجنة في السماء والنار في الأرض قول الله تعالى: (كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) وسِجِّين الأرض السُّفلى ؛ فالنَّار في الأرض. وما ثبت في صحيح البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ).

والحاصل أن الجنة في السماء قطعاً ،والنار لا يعرف مكانها على سبيل القطع واختلف العلماء في تحديد مكانها دليل على عدم ثبوت نص قطعى في تحديد مكانها ولو هناك دليل صحيح لقالوا به ،ولذلك اجتهدوا رحمهم الله على أنها في الأرض السابعة ،أو في سجين في قاع البحار ،أو في السماء وهو أبعدها قال الإمام محمد بن أحمد السفارينى الحنبلى ت 1188هـ في كتابه البحور الزاخرة في علوم الاخرة رداً على من استدل بأحاديث ليلة الإسراء وأن رسول الله رأى الجنة والنار ،قال رحمه الله (ولا حجة في هذا ونحوه على أنَّ النَّارَ في السَّماءِ لجوازِ أنْ يراها في الأرضِ وهو في السماءِ وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنةَ والنارَ وليست الجنةُ في الأرضِ وقد ثبت أنَّه ﷺ رآهما وهو في صلاةِ الكسوفِ وهو في الأرض وفي بعض طريق حديث الإسراء عن أبي هريرة أنَّه مر على أرضِ الجنةِ والنارِ في مسيره إلى

بيت المقدس. ولم يدل شيء من ذلك على أنَّ الجنةَ في الأرضِ، فحديث حذيفة إنْ ثبت فيه أنه رأى الجنةَ والنارَ في السماء، فالسماء ظرف للرؤية لا للمرئ أي: رأيتُ الجنةَ والنارَ حال كوني في السماءِ، يعني: صدرت الرؤيا مني وأنا في السماء، ولا تعرض في الحديث للمرئي فتأمل.

وفي حديث ضعيف جدًا أنه ﷺ رأى الجنةَ والنارَ فوق السماواتِ، فلو صح حُمِلَ على ما ذكرنا.

وقد أخرج القاضي أبو يعلى -من رءوس أصحابنا- بسند جيد عن الإمام أبي بكر المروزي أن الإمام أحمد رحمه الله فسر له آيات متعددة من القرآن، فكان مما فُسِّر له قوله ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ قال أطباق النيران ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ قال جهنم وهذا يدل على أنه يرى أن النار في الأرض بخلاف ما رواه الخلَّال، عن المروزي من أن النار في السماء.

وقال مجاهدٌ في قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ يعني: الجنة والنار وتأوّله بعضهم على أن المراد أن أعمال الجنة والنار مقدرة في السماء، والحاصل أن الجنة في السمواتِ والنارَ في الأرض على الصحيح المعتمد كما قدمناه واللّه تعالى الموفق.)انتهى .

وأن الله علم أهل الجنة والنار وعددهم ومن يدخل النار على التوقيت ويخرج منها ومن يدخل النار ولا يخرج منها ويخلد فيها على التأبيد نعوذ بالله من النار

١٨ - وآدم عليه السلام كان في الجنة الباقية المخلوقة فأخرج منها بعدما عصى الله عز و جل

فيه أن الجنة التي أسكنها الله أدم عليه السلام وأهبط منها هي جنة الخلد التي في السماء وهذا معتقد أهل السنة والجماعة والسلف الصالح ودليل ذلك قول الله تعالى (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) وثبت في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

النَّاسَ ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا ، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ...)

١٩ - والإيمان بالمسيح الدجال

مامن نبي إلا وحذر أمته الدجال ،**وسمى المسيح** لأنه ممسوح العين أعور ،خلافا للمسيح عيسى بن مريم الذى يمسح على المريض فيبرئ الأكمه والأبرص، ويحي الموتى بإذن الله، فقد روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ ،**وسمى دجالاً** لخلطه وتلبيسه وكذبه وتمويهه وتضليله الناس وفتنتهم

والدجال رجل من بنى أدم يخرج في أخر الزمان وخروجه علامة من علامات الساعة الكبرى بعد ظهور المهدى ونزول عيسى عليه السلام على المنارة البيضاء في مسجد دمشق فيقتل الدجال عند باب لد فيذوب كما يذوب الملح في الماء

وقد حرم الله عليه دخول المدينة ،وهو فتنة جاءت الأحاديث بالإستعاذة منه ،وأحاديث الدجال صحيحة ثابتة متفق على صحتها رواها البخارى ومسلم وغيرهما منها حديث أبو سعيد الخدري رضى الله عنه في الصحيحين (حَدَّثَنا رَسولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا طَوِيلًا عَنِ الدَّجّالِ، فَكانَ فِيما حَدَّثَنا به أنْ قالَ: يَأْتِي الدَّجّالُ -وهو مُحَرَّمٌ عليه أنْ يَدْخُلَ نِقابَ المَدِينَةِ- بَعْضَ السِّباخِ الَّتي بالمَدِينَةِ، فَيَخْرُجُ إلَيْهِ يَومَئذٍ رَجُلٌ هو خَيْرُ النّاسِ -أوْ مِن خَيْرِ النّاسِ- فيَقولُ: أشْهَدُ أنَّكَ الدَّجّالُ الَّذي حَدَّثَنا عَنْكَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فيَقولُ الدَّجّالُ :أرَأَيْتَ إنْ قَتَلْتُ هذا، ثُمَّ أحْيَيْتُهُ؛ هلْ تَشُكُّونَ في الأمْرِ؟ فيَقولونَ: لا، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فيَقولُ حِينَ يُحْيِيهِ: واللَّهِ ما كُنْتُ قَطُّ أشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَومَ، فيَقولُ الدَّجّالُ :أقْتُلُهُ فلا أُسَلَّطُ عليه)وفيهما عن عبد الله بن عمر(ذُكِرَ الدَّجّالُ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ لا يَخْفى علَيْكُم، إنَّ اللَّهَ ليسَ بأَعْوَرَ - وأَشارَ بيَدِهِ إلى عَيْنِهِ - وإنَّ المَسِيحَ الدَّجّالَ أعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنى، كَأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِيَةٌ.)وفيهما عن أبي هريرة (كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو ويقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِن عَذابِ القَبْرِ، ومِنْ عَذابِ النّارِ، ومِنْ

فِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ، ومِنْ فِتْنَةِ المَسِيح الدَّجّالِ.)وفيهما أيضاً عن أنس بن مالك رضى الله عنه (ليسَ مِن بَلَدٍ إلّا سَيَطَؤُهُ الدَّجّالُ، إلّا مَكَّةَ والمَدِينَةَ؛ ليسَ له مِن نِقابِها نَقْبٌ إلّا عليه المَلائِكَةُ صافِّينَ يَحْرُسُونَها، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بأَهْلِها ثَلاثَ رَجَفاتٍ، فيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كافِرٍ ومُنافِقٍ.)وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه (-أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجّالِ، ما حَدَّثَ به نَبِيٌّ قَوْمَهُ: إنَّه أعْوَرُ، وإنَّه يَجِيءُ معهُ بمِثالِ الجَنَّةِ والنّارِ، فالَّتي يقولُ إنَّها الجَنَّةُ هي النّارُ، وإنِّي أُنْذِرُكُمْ كما أنْذَرَ به نُوحٌ قَوْمَهُ.)و كانَ سَعْد بن أبى وقاص رضى الله عنه، يَأْمُرُ بخَمْسٍ، ويَذْكُرُهُنَّ عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّه كانَ يَأْمُرُ بهِنَّ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ البُخْلِ، وأَعُوذُ بكَ مِنَ الجُبْنِ، وأَعُوذُ بكَ أنْ أُرَدَّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ الدُّنْيا - يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجّالِ -وأَعُوذُ بكَ مِن عَذابِ القَبْرِ.)كما في صحيح البخارى ، وروى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنْ الدِّينِ وَإِدْبَارٍ مِنْ الْعِلْمِ فذكر الحديث وفيه :ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُنَادِي مِنْ السَّحَرِ فَيَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ فَيَقُولُونَ هَذَا رَجُلٌ جِنِّيٌّ فَيَنْطَلِقُونَ فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُقَامُ الصَّلاةُ فَيُقَالُ لَهُ تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللَّهِ فَيَقُولُ لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ فَإِذَا صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ قَالَ فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابُ يَنْمَاثُ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَيَمْشِي إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِي يَا رُوحَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ فَلا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلا قَتَلَهُ)نعوذ بالله من جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن ،ونسأل الله أن ينصر دينه وسنة نبيه وعباده المؤمنين المجاهدين في سبيله لإعلاء كلمته وأن يخذل اليهود ومن هاودهم وعاونهم وفتح لهم بلاد المسلمين ،اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك ،ومكن لدينك أن يحكم وشريعتك أن تسود .أمين.

٢٠ - والإيمان بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل فيقتل الدجال ويتزوج ويصلي خلف القائم من آل محمد صلى الله عليه و سلم ويموت ويدفنه المسلمون

والإيمان بأن عيسى عبد الله ورسوله أرسله الله لبنى إسرائيل فتآمروا عليه ليقتلوه فنجاه الله منهم ورفعه إليه في السماء وسينزل في أخر الزمان ونزوله علامة من علامات الساعة الكبرى بعد ظهور المهدى وخروج الدجال فينزل على المنارة البيضاء في دمشق وقد اجتمع المؤمنون للصلاة وإمامهم المهدى القائم بأمر الله فيقدمه للصلاة فيرفض عيسى عليه السلام أن يصلى بالناس ويقول أن إمامكم منكم فيصلى مع الناس خلف المهدى ثم يذهب فيقتل المسيخ الدجال ،كما سبق معنا تفصيل ذلك عند ذكر الدجال ،ثم يحكم عيسى بالإسلام وبشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويكسر الصليب الذى ابتدعه قسطنطين الذى حرف دين عيسى عليه السلام وأحل لهم الخنزير وبنى لهم الكنائس والمعابد وصور لهم فيها الصور واخترع النصارى الصليب وجعلوه شعاراً لهم زاعمين أن عيسى عليه السلام مات وصلب ،فينزل عيسى عليه السلام ويبطل الجزية لأنه لا يكون إلا مسلم فقط ويحكم بالعدل وينشر الأمن ويكثر ويفيض الخير ثم يحكم ما شاء الله له أن يحكم ثم يموت كما يموت البشر ويدفنه المسلمون لأنه إماماً منهم تابع لمحمد صلى الله عليه وسلم ولم يأتي بشريعة جديدة ،لأن محمد رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين ،لذلك صلى عيسى عليه السلام مأموماً خلف المهدى ،ولم يثبت في خبر صحيح أنه تزوج فلا نجزم بغيب من غير دليل ،وقد جاءت الآيات والأحاديث دالة على كل ذلك منها قول الله سبحانه وتعالى (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(55) سورة آل عمران

وردّ الله على اليهود الذين زعموا أنهم قتلوه ، فقال سبحانه وتعالى عنهم (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا(155)

وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا(156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(158)وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا)(159) سورة النساء.

ومن السنة ماثبت في الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ). وروى مسلم في صحيحه عن جَابِرِ بْن عَبْدِ اللَّهِ قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ : فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ : تَعَالَ صَلِّ لَنَا . فَيَقُولُ : لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ) متفق عليه.

٢١ - والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء

هذا أهم باب في الرسالة وهو الأصل الذى تبنى عليه جميع المسائل ،وهو أول أمر وقع الخلاف فيه ، فكل خلل في المنهج أو السلوك مرده إلى الخلل في مفهوم الإيمان والكفر ،لذلك سنفصل فيه ونبين عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان والكفر مع كثرة الاستدلال على ذلك من القرأن والسنة الصحيحة وأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان من الأئمة وشيوخ الإسلام

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة وأصول الاعتقاد عندهم أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ،،يزيد بالطاعات وترك المحرمات ، وينقص بالمعاصي وترك الطاعات فالإيمان عند أهل السنة يتركب من أركان ثلاثة لا ينفك

أحدها عن الأخر ولا يجزئ بعضها عن بعض ،فالاعتقاد ركن ،والقول ركن والعمل ركن ، والأعمال من الإيمان وداخلة فيه ،داخلة في الأصل والواجب والمستحب ،وأن من الأعمال ما يزول الإيمان بزواله ، ومنها ما ينقص الإيمان بتركها ولا يزول ،فهى أصل وشعب ،ولا يزول إلا بزوال أصله ، والخلاف مع المرجئة المعاصرة ليس في تعريف الإيمان ، ولكن في منزلة الأعمال وحكم تاركها بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز

أولاً: دلالة القرآن على أن الإيمان قول وعمل لا يصح أحدهما بدون الآخر.

قول الله تبارك وتعالى : " وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" ([1]) .

وقوله سبحانه : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ "([2]) .

وقوله سبحانه : " فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (56) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ " ([3]).

---

(1) سورة البقرة : آية 25.

(2) سورة البقرة : آية 277.

(3) سورة آل عمران : آية 56 ، 57.

وقوله سبحانه : " وَالَّذِينَ آمَنُوا **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً "([4]) .

وقوله سبحانه : " وَالَّذِينَ **آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلاً"

الأدلة على أن الإيمان اعتقاد بالقلب

مر معنا أن الإيمان عند أهل السنة مركب من الاعتقاد والقول والعمل والدليل على ذلك قول الله ﷻ : " قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلْ الإِيمَانُ فِي **قُلُوبِكُمْ** وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "([5])

وقوله سبحانه : " لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي **قُلُوبِهِمْ** الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ"([6])

وقال سبحانه : " إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ " ([7])

---

(4) سورة النساء : آية 57

(5) سورة الحجرات : آية 14 .

(6) سورة المجادلة : آية 22 .

(7) سورة النحل : آية 100 .

وقال سبحانه : " وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي **قُلُوبِهِمْ** وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ " [8]

وقال سبحانه : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنْ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ **قُلُوبُهُمْ** وَمِنْ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ **قُلُوبَهُمْ** لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " [9] .

وقول الرسول ﷺ - في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد وأبو داوود والترمذي- " يخلص الإيمان إلى **قلبه** ولم يدخل الإيمان إلى **قلبه**" إلى غير ذلك من الأدلة الصريحة في أن إيمان القلب شرط في الإيمان ، ولا يصح الإيمان بدونه ، وأنه إذا وجد سرى ذلك إلى الجوارح ولابد.

وإيمان القلب ليس مجرد العلم والمعرفة والتصديق بالله ﷻ ، وخبر الرسول ﷺ بل لابد مع ذلك من الانقياد والاستسلام والخضوع والإخلاص وغير ذلك مما يدخل تحت عمل القلب .. سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

الأدلة على قول اللسان " الإقرار باللسان

قول اللسان جزء من مسمَّى الإيمان وركن فيه ، والمقصود بقول اللسان : الأعمال التي تُؤدَّى باللسان : كالشهادتين والذكر وتلاوة القرآن والدعاء وغير ذلك مما لا يُؤدَّى إلا باللسان ، وهذه الأعمال منها ما هو أصل في

---

(8) سورة آل عمران : آية 167.

(9) سورة المائدة : آية 41.

الإيمان يزول الإيمان بزوالها ، ومنها ما هو واجب ، ومنها ما هو مستحب ، ومن الأدلة على ذلك :

قول الله ﷻ : " **قُولُوا** آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"([10])

وقوله سبحانه : " **قُلْ** آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ "[11]

وقوله سبحانه : " وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ **يَقُولُونَ** بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ " ([12])

وقوله سبحانه : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنْ الَّذِينَ **قَالُوا** آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنْ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " ([13])

---

(10) سورة البقرة : آية 136.

(11) سورة آل عمران : آية 84 .

(12) سورة آل عمران : آية 167.

(13) سورة المائدة : آية 41.

وقوله سبحانه : " وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ **وَقُولُوا** آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"([14]) .

وقوله سبحانه : " وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ **قَالُوا آمَنَّا** بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ " ([15]).

وقوله سبحانه : " فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ **وَقُلْ آمَنْتُ** بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ " ([16]) .

وقوله سبحانه : " إِنَّ الَّذِينَ **قَالُوا رَبُّنَا** اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ " ([17])

إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على قول اللسان والإقرار به .

ومن الأحاديث النبوية الصحيحة في ذلك قول ﷺ في الصحيحين : " أمرت أن أقاتل الناس ، حتى **يقولوا** لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها " وفي رواية الإمام مسلم : " حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله".

فقد أخبر ﷺ في هذا الحديث الشريف أن العصمة في الدم والمال والعرض تثبت في الدنيا **بالقول** ، وهذا الذي يسمى بالإسلام الحكمي الذي ينجي من القتل في الدنيا ...

(14) سورة العنكبوت : آية 46.

(15) سورة القصص : آية 53.

(16) سورة الشورى : آية 15.

(17) سورة الأحقاف : آية 13.

ومن الأحاديث أيضًا التي تدل على قول اللسان قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه : " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها **قول** لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان" ؛ فهذا الحديث أصل في أمور كثيرة منها : دخول الأعمال والأقوال والاعتقادات في مسمى الإيمان ، وفيه الرد على المرجئة وكذلك الخوارج الذين يجعلون الإيمان جزءًا واحدًا ، شيئًا واحدًا ، إذا زال بعضه زال أصله ، فهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادتين وما يلحق بها من أصل الإيمان ، ومنها ما لا يزول الإيمان بزوالها - كإماطة الأذى - من الإيمان الواجب والإيمان المستحب ، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على مراتب الدين.

فالنطق بالشهادتين أصل قول اللسان وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأتِ بهما فهو كافر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وقال أيضًا :

" فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين ، وهو كافر باطنًا وظاهرًا عند سلف الأمة وأئمتها " وقال أيضًا : " إن الذي عليه الجماعة أن من لم يتكلم بالإيمان بلسانه من غير عذر لم ينفعه ما في قلبه من المعرفة ، وأن القول من القادر عليه شرط في صحة الإيمان "

وقال الإمام ابن رجب في جامع العلوم والحكم : " ومن ترك الشهادتين خرج من الإسلام " والمقصود بالشهادتين كما لا يخفي ليس مجرد النطق بهما ، بل التصديق لمعانيهما وإخلاص العبادة لله ، والتصديق بنبوة محمد ﷺ ، والإقرار ظاهرًا و باطنًا بما جاء به ، فهذه الشهادة هي التي تنفع صاحبها عند الله ﷻ ، ولذلك أتت في الأحاديث الصحاح مقيدة بقيود ثقال من الشروط التي لا تصح إلا بها من العلم واليقين والانقياد والقبول والصدق والإخلاص والمحبة ، ولم يكن الإقرار بالشهادتين وترك العمل بشرائع الإسلام أمرًا معروفًا ولا معهودًا في زمن الصحابة ، ولهذا لم يجد المنافقون بدًا من إظهار العمل والتدين به ، ولو لم يفهم المنافقون ذلك ما عملوا ، وقد مر معك الأدلة على أن الأعمال من الإيمان.

وقد عدَّها الشيخ بكر بن عبد الله أكثر من ستين موضعًا في كتاب الله ، وقد ذكر ذلك في رسالته القيمة " درء الفتنة عن أهل السنة " والأدلة على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل كثيرة جدًا تفوق الحصر انظر على سبيل المثال الشريعة للآجري وأصول الاعتقاد للالكائي ومعارج القبول للشيخ الحكمي أول الجزء الثاني فقد استفاض - رحمه الله - في ذكر الأدلة من القرآن والسنة وكذلك نواقض الإيمان للوهيبي وآل الشيخ .

الأدلة من أقوال السلف على أن العمل من الإيمان وركن فيه

(قد حكى غير واحد إجماع الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين على أن العمل من الإيمان ولا ينفع ولا يصح الإيمان ولا يثبت الإسلام الحقيقي إلا بأركانه الثلاثة الاعتقاد والقول والعمل ، ومن هؤلاء الشافعي ، والبغوي ، وابن عبد البر - رحم الله الجميع - ، ونحن بدأنا بالإجماع قبل ذكر أقوال السلف لأن الإجماع هو الأصل الثالث ، والمصدر الثالث من مصادر الاستدلال عند أهل السنة بعد كتاب الله ﷻ ، وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الثابتة بفهم السلف ، بل أصبح هذا مما يميزهم عن أهل البدع ، كما أنه من المقطوع به عندهم أيضًا أن من الأقوال والأعمال ما هو كفر أكبر يخرج من الملة ، وقد حكى غير واحد الإجماع على أن الكفر يكون بالقول والعمل والاعتقاد ، وأن سب الله ورسوله كفر مخرج من الملة ، ومن هؤلاء الإمام إسحاق بن راهويه ، ومحمد بن سحنون ، وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن حزم وسليمان آل الشيخ وأبا بطين ، ومحمد بن إبراهيم ، وقد ظن البعض أن الكفر العملي لا يخرج صاحبه من الإسلام وأنَّ سب الله ورسوله مستثنى من ذلك ، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة ، ومن فرق بين سب الله أو رسوله وبين أي قول أو عمل أجمع المسلمون أنه كفر كالذبح والنذر لغير الله والدعاء والاستغاثة لغير الله والطواف بغير الكعبة أو السجود لصنم أو نحو ذلك فعليه الدليل ، فلا يظن ظان أن في المسألة خلافًا يجعل المسألة من مسائل الخلاف والاجتهاد ، إذ لا

يستطيع أحد أن يحكي عن واحد من علماء أهل السنة والجماعة خلاف ذلك البتة)[18]

وقد ذكر الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أسماء الصحابة والتابعين والفقهاء الذين يقولون بهذا القول ومنهم : عمر ، وعلي ، ومعاذ ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو الدرداء ، وجابر ، ومن التابعين : الحسن البصري ، وعمر بن عبد العزيز ، سعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومن الفقهاء : مالك ، والليث ، والأوزاعي ، وابن عيينة ، والفضيل ، والشافعي ، والثوري ، والحميدي ، ووكيع ، وابن المبارك ، وابن راهويه ، والإمام أحمد ، وأبوثور ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، ويحي بن سعيد القطان.

وكل ذلك يدلك على أن الأعمال من الإيمان وركن فيه وأن تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز كافر وليس بمسلم ، ولم يقل أحد من أهل السنة غير ذلك مع تفريقهم بين جنس العمل الذي هو أصل الإيمان ، وبين آحاد الأعمال من الواجب والمستحب وإليك إجماعهم على ذلك وقد نقله غير واحد كما ذكر ذلك القرني في " ضوابط التكفير ".

قال الإمام الشافعي - رحمه الله :

" وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون إن الإيمان قول وعمل ونية ، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر" ذكره شيخ الإسلام في الإيمان والأم للشافعي وقال شيخ الإسلام أن معنى لا يجزئ يعني لا يصح ولا يقبل ولا ينفع قول بلا عمل.

وقال الإمام البغوي - رحمه الله :

" اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان .... وقالوا إن الإيمان قول وعمل وعقيدة ... لقوله سبحانه

---

(18) التوسط والاقتصاد : ص 11 – 13 بتصرف يسير .

وتعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ "[19] فجعل الأعمال كلها إيمانًا وكما نطق به حديث أبي هريرة (يعني حديث الشُّعَب).[20]

وقال الإمام ابن عبد البر - رحمه الله :

(أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ، ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمي إيمانًا ، قالوا إنما الإيمان التصديق والإقرار) وقد ذكر الإمام اللالكائي في كتابه عن محمد بن سليمان بن علي أن النبي� قال : " الإيمان والعمل قرينان لا يصلح واحد منهما إلا مع صاحبه")[21] ومعناه صحيح .

وقد قال شيخ الإسلام بعد حديث ابن عباس عن وفد عبد القيس : فدل على أنه لا إيمان باطن إلا بإسلام ظاهر ، ولا إسلام ظاهر علانية إلا بإيمان سر ، الإيمان والعمل قرينان ، ولا ينفع أحدهما بدون صاحبه"[22]

والنصوص كثيرة جدًا تدل على هذا الأصل وإليك أقوال أهل السنة في تعريف الإيمان وأنه قول وعمل لا يصح أحدهما بدون الآخر ، ولا يقصدون بالعمل عمل القلب فقط كما يدعيه مرجئة العصر ، بل يقصدون بالعمل عمل الجوارح لأن طوائف من المرجئة يعتبرون عمل القلب ويزول الإيمان بزواله ، ولكن اختلاف المرجئة مع أهل السنة في تارك أعمال

---

(19) سورة الأنفال : آية 2–4.

(20) شرح السنة : 1 /38 ، 38.

(21) التمهيد لابن عبد البر : 238/9 .

(22) مجموع الفتاوى : 335/7 .

الجوارح بالكلية وإليك كلام السلف وفهمهم لمعنى الإيمان قول وعمل ، وما يقصدون بالعمل ؟ فاحذر بارك الله فيك من هذه التلبيسات وكن على يقين وتثبت أن من قال العمل كمال في الإيمان وأن تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز مسلم ، فاحذره على دينك واعلم أنه مرجئ تلبس بلباس أهل السنة ووافقهم في اللفظ وخالفهم في الحقيقة والمعنى ، وإن ادعى أنه سلفي ملتزم بفهم السلف وما فهموه من القرآن والسنة أن الإيمان قول وعمل ، فقل له هذا فهم السلف فاذكر لنا من قال منهم أن ترك العمل بالكلية ليس بكفر ؟

قال الإمام الزهري - رحمه الله - المتوفى سنة 124هـ

" الإيمان قول وعمل قرينان لا ينفع أحدهما إلا بالآخر " ومرجئة العصر يقولون ينفع.

قال الحسن البصري - رحمه الله - المتوفى سنة 110هـ

" الإيمان قول وعمل ، ولا قول إلا بعمل ، ولا قول وعمل إلا بنية ، ولا قول وعمل ونية إلا بسنة " ومرجئه العصر يقولون المقصود عمل القلب ، وعمل الجوارح ليس من الإيمان.

وقال الإمام الأوزاعي - رحمه الله - المتوفى سنة 157هـ.

" لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل ، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بنية موافقة للسنة " فكان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل ، والعمل من الإيمان ، والإيمان من العمل ، ويقولون يعني المرجئة إن فرائض الله على عباده ليست من الإيمان ، وأن الإيمان قد يطلب بلا عمل ، وأن الناس لا يتفاضلون في إيمانهم ، وأن برهم وفاجرهم في الإيمان سواء ! وما هكذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فإنه بلغنا أنه قال : "الإيمان بضع وسبعون .أو بضع وستون ، أولها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان" وقال تعالى : " لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ

الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " ([23]) والدين هو التصديق ، وهو الإيمان والعمل ، فوصف الله ﷻ الدين قولاً وعملاً ، فقال : " فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" ([24]) والتوبة من الشرك وهو الإيمان والصلاة والزكاة عمل"[25]

وقال الإمام سفيان الثوري - رحمه الله - المتوفى سنة 161هـ.

" اتقوا هذه الأهواء ، قيل له : بين لنا رحمك الله ، فقال أما المرجئة ، فيقولون الإيمان كلام بلا عمل ، من قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فهو مؤمن مستكمل الإيمان"

وقال محمد بن يوسف دخلت على سفيان الثوري وفي حجره المصحف وهو يقلب الورق ، فقال : ما أحد أبعد منه من المرجئة " .[26]

وكان سفيان الثوري لا يرى الصلاة خلف المرجئي ويقول : لا تصلي ولا كرامة.

وقال مالك بن أنس : لا تناكحوه .

وقال يزيد بن هارون: من كان داعية إلى الإرجاء فإن الصلاة خلفه تُعاد وكان السلف يهجرونهم ولا يجالسونهم لبدعتهم القبيحة.

---

(23) سورة الشورى : آية 13.

(24) سورة التوبة : آية 11.

(25) انظر أصول الاعتقاد للالكائي : ص 6،137 ، والسنة للخلال: ص 586 ، والفتاوى لابن تيمية : 296/7 .

(26) أصول الاعتقاد للالكائي : ص281، 285.

قال الإمام الكبير حافظ العصر شيخ الإسلام الحجة الثبت سفيان بن عيينة رحمه الله ، سنة 198هـ.

عندما سأله تلاميذه عن الإرجاء فقال : " يقولون الإيمان قول ونحن نقول قول وعمل ، والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصرًا بقلبه على ترك الفرائض ، الإيمان قول وعمل أخذناه ممن قبلنا وأنه لا يكون قول إلا بعمل" [27] وهذا سند متصل من ابن عيينة إلى الصحابة.

الإمام الشافعي . رحمه الله تعالى . المتوفى سنة 204 هـ

قال : " وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : إن الإيمان قول وعمل ونية ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر " [28]

الإمام الكبير شيخ المشرق سيد الحفاظ الثقة المأمون إسحاق بن راهويه المتوفى في سنة 238 هـ رحمه الله يعدل الإمام أحمد قال :

" الإيمان قول وعمل ، وغلت المرجئة حتى صار من قولهم أن قومًا يقولون : من ترك الصلوات المكتوبات وصوم رمضان والزكاة والحج وعامة الفرائض من غير جحود لها ، لا نكفره يرجى أمره إلى الله بعد إذ هو مقر ، فهؤلاء الذين لا شك فيهم يعني المرجئة " [29]

---

(27) السنة لعبد الله بن أحمد : 346/1 .

(28) أصول الاعتقاد للالكائي : 957/5 .

(29) الفتح : 1 \ 23

الإمام الحافظ الحجة المجتهد الفقيه الثقة المأمون من أحد أئمة الدنيا أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي المتوفى سنة 240 هـ.

قال رحمه الله : " اعلم - يرحمنا الله وإياك - أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح " وسيأتي كلامه كاملاً في كفر تارك أعمال الجوارح بالكلية "[30]

سهل بن عبد الله التستري . رحمه الله - المتوفى سنة 283 هـ :

سُئل عن الإيمان فقال:

" قول وعمل و نية وسنة ، لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر ، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق ، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة "[31]

إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - المتوفى سنة 241 هـ قال :

" الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[32]

الإمام البخاري - رحمه الله - المتوفى سنة 256 هـ.

قال في صحيحه الجامع : " باب من قال : إن الإيمان هو العمل" ثم ذكر الآيات التي تدل على أن الإيمان قول وعمل ، وقال رحمه الله : " لقيت

---

(30) انظر المجلد السابع من مجموع الفتاوى لابن تيمية.

(31) مجموع الفتاوى : 170/7 .

(32) وله عدة روايات في ذلك ، انظر الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة : جمع عبد الإله الأحمدي وهو كتاب نفيس جدًا في مجلدين .

أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار ، فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[33]

الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجُري- رحمه الله - المتوفى سنة 360 هـ

وقد عقد بابًا في كتابه " الشريعة" وسماه : باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ، لا يكون مؤمنًا إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث وأنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق ، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا ، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان ، حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمنًا ، دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين ، منهم مالك والشافعي وأحمد والفضيل وابن جريج وكان وكيع يقول : أهل السنة يقولون الإيمان قول وعمل والمرجئة يقولون الإيمان قول ، والجهمية يقولون : الإيمان المعرفة.

ثم قال : " اعلموا - رحمنا الله وإياكم - يا أهل القرآن ، ويا أهل العلم ، ويا أهل السنن والآثار ، ويا معشر من فقههم الله تعالى في الدين ، بعلم الحلال والحرام أنكم أن تدبرتم القرآن ، كما أمرك الله تعالى علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله : العمل ، وأنه تعالى لم يُثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم ، وأنهم قد رضوا عنه ، وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار ، إلا بالإيمان والعمل الصالح ، وقرن مع الإيمان العمل الصالح ، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده ، حتى ضم إليه العمل الصالح ، الذي قد وفقهم له ، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقًا بقلبه ، وناطقًا بلسانه ، وعاملاً بجوارحه لا يخفى من تدبر القرآن وتصفحه وجده كما ذكرت"

---

(33) الفتح : 47/1.

وطالب الحق يكفيه دليل ، وصاحب الزيغ والهوى لا يكفيه ألف دليل ، فهو يتبع المتشابه من الأقوال ، وكلما جئت له بدليل أتى عليه بشبهة وقياس عقلي ، وصدق الله : " فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ " فربما يقول أهل الإرجاء نحن نقول مثل كلام السلف الإيمان قول وعمل ، وليس في كلام السلف أن من ترك العمل كافر ، وكلهم يقولون ويقصدون بالعمل التمام ، ويقصدون بكلمة تمام وتام : الكمال وليس الشرط والركن ، أي والله - يقولون ذلك ويفسرون كلام السلف على أصل بدعتهم وضلالهم.

ولكن الإمام الآجري يقطع عليهم ذلك بقوله الواضح البين الفطن فيقول :

"من قال الإيمان قول دون العمل يقال له ، رددت القرآن والسنة وما عليه جميع العلماء ، وخرجت من قول المسلمين وكفرت بالله العظيم"[34]

الإمام الحافظ المحدث محمد بن إسحاق ابن منده - رحمه الله – المتوفى سنة 395 هـ.

ذكر - رحمه الله - قول النبي ﷺ " من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" وذلك في مقام الاستدلال به على أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان وأنه يزيد وينقص"[35]

(34) الشريعة للأجري : 98 ، 117.

(35) كتاب الإيمان : 341/2 ، نقلاً عن نواقض الإيمان آل الشيخ 16 .

الإمام ابن عبد البر عمر بن يوسف بن عبد الله النمري القرطبي المالكي حافظ المغرب - رحمه الله - المتوفى سنة 463 هـ

قال : " أجمع أهل العلم والفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ونية"[36]

والمتأمل في كلام السلف يرى اتفاق كلامهم على قول واحد لا اختلاف فيه ، بل والعبارات والجمل والكلمات تكاد تكون واحدة مما يدلك على هذا الأصل الذي فهمه الصحابة ﷺ من رسول الله ﷺ ونقل التابعين فيما وصل إلينا بالتواتر والسند المتصل إلى رسول الله ﷺ لم يخالف في ذلك إلا أهل البدع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، علم الأعلام المتوفى سنة 728 هـ رحمه الله :

" والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف ، وهو مذهب أهل الحديث ، وهو المنسوب إلي أهل السنة أن الإيمان قول وعمل .. قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح "[37]

وسيأتي تفصيل ذلك حتى لا يقول أهل الإرجاء أن المقصود بالعمل الذي هو ركن في الإيمان ويزول الإيمان بزواله هو عمل القلب وهو مقصود السلف وليس عمل الجوارح .

---

(36) التمهيد : 238/9 ، وقد سبق كلامه عند نقلنا الإجماع على ذلك مع كلام الشافعي والبغوي.

(37) مجموع الفتاوى : 223/7 .

يزيد الأمر هذا وضوحًا وبيانًا قول الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي المتوفى سنة 1206هـ . رحمه الله :

" ولا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما "[38]

وهذا يدلك على أن التصديق والمعرفة التي هي قول القلب لا تنفع إلا مع الالتزام والانقياد والقبول والاستسلام والطاعة فقول القلب المجرد كالعدم

ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - المتوفى سنة 751 هـ في كتاب " الصلاة وحكم تاركها " كلامًا هو في غاية الوضوح والمتانة في إثبات حقيقة الإيمان وأنها (مركبة من قول وعمل والقول قسمان : قول القلب وهو اعتقاده ، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام ، والعمل قسمان عمل القلب : وهو نيته وإخلاصه ، وعمل الجوارح ، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكامله ، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء ، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة ، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان ، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب ،وهو محبته وانقياده ، كما لا ينفع إبليس وفرعون وقومه ، واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ ، بل ويقرون به سرًا وجهرًا ويقولون ليس بكاذب ، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به) فلابد من الانقياد والاستسلام والقبول والصدق والإخلاص وهو ما يسمى بعمل القلب ، ويلزم من ذلك قول اللسان وعمل الجوارح وهذه الأجزاء مترابطة مركبة لا غنى للواحدة منها عن الأخرى كما مر معك من الإجماع على ذلك وكما سيأتي الكلام على التلازم بين الظاهر والباطن : بين عمل القلب وعمل الجوارح ، وهذا تصديقًا لكلام النبي ﷺ في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه في

---

(38) انظر رسالة : كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

الصحيح : " الحلال بين والحرام بين .... ألا وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت ، فسد الجسد كله ألا وهي القلب " ، فأعمال الجوارح أصلها ما في القلب ، فإن وجد عمل القلب كانت أعمال الجوارح ، وإن ضعف ما في القلب ضعفت أعمال الجوارح ، وإن زالت أعمال القلب زالت أعمال الجوارح بالكلية للتلازم بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح .

فاعتقاد القلب : يزول بالجحود والشك والتكذيب.

وقول اللسان : يزول بالقول المكفر والامتناع مع القدرة وعدم العجز وعمل الجوارح : يزول بالترك الكلي مع القدرة والتمكن وعدم العجز ، لأن الإيمان شعب أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى ، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والمعاصي دون الكفر لا تُخرج من الإسلام ولا يكفر بها إلا بالاستحلال و لا يزول الإيمان إلا بزوال أصله.

معنى القول والعمل عند أهل السُنَّة

من الأصول المقررة عند أهل السنة أنه عند الاختلاف يجب رد التنازع إلى الله ورسوله : إلى كتاب الله المحكم ، وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة الثابتة بفهم الصحابة ﵃ أجمعين ، وفهم الصحابة مقدم على فهم غيرهم ، وإجماعهم مقدم على إجماع غيرهم ، هذا الأصل يجب العمل به واقعًا عمليًا نحكم به حياتنا وتعاملاتنا ولا نخرج عنه بإعمال العقل والنظر كالمعتزلة وغيرهم.

وقد أمرنا برد التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتباع سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين وإجماع المسلمين فقال سبحانه " فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً "[39] وقال سبحانه : " وَمَن

(39) النساء: آية 59 .

يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا " [40] .

نقول هذا لأنه قد وجد في زماننا أناس ينتمون إلى أهل السنة وينتسبون إلى السلف ولكن يخالفون فهم السلف فيقولون : (نعم نعتقد أن الإيمان اعتقاد و قول وعمل والعمل من الإيمان ولا نقول بقول المرجئة أنه اعتقاد وقول فقط ، ونقول أنه يزيد وينقص ولا نقول بقول المرجئة والخوارج أنه لا يزيد ولا ينقص أو يزيد ولا ينقص ، ونقول بالاستثناء ، ونقول أن أصحاب الكبائر تحت المشيئة ، ولا نكفر بالمعاصي مثل الخوارج ، نقول بقول أهل السنة فلماذا تتهموننا بالإرجاء وقول المرجئة ؟ ونحن نعتقد أن تارك أعمال الجوارح بالكلية مسلم تحت المشيئة ومآله إلى الجنة وإن كنَّا نكفره في أحكام الدنيا ، أما عند الله في أحكام الآخرة ممكن أن ينجوا ويدخل الجنة ، وقد قال بذلك أبو حنيفة ومن تابعه على قوله ، ونعرف أن السلف أنكروا عليهم ذلك وسموهم مرجئة الفقهاء ، والاختلاف لفظي وليس حقيقي لأننا ندخل العمل في الإيمان لكن لا نقول أنه ركن ومن أصل الإيمان بل نقول أن العمل كمالي في الإيمان وتاركه لا يخلد في النار ، وما سميتموه " جنس العمل" مع حداثة هذا المصطلح لا نُقِر به وإن قال به شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن رجب الحنبلي ، وأئمة الدعوة فلماذا هذه الحملة الشرسة علينا واتهامنا بالإرجاء والزيغ والضلال ونحن معكم على الخط السلفي وندعوا إلى منهج السلف ؟)

هكذا يقول هؤلاء ونحن نسألهم سؤلاً واحدًا مَنْ فهم مِن السلف مثل فهمكم وقال بمثل قولكم في أن الأعمال كمال في الإيمان وأن تارك أعمال الجوارح بالكلية مسلم؟؟ حقيقة قولكم هو أصل قول المرجئة القول باللسان وتصديق القلب - قول القلب - لأنكم أخرجتم حقيقة الأعمال فرجع قولكم إلى اعتقاد القلب وقول اللسان ، وقول القلب لا ينفع لأنه مجرد تصديق فقط تخلف عنه الانقياد الاستسلام والإذعان والقبول ،

---

(40) النساء: آية 115.

وكذلك تخلف عمل القلب من المحبة والإخلاص والصدق والخشية وغيرها من أعمال القلوب ، بل رجع قولكم إلى قول غلاة الجهمية وغلاة المرجئة من تصديق القلب فقط ولم يعمل خيرًا قط؟ هل هذا هو فهم السلف للقرآن والسنة هل هذا هو فهم السلف للأدلة الصحيحة الصريحة المتواترة على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل والعمل من الإيمان وركن فيه يزول الإيمان بزواله؟

وقد مر معك أن الإيمان عند السلف مركب من ثلاثة عناصر مجتمعة وهذه العناصر بفهم السلف هي " **الاعتقاد بالقلب** " والاعتقاد عند السلف يتضمن ركنين قلبيين لا ينفك أحدهما عن الآخر ويلزم تحقيقهما مجتمعين في القلب ليدخل صاحبه في مسمى الإيمان ويصير مسلمًا.

الركن الأول : المعرفة والعلم والتصديق ويطلق عليه " **قول القلب** " ويسمى أحيانًا التوحيد العلمي أو الخبري أو الاعتقادي ، أو توحيد الربوبية ، والمقصود بالتصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرًا وباطنًا وقبول ذلك بحيث يقع عليه اسم التسليم فهو تصديق خبر الرسول جملة وعلى الغيب كما يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - موضحًا قول القلب : ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له فالتصديق إنما يتم بأمرين أحدهما اعتقاد الصدق والثاني محبة القلب وانقياده ، فلابد في التصديق من الاستسلام والقبول والانقياد والصدق ، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيمانًا لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود والذين عرفوا أن محمدًا رسول الله كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين ،كعمه أبو طالب كان مصدقا به مناصراً له ، فالتصديق له لوازم لا يصح إلا بها من الاستسلام والقبول والانقياد والعمل.

الركن الثاني: الالتزام والانقياد والتسليم ويطلق عليه " **عمل القلب** " ويسمى أحيانًا التوحيد العملي أو الطلبي أو الإرادي أو توحيد الإلوهية ، وهو الالتزام والانقياد والتسليم والخضوع ولوازم ذلك كله من عمل القلب كالمحبة والتعظيم والتوكل والخشية والرجاء.

فإن سلف الأمة وأئمتها متفقون على أنه تابع للركن الأول وملازم له ، ولا يكون العبد مؤمنًا إلا بهما ، وإلا فإن مجرد التصديق بالله ورسوله دون المحبة والتعظيم والانقياد لهما ليس إيمانًا باتفاق هؤلاء الأئمة ، والتصديق الذي لا يكون معه شيء من ذلك ليس إيمانًا باتفاق هؤلاء البتة ، بل هو كتصديق فرعون واليهود وإبليس كما قل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله([41]).

ويعلق الإمام ابن القيم على قصة وفد نجران فيقول في الفقه المستفاد من هذه القصة : " ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له بالرسالة وأنه صادق ، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام ، علم أن الإسلام أمر وراء ذلك ، وأنه ليس هو المعرفة فقط ، ولا المعرفة والإقرار فقط بل المعرفة ، والإقرار، والانقياد ، والتزام طاعته ودينه ظاهرًا وباطنًا " .

إن قضية الرسل مع أقوامهم كانت دائمًا قضية الخضوع والانقياد والتسليم لله ورسله ، ولم تكن أبدًا قضية المعرفة والتصديق ، وصدق الله حيث يقول : " فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ "[42] وقوله سبحانه : " بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ " ([43]) والله لم ينزل الفرائض ويأمر بها ليتركها الناس وإلا لكان سفها - سبحانه وتعالى عن ذلك !!

---

(41) وسبب عدم تأثير هذا التصديق أو المعرفة في القلب فينتج عنه الانقياد والاستسلام والخضوع وما يترتب عليها من أعمال القلوب كالمحبة ، هو انشغال القلب بأمراض مضادة كالحسد والكبر كما هو الحال في حالة إبليس وفرعون فهم على يقين من الحقيقة ولكن الظلم والعلو والاستكبار شغلوا القلب فمنعوه من الانقياد ، و في حالة وفد نجران : يكون الشاغل هو حب الدنيا والسلطان.

(42) سورة الأنعام: آية 33 .

(43) سورة المؤمنون : آية 70 .

العنصر الثاني الإقرار باللسان: كالشهادة لله بالتوحيد ، وأجمعت الأمة على أن من لم يتلفظ بالشهادتين مع القدرة فهو كافر لم يدخل في الإسلام كما قال ذلك الإمام النووي في شرح مسلم .

وقول اللسان دون قول القلب هو قول المنافقين لقوله تعالى : " يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ "([44]) فالنطق باللسان والتلفظ بالشهادتين من غير معرفة معناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك وإخلاص القول والعمل ، قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع.

إن التلفظ بالشهادتين إذن ليس مقصودًا لذاته وإنما المقصود هو الإعلان عن مدلولها من الإقرار بالتوحيد ولوازمه من النبوة والبعث ، وكذلك من ترك الشرك ابتداءً والتبري منه ومن أهله ولابد من التزام شرائع الإسلام ، فإن لم تُعبِّر الشهادة عن نفس هذه المعاني لم تُقبل من قائلها مهما كان ، ومن تركها فهو كافر .

قال شيخ الإسلام : " وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأتِ بالشهادتين فهو كافر".[45]

وقال الإمام ابن رجب : " من ترك الشهادتين خرج من الإسلام " .

والمقصود بالشهادتين كما سبق ليس مجرد النطق بهما ، بل التصديق بمعانيهما وإخلاص العبادة لله ، والتصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والإقرار ظاهرًا وباطنًا بما جاء به ، وقد قيدت بقيود ثقال ، وشروط عظام : " وتواترت النصوص بأنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله لكن جاءت مقيدة بقيود ثقال" كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله .

---

(44) سورة الفتح : آية 11.

(45) الإيمان الكبير لابن تيمية : ص ؟؟؟

وقال القرطبي: ردًا على من زعم أن التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان كما تزعم المرجئة ويستدلون بأحاديث صاحب البطاقة والجُهنميين و اندراس الإسلام ، وغيرها من الأحاديث المطلقة في حالة العجز وسقوط العمل يقول - رحمه الله -

: " بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها لأنه يلزم منه

تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعًا "[46]

ويقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في بيان حقيقة لا إله إلا الله و التلفظ بها ومعرفة معناها تعليقًا على قوله صلى الله عليه وسلم : " من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله "

: " هذا من أعظم ما يبين لك معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل والإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعوا إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف على ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه ، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلَّها ، ويا له من بيان ما

أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع "[47]

فلابد من قول اللسان من العلم والمعرفة والتصديق بالحق بما يقول ، ثم الخضوع والانقياد والاستسلام لهذا الحق ومحبته والالتزام به وتعظيمه ولوازم ذلك كله كراهية الباطل والانخلاع عنه والتبري منه والالتزام بشريعة الرسول صلى الله عليه وسلم والدخول في طاعته ومحبته وتوقيره صلى الله عليه وسلم.

ويقول الشيخ حافظ الحكمي – رحمه الله - في كتابه المفيد معارج القبول :

---

(46) فتح المجيد : ص 32 – من المفهم على شرح مسلم .

(47) فتح المجيد

" اعلم يا أخي - وفقني الله وإياك والمسلمين - بأن الدين الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه ورضيه لأهل سمواته وأرضه ، وأمر ألا يعبد إلا به ، ولا يقبل من أحد سواه ، ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه ، ولا أحسن دينًا ممن التزمه واتبعه ؛ هو : قول أي : بالقلب واللسان ، وعمل أي : بالقلب واللسان والجوارح ؛ فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام : الأولى قول القلب وهو تصديقه وإيقانه ، والثاني قول اللسان وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله والإقرار بلوازمها .. ، الثالث عمل القلب وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله ﷻ والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه ، الرابع عمل اللسان والجوارح ، فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك ، وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة الله كنقل الخُطَى إلى المساجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله ﷻ والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان" [48] .

وقد ذكر الحافظ ابن منده - رحمه الله - قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم : " من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" وذلك في مقام الاستدلال به على أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان ، وأنه يزيد وينقص ، وهذا هو مفهوم السلف لمعنى القول والعمل :

" فالإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، علمًا ، والتصديق به عقدًا ، والإقرار به نطقًا ، والانقياد له محبة وخضوعًا ، والعمل به باطنًا وظاهرًا وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان"

---

(48) معارج القبول : 65/2 .

[49] " وهكذا نرى أن السلف وأئمة أهل السنة والجماعة قد أدخلوا أعمال الجوارح في مسمى الإيمان ابتداءً ، وذلك باعتباره أحد العناصر التي يتركب منها الإيمان إلى جانب اعتقاد القلب وإقرار اللسان" [50] .

هذا هو معنى قول السلف الإيمان قول وعمل وهذا هو فهمهم لمعنى العمل وهذا هو ميدان المعركة بينهم وبين المرجئة ، العمل ، وهل اشتد نكيرهم وإغلاظ القول لهم إلا بسبب اعتبارهم أعمال الجوارح كحال في الإيمان؟

وكما ترى هل رأيت أحدًا من السلف قال إن العمل كمال في الإيمان؟

هل قال أحد من السلف إن تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن مسلم؟

أم أقوالهم متواترة طبقة عن طبقة ، وجيل عن جيل ، وبسند متصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تارك الأعمال هو في الحقيقة تارك للإسلام معرض عن الانقياد والطاعة والإذعان بالعمل.

وملخص هذا الأصل الذي بينه أئمتنا فيما سبق نقله عنهم هو أن:-

الإيمان قول وعمل ، والقول قولان : قول القلب وقول اللسان ، والعمل عملان : عمل القلب وعمل الجوارح.

قول القلب : معرفته وعلمه بالله وبما جاء عنه إذا ارتبط قلبه وجزم بما عرفه وعلمه يكون تصديقًا ، وقول القلب : يرادف قولنا توحيد الربوبية أو التوحيد العلمي الخبري أو توحيد المعرفة والإثبات ، وبهذا تعلم أن قول القلب المجرد الذي هو التصديق والعلم والمعرفة لا ينفع صاحبه كما لم ينفع كفار قريش واليهود والنصارى وكذلك لم ينفع إبليس وفرعون وأبو

---

(49) الفوائد لابن القيم

(50) حقيقة الإيمان لعبد الهادي المصري

طالب ؛ لأن تحقيق تصديق القلب الجازم ينتج عنه إذعانه وانقياده ومحبته وتعظيمه وخوفه لمن عرفه وعلمه وهو الله ﷻ .

عمل القلب : وهو المحبة والخوف والرجاء والتعظيم والانقياد والقبول مع الصدق والإخلاص وهذه كلها ناتجة عن التصديق الإذعاني ، وذلك أن معرفة الشيء المحبوب تقتضي حبه ، ومعرفة المعظم تقتضي تعظيمه ، ومعرفة المخوف تقتضي خوفه ، فمحبة الله ورسوله وتعظيم الله ورسوله ، والخوف من الله وخشيته ، مقتضى معرفته ﷻ ، ومعرفة رسوله ﷺ ، وعمل القلب هذا : يرادف قولنا توحيد الألوهية ، توحيد العبادة ، توحيد الطلب والقصد ، التوحيد الإرادي.

تحقيقه عمل القلب من الانقياد والإذعان يستلزم الإرادة الجازمة في طاعة من تعلق به ، وكراهية معصيته أو مخالفته.

إرادة القلب الجازمة مع القدرة مع عدم المانع تستلزم وجود المراد ووجود المقدور عليه فعلاً وتركًا ، وذلك لأن الحب والإرادة أصل كل فعل ومبدأه والبغض والكراهية أصل كل ترك ومبدأه ، فإن المحب لمن يحب مطيع ، وعلامة الحب الاتباع والانقياد بالعمل ، ومحال أن يوجد في القلب حب حقيقي ولا يؤدِ بصاحبه إلى العمل مع عدم المانع والعجز ، وصدق الله إذ يقول : " **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** " فالمحبة تقتضي الاتباع ، والاتباع يقتضي الانقياد بالعمل وإن لم يكن إكراه فهو نفاق وإعراض عن الطاعة وتولي عن العمل يتضح ذلك من إعراض الطواغيت عن تحكيم شريعة الله في الأرض ، فهم أعرضوا عنها وامتنعوا من تحكيمها وكرهوا ما أنزل الله وردوه وحاربوه ، وأبغضوه ، فتخلف كل ذلك عندهم يدل قطعًا على تخلف أعمال القلب وهذا لازم الظاهر.

فتخلف العمل جملة بدون مانع ، ومن غير عجز يستلزم زوال الإرادة الجازمة ، وزوال الإرادة الجازمة يستلزم زوال انقياد القلب وإذعانه ، وبزوال الانقياد والإذعان يكون زوال عمل القلب ، وبزوال عمل القلب يزول التصديق الجازم أو الإذعاني ، وبزوال التصديق الإذعاني يكون في

القلب معرفة فقط وهو ما يسمى قول القلب ومعرفة القلب فقط لا تُنجي صاحبها من الخلود في النار كما لم تنفع إبليس واليهود.

مما سبق يتبن لنا أن الإيمان حقيقة مركبة من أمور ثلاثة (بالقول والعمل والاعتقاد كأركان ثلاثة وليست لوازم، فإن من انتفى في حقه الاعتقاد فهو كافر؛ لأنه ذهب ركن الإيمان ... ومن انتفى في حقه القول فهو كافر، ومن انتفى في حقه **جنس العمل** فهو كافر، وهذا معنى أهل السنة والجماعة الإيمان قول وعمل واعتقاد) ، وكان الإجماع على هذا عند أهل السنة والجماعة.

فأما الإجماع على كفر من لم يأت بالشهادتين فقد قال شيخ الإسلام - رحمه الله- : (وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر)([51])، وقد سئل –رحمه الله- عمن اعتقد الإيمان بقلبه ولم يقر بلسانه هل يصير مؤمناً؟

فقال –رحمه الله- : (أما مع القدرة على الإقرار باللسان فإنه لا يكون مؤمناً لا باطناً ولا ظاهراً عند السلف والأئمة وعامة طوائف القبلة إلا جهماً ومن قال بقوله كالصالحي وطائفة من المتأخرين كأبي الحسن وأتباعه، وبعض متأخري أصحاب أبي حنيفة زعموا أن الإيمان مجرد تصديق القلب، وأن قول اللسان إنما يعتبر في أحكام الدنيا والآخرة)([52]).

وأما من قال بلسانه وعمل بجوارحه دون أن يعتقد بباطنه فهذا كما لا يخفى هو كفر المنافقين الذين يظهرون ما لا يبطنون.

وأما الإجماع على كفر من انتفى في حقه جنس العمل فقد نقل غير واحد الإجماع على أنه لا إيمان إلا بعمل.

---

[51] مجموع الفتاوى (302/7).

[52] المسائل والأجوبة (جواب سؤال أهل الرحبة) ص130.

قال الإمام الآجري -رحمه الله-: (اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، **وهو التصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح**)[53].

قال الشافعي -رحمه الله-: (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر)[54].

وقال الإمام البغوي -رحمه الله-: (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان)[55].

قال الإمام ابن عبد البر -رحمه الله-: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل)[56].

ولم يخرج عن هذا الإجماع إلا المرجئة الذين (أخرجوا العمل الظاهر عن الإيمان فمن قصد منهم إخراج أعمال القلوب أيضا وجعلها هي التصديق فهذا ضلال بين ومن قصد إخراج العمل الظاهر قيل لهم العمل الظاهر لازم للعمل الباطن لا ينفك عنه وانتفاء الظاهر دليل انتفاء الباطن)[57].

---

53 الأربعون حديثا للآجري – (ج 1 / ص 13).

54 شرح أصول الاعتقاد للالكائي (886/5)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– (208/7)، وهذا كلام الإمام الشافعي –رحمه الله–.

55 شرح السنة (38/1).

56 التمهيد (238/9).

57 مجموع الفتاوى (554/7).

وقد ظهر في هذا الزمان قوم تبنوا قول السلف في حقيقة الإيمان ثم تناقضوا بإثباتهم وجود إيمان ولو لم يظهر أثر ذلك الإيمان على الجوارح([58]).

ولذلك سنركز في الفصول القادمة على هذه النقطة-ترك جنس العمل- التي يتناقض فيها مرجئة العصر، وننقل أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين في المسألة، ولا نتشعب في بقية المسائل من زيادة الإيمان ونقصه والاستثناء في الإيمان وحكم العصاة في الآخرة، لأن مسألة زيادة الإيمان ونقصانه لا دخل له في كون الرجل مرجئاً أو لا، لكن يقال أن الذي يقول أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص هو ليس من أهل السنة **(مثلا الأشاعرة الذي هم مرجئة والماتريدية منهم من يقول بزيادته ونقصانه ومنهم من لا يقول بذلك لعدم ترتبها على حقيقة الإيمان، هذا أمر زائد أدخلوه في البحث.**

فإذن لا أثر في الخلاف مسألة زيادته أو نقصانه على كونه مرجئا، إذا قال أحد الإيمان ما يزيد ولا ينقص لا يدل على كونه مثلا مرجئا([59])؛ لكنه يدل على أنه ليس من أهل السنة، إذا قال: الإيمان نقول بزيادته ونقصانه لا يدل على أنه من أهل السنة والجماعة، فقد يكون مرجئا، لا ارتباط بين مسألة الزيادة والنقصان ومسائل التعريف السالفة للإيمان)([60]).

---

[58] راجع أقوال ذوي العرفان ...، للدكتور/ عصام بن عبدالله السناني ، ص41

[59] فرقة الإباضية –وهم من الخوارج– منقسمون في زيادة الإيمان ونقصه إلى فريقين: فريق يوافقون أهل السنة في زيادة الإيمان ونقصانه، وفريق يقولون أن الإيمان الشـرعي لا يزيد ولا ينقص، وهو بذلك يوافقون المرجئة وأكثر أهل الكلام من الأشـاعرة والماتريدية والجهمية، راجع (الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام) ص79–80 للأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل.

[60] شرح العقيدة الطحاوية الدرس السادس والثلاثون/ لفضيلة الشيخ العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ–حفظه الله–.

ولكن أكثر فرق المرجئة قالت بعدم زيادة الإيمان ونقصه لذلك صارت علماً عليهم في حين قال بعضهم بتفاضل الإيمان كالنجارية وأصحاب محمد بن شبيب([61]).

وإن كان أصل شبهة المرجئة والخوارج إن الإيمان لا يتبعض فإن القول بزيادة الإيمان ونقصانه، لا يخرج المرء من كونه مرجئاً كما سبق من فرقتي النجارية وأصحاب محمد بن شبيب، كما إن القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، لا يدخله في الإرجاء، فقد يكون المرء من فرقة الاباضة –إحدى فرق الخوارج-.**الخلاصة من قول السلف فى كفر تارك العمل**

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:
"كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزىء واحد من الثلاثة إلا بالآخر"
قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:
"لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند ككفر فرعون وإبليس وأمثالهما"
قال حنبل :حدثنا الحميدي [شيخ البخاري]قال: وأخبرت أن ناسا [يعني المرجئة] يقولون :من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئا حتى يموت، ويصلي مستدبر القبلة حتى يموت، فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقرا بالفرائض واستقبال القبلة.
فقلت [أي الحميدي]: ذاك الكفر الصراح وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماء المسلمين. قال الله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)،وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: من قال هذا فقد كفر بالله ورد على الله أمره وعلى الرسول ما جاء به

[61] يراجع الإيمان بين السلف والمتكلمين / تأليف الدكتور أحمد بن عطية الغامدي، ص89.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:
قال محمد بن نصر المروزي: "فمن كان ظاهره أعمال الإسلام ولا يرجع إلى عقود الإيمان بالغيب فهو منافق نفاقا ينقل عن الملة، ومن كان عقده الإيمان بالغيب ولا يعمل بأحكام الإيمان وشرائع الإسلام فهو كافر كفرا لا يثبت معه توحيد"
ويقول شيخ الإسلام؛؛؛ مبيناً أن ترك العمل الواجب كلية كفر بالله العظيم:
"فإن الله لما بعث محمد رسولا إلى الخلق، كان الواجب على الخلق تصديقه في ما أخبر، وطاعته فيما أمر، ولم يأمرهم حينئذ بالصلوات الخمس، ولا صيام شهر رمضان، ولا حج البيت، ولا حرم عليهم الخمر والربا، ونحو ذلك، ولا كان أكثر القرآن قد نزل، فمن صدقه حينئذ فيما نزل من القرآن وأقر بما أمر به من الشهادتين وتوابع ذلك، كان الشخص حينئذ مؤمنا تام الإيمان الذي وجب عليه، وإن كان مثل ذلك الإيمان [أي الإيمان الباطن والإقرار باللسان] لو أتى به بعد الهجرة لم يُقبل منه، ولو اقتصر عليه كان كافرا"؛فتأمل.
ويؤكد شيخ الإسلام على أن من لم يجعل عمل الجوارح لازمة للإيمان (واللازم هو شرط الصحة)، يلزمه ما يلزم المرجئة، وهذه نكتة تبين حقيقة مذهب)أدعياء السلفية)، فيقول :يلزمهم ويلزم المرجئة، أنهم قالوا: إن العبد قد يكون مؤمناً تام الإيمان، إيمانه مثل إيمان الأنبياء والصديقين، ولو لم يعمل خيرا لا صلاة ولا صلة ولا صدق حديث، ولم يدع كبيرة إلا ركبها، فيكون الرجل عندهم، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان، وهو مصر على داوم الكذب والخيانة ونقض العهود، لا يسجد لله سجدة، ولا يحسن إلى أحد حسنة، ولا يؤدي الأمانة، ولا يدع ما يقدر عليه من كذب وظلم فاحشة إلا فعلها، وهو مع ذلك مؤمن تام الإيمان، إيمانه مثل إيمان الأنبياء، وهذا يلزم كل من لم يقل إن الأعمال الظاهرة من لوازم الإيمان الباطن"
فتأمل قوله هذا لتعلم أن (أدعياء السلفية) يلزمهم ذلك وإن ادّعوا أن الإيمان يزيد وينقص، لأنهم لم يقولوا بأن الأعمال الظاهرة من لوازم

الإيمان الباطن، أي من شروط صحته.
ويقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى :قال تعالى: (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى،وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (فعُلم أن التولي ليس هو التكذيب، بل هو التولي عن الطاعة، فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر، ويطيعوه فيما أمر، وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة والتولي، فلهذا قال: (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى،وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى)، وقد قال تعالى: (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ)، فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول"
وقال :ففي القرآن والسنة مِن نَفْي الإيمان عمن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة كما نفى فيها الإيمان عن المنافق"
وقال شيخ الإسلام أيضاً :لو قُدّر أن قوماً قالوا للنبي صل الله عليه وسلم: نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك، ونقر بألسنتنا بالشهادتين، إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه، فلا نصلي ولا نصوم ولا نحج، ولا نصدق الحديث، ولا نؤدي الأمانة، ولا نفي بالعهد، ولا نصل الرحم، ولا نفعل شيئا من الخير الذي أمرت به (أي أنهم عزموا على ترك جنس العمل)، ونشرب الخمر، وننكح ذوات المحارم بالزنى الظاهر، ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك، ونأخذ أموالهم، بل نقتلك أيضا ونقاتلك مع أعدائك (أي الأعمال المحرمة والمكفّرة)؛ هل يتوهم عاقل أن النبي صل الله عليه وسلم يقول لهم: أنتم مؤمنون كاملو الإيمان، وأنتم من أهل شفاعتي يوم القيامة، ويرجى لكم ألا يدخل أحد منكم النار؛ بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم أنتم أكفر الناس بما جئت به، ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك"
ويقول شيخ الإسلام أيضا :من الممتنع أن يكون الرجل مؤمنا إيماناً ثابتاً في قلبه، ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم من رمضان، ولا يؤدي لله زكاة، ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة، لا مع إيمان صحيح، ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار، كقوله تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ،خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ)

وقال شيخ الإسلام بعد أن حكى تنوع عبارات السلف في تعريف الإيمان وأسباب ذلك التنوع:
"ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم، كما قال سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة"
وقال شيخ الإسلام:
"وقد تبين أن الدين لا بد فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه أو بقلبه ولسانه ولم يؤد واجباً ظاهراً، ولا صلاة ولا زكاة ولا صياماً ولا غير ذلك من الواجبات.. فلا يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله مع عدم شيء من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد صلي الله عليه وسلم"
وقال: "وإنما قال الأئمة بكفر هذا لأن هذا فرض ما لا يقع، فيمتنع أن يكون الرجل لا يفعل شيئاً مما أمر به من الصلاة والزكاة والصيام والحج (ترك جنس العمل)، ويفعل ما يقدر عليه من المحرمات، مثل الصلاة بلا وضوء وإلى غير القبلة ونكاح الأمهات (كفر العمل)، وهو مع ذلك مؤمن في الباطن، بل لا يفعل ذلك إلا لعدم الإيمان الذي في قلبه"
قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:
"وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية، ومن شعب الإيمان القولية شعب يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان؛ وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر)القولية(، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه (الفعلية) كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف فهذا أصل.
وها هنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان **:قول القلب** وهو الاعتقاد، **وقول اللسان** وهو التكلم بكلمة الإسلام؛ والعمل قسمان: **عمل القلب** وهو نيته وإخلاصه، **وعمل الجوارح**، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكامله، وإذا زال تصديق

القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرا وجهرا، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به؛ وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح (يقصد الصلاة)، ولا سيما إذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره، فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان، فإن الإيمان ليس هو مجرد التصديق كما تقدم بيانه، وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد"

وقال" :من أمحل المحال أن يقوم بقلب العبد إيمان جازم لا يتقاضاها فعل طاعة ولا ترك معصية"

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة، سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي في الحديث الصحيح: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب"... فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبياً، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث: "قول وعمل" قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له، متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد"

وقال: "ومما يدل من القرآن على أن الإيمان مستلزم للأعمال، قوله تعالى :)إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(، فنفى الإيمان عن غير هؤلاء، فمن كان إذا ذُكِّر بالقرآن لا يفعل ما فرضه الله عليه من السجود لم يكن من المؤمنين"

وقال: "ولهذا ينفي الله الإيمان عمن انتفت عنه لوازمه، فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم، كقوله تعالى: (وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء)

وقال شيخ الإسلام بعد أن ساق كلاما للإمام أبي ثور أفحم فيه المرجئة:

"قلت: يعني الإمام أبو ثور رحمه الله أنه لا يكون مؤمنا إلا إذا التزم بالعمل مع الإقرار، وإلا فلو أقر ولم يلتزم العمل لم يكن مؤمناً"

وأخرج اللالكائي بسنده إلى الوليد بن مسلم قال:

"سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبد العزيز ينكرون قول من يقول: إن الإيمان قول بلا عمل، ويقولون لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان"

ولا يخفى أن هذا النفي نفي للصحة، لأن الأول حال الكافر والثاني حال المنافق.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

"فإذا عرف المسلم عظم شأن هذه الكلمة [أي كلمة التوحيد]، وما قُيّدت به من القيود، ولا بد مع ذلك أن يكون اعتقادا بالجنان، ونطقا باللسان، وعملا بالأركان، فإن اختل نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلما كما ذكر الله ذلك وبينه في كتابه"

وضد الإيمان الكفر ،وهو كفران ،كفر أكبر مخرج من الملة ، وكفر أصغر غير مخرج من الملة ،ولا يصح أن يقال الكفر كفران كفر عمل وكفر اعتقاد فحصر الكفر الأكبر بالاعتقاد هو من مذهب المرجئة والفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في باب الإيمان والكفر

مفهوم الكفر عند السلف أهل السنة والجماعة

إذا كان قد تقرر أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة اعتقاد وقول وعمل، فكذلك الكفر عندهم يكون بالاعتقاد أو القول أو العمل والشرك والشك والترك - كما سيأتي تفصيل ذلك ....

تعريف الكفر: أصل الكفر في اللغة هو التغطية والستر وسُمَّيَ الفلاح كافرًا لتغطيته الزرع والحب وقت زرعه ، وسُمَّيَ الليل كافرًا لتغطيته كل شيء ، ومنها كفرت الإناء أي غطيته ، كما قال تعالى (يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ 6)

الكفر في القرآن: (ذكر أهل التفسير أن الكفر في القرآن على خمسة أوجه

أحدهما : الكفر بالتوحيد ومنه قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ "[62]

الثاني : كفران النعمة ومنها قوله تعالى : " فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ "[63]

والثالث: التبرؤ ، ومنه قوله تعالى : " وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ "[64]

والرابع : الجحود ومنه قوله تعالى : " وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ "[65]

والخامس : التغطية ومن قوله تعالى : " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ

---

(62) سورة البقرة : آية 6.

(63) سورة البقرة : آية 152.

(64) سورة العنكبوت : آية 25 .

(65) سورة البقرة : آية 89 .

وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ " [66] يريد الزراع الذين يغطون الحَبَّ([67]).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في تعريف الكفر شرعًا :

" الكفر عدم الإيمان ، باتفاق المسلمين ، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به ، أو لم يعتقد شيئًا ولم يتكلم" .

ويقول : " الكفر عدم الإيمان بالله ورسله ، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب ، بل شك وريب ، أو إعراض عن هذا كله حسدًا أو كبرًا ، أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة " .

ويقول : " ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة فتكذيب الرسول كفر ، وبغضه وسبه وعداوته ، مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وأئمة العلم ، إلا الجهم ومن وافقه كالصالحي والأشعري وغيرهم " .

ويقول - رحمه الله : " إنما الكفر يكون بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه ، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم " .

نستخلص من ذلك : أن الكفر الأكبر وهو نقيض الإيمان ؛ قد يكون تكذيبًا في القلب فهو مناقض لقول القلب ، وهو التصديق ، وقد يكون الكفر عملاً قلبيًا ، كبغض الله تعالى ، أو آياته ، أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، والذي يناقض الحب الإيماني ، هو آكد أعمال القلوب وأهمها ، كما أن الكفر يكون قولاً ظاهرًا يناقض قول اللسان وتارة يكون عملاً ظاهرًا كالإعراض عن دين الله تعالى ، والتولي عن طاعة الله ورسوله صلى الله

---

(66) سورة الحديد : آية 20.

(67) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي : 119/2، 120 ، نقلاً عن نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز بن عبد اللطيف : ص 36 وما بعدها ، ص 51.

عليه وسلم ، وهو بهذا يناقض عمل الجوارح القائم على الانقياد والخضوع والقبول لدين الله تعالى ، وبهذا تعرف أن تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز كافر قولاً واحدًا مع إقراره بها وعدم جحدها لأنه معرض عن العمل ومتولٍ عن الطاعة كإبليس واليهود.

تعريف الناقض: إذا كان الكفر يكون بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام القولية أو العملية أو الاعتقادية ، فيحسن بنا أن نُعرِّف الناقض ما هو ؟ ما حقيقته ؟ النواقض هي : اعتقادات أو أقوال أو أفعال تُزيل الإيمان وتقطعه

وإذا كان الإيمان قائمًا على اعتقاد ، والاعتقاد لغة فيه معنى اللزوم والتأكد والاستيثاق فإن النقض يقابل العقد ، ومن ثم فإن تلك المكفرات تنقض الإيمان وتزيله من أساسه وتهدم أصله ، بينما سائر المعاصي تُنقص الإيمان ولا تزيله.

وفي معنى ذلك يقول الله تعالى : " وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91) وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّة أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" [68] وقوله سبحانه : " الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ" [69]

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه من حديث أمنا الطاهرة المطهرة عائشة بنت الصديق - رضي الله عنها وعن أبيها وعن سائر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لولا أن قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة ، أي هدمتها"

---

(68) سورة النحل : آية 91 – 92 .

(69) سورة الرعد : آية 20 .

وجاء من حديث عائشة رضي الله عنها : " أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه " أي أزاله[70] .

وعن أبي أمامة الباهلي صدى بن عجلان رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تثبت الناس بالتي تليها وأولهن نقضًا الحكم ، وآخرهن الصلاة "[71]

فالناقض يزيل الشيء من الأساس ، ومنه نقضت الجدار أي : أزلته من أساسه ، خلاف النواقص التي تنقص الشيء ولكن لا تزيله ، مثل المعاصي دون الكفر الأكبر.

تعريف الردة : هي الرجوع عن الإسلام ، وهي كفر مسلم بصريح من القول أو بقول يقتضي الكفر أو فعل يتضمن الكفر سواء أقاله استهزاءً ، أو عِنادًا أو اعتقادًا ، فالمرتد هو الراجع كما قال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ 54)

هذا تعريف الردة لغة وشرعًا الذي يكفر بعد إسلامه نطقًا أو اعتقادًا ، أو شكًا ، أو فعلاً ، وبهذا يُعلم أن الردة عن الإسلام هي الرجوع عن الإسلام إما باعتقاد أو فعل أو قول ، وبه يصير مرتدًا ويخرج من الإسلام ، فحد الكفر هو نقض لأصل الإيمان ويكون بالقول والعمل والاعتقاد والشك والترك - والكلام ليس على الكافر الأصلي - بل هو على المرتد وهو الذي يكفر بعد إسلامه بكلام كفر أو اعتقاد مكفر أو شرك أو ترك مكفر وهو قبل ذلك يتلفظ بالشهادتين ويصلي ويصوم فإذا أتى بشيء مما ذكر صار مرتدًا مع كونه يتكلم بالشهادتين ويصلي ويصوم ، ولا يمنعه تكلمه بالشهادتين

---

(70) رواه البخاري : (كتاب : اللباس \ باب : نقض الصور) .

(71) رواه الإمام أحمد في المسند ، والحاكم وصححه .

وصلاته وصيامه من الحكم عليه بالردة ، وهذا ظاهر بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع كما نقله الشيخ أبو بطين.[72]

وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه : (درء الفتنة عن أهل السنة) " وأن الكفر يكون بالاعتقاد وبالقول وبالفعل وبالشك وبالترك وليس محصورًا بالتكذيب بالقلب كما تقوله المرجئة ، ولا يلزم من زوال بعض الإيمان زواله كله كما تقول الخوارج ويكون الكفر بالقول سواء كان قولاً كفريًا مثل سب الله وسب الرسول صلى الله عليه وسلم فالاستهزاء بالإسلام أو شعائر الإسلام أو الاستهزاء بمن يلتزم بالإسلام لمجرد التزامه به ، ويكون كذلك بالقول الشركي مثل أن يقول للمقبور اغفر لي ذنبي وانصرني على عدوي ، ويكون بالعمل المكفر مثل إلقاء المصحف في القاذورات عمدًا ، وقتل نبي ، وهدم الكعبة.

ويكون بالعمل الشركي مثل الذبح والنذر والسجود لغير الله ، والتشريع من دون الله ، والكفر يكون بالاعتقاد المكفر ، كإنكار وجود الله ، أو اعتقاد إلهين للكون كما يزعم المجوس ، أو اعتقاد أن الله لا يبعث أحدًا ، كمنكري البعث والحساب.

ويكون بالاعتقاد الشركي كشرك الوسائط والشفعاء أو دعوى الولد لله والصاحبة وقد يجمع الكافر بين أكثر من نوع من أنواع الكفر فيكون مكذبًا مستهزئًا أو يكون جاحدًا معرضًا ، أو يكون شاكًا منافقًا ، وهكذا من الكفر المغلظ والردة المغلظة " .

والكفر ليس محصورًا في الجحود والاستحلال ولا مقيدًا بالتكذيب فقط ، بل الكفر أنواع منها الإباء والاستكبار والإعراض والشك والنفاق ويوضح ذلك الإمام ابن القيم فيقول : " وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع : كفر تكذيب ، وكفر استكبار وإباء مع التصديق ، وكفر إعراض وكفر شك وكفر نفاق .

---

(72) انظر الرسائل النجدية : 653/1.

فأما كفر التكذيب : فهو اعتقاد كذب الرسل وهذا القسم قليل في الكفار ، فإن الله تعالى أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة وأزال به المعذرة قال تعالى عن فرعون وقومه : " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ " [73] وقال لرسوله : " قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ " [74] وأن سُمِّيَ هذا كفر تكذيب أيضًا فصحيح ، إذ هو تكذيب باللسان .

وأما كفر الإباء والاستكبار : فنحو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ، ولا قابله بالإنكار ، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار ، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباءً واستكبارًا وهو الغالب على كفر أعداء الرسل كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه : " فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ " [75] وقول الأمم لرسلهم : " قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ " [76] وقوله : " كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا " [77] وهو كفر اليهود وكما قال تعالى : " وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

---

(73) سورة النمل : آية 14 .

(74) سورة الأنعام : آية 33 .

(75) سورة المؤمنون : آية 47 .

(76) سورة إبراهيم : آية 10 .

(77) سورة الشمس : آية 11 .

الْكَافِرِينَ "[78] " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "[79]

وهو كفر أبي طالب أيضًا فإنه مصدقه ولم يشك في صدقة ، ولكن أخذته الحمية وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر... "[80] .

وبهذا يعلم انحراف وضلال من يحصر الكفر في الاعتقاد ولا يكفر المرء إلا إذا اعتقد بقلبه الكفر أو جحد أو استحل فإن الجحود والاستحلال كفر مغلظ وليس كفر مجرد ، وكذلك الكفر لا يتقيد بالتكذيب فقط - كما سبق

هذه كلها من أنواع الكفر والشرك والردة عن الإسلام لمن وقع فيها نعوذ بالله منها فلا ينفع مع الشرك والكفر التلفظ بالشهادتين ، ولا ينفع العمل مهما عظم لأن الشرك أعظم وهو محبط للعمل والأدلة على ذلك كثيرة ذكرناها في " البيان والإشهار"وفصلنا أنواع الكفر والشرك والنفاق فى كتابنا (مقدمة فى التوحيد)

ومنها قول الله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً "[81] .

" إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ "[82]

---

(78) سورة البقرة : آية 89 .

(79) سورة البقرة : آية 146 .

(80) مدارج السالكين

(81) سورة النساء : آية 48 .

(82) سورة المائدة : آية 72.

" أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ "[83]

" لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ "[84] .

ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن جابر رضى الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ما الموجبتان ؟ فقال : " من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار" وهذا الذي لم يفهمه الطواغيت وأنصارهم والمدافعون عنهم بالباطل ، بقولهم أن لا إله إلا الله إسلام ، ولا يكفر من قالها ولو وقع في الشرك والكفر وارتكب النواقض ، فلا إله إلا الله والتلفظ بها مانع من الكفر لأن الكفر عندهم مقيد بالاعتقاد والجحود والاستحلال فلا يخرج عندهم الكفر عن القلب واعتقاد الكفر بقلبه!! وحصروا الكفر في صورة السجود للأصنام وعبادة الأحجار والكواكب والأوثان ، وإن أعرضوا عن دين الله بالكلية ، وإن تولوا عن طاعة الله والامتثال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن استهزءوا بدين الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن نحُّوا شريعة الله بالكلية وأبدلوها بالقوانين الوضعية ، وإن قال الله فيهم وفي أمثالهم : " فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا " كل ذلك ليس بكفر عند دعاة الإرجاء ما لم يعتقد القلب وما لم يستحل ويجحد - نعوذ بالله من الضلال - وقد فصَّلنا كل ذلك ورددنا على شبهات أهل الزيـغ والضلال في " البيان والإشهار" و "بيان حقيقة التوحيد الذي جهله كثير من العبيد " فليراجعها من شاء.

وبهذا يتضح مفهوم السلف والأئمة بقولهم : الإيمان قول وعمل ، وفهمهم - رحمه الله - لمعنى العمل ، وأنه ركن في الإيمان لا يصح الإيمان بدونه ،

---

(83) سورة الأنعام : آية 88 .

(84) سورة الزمر : آية 65.

وأن تارك العمل بالكلية معرض عن الله ورسوله متولٍ عن الطاعة ، ومن يقول بإسلامه فقد حصر الإيمان في القول فقط ، قول اللسان وجعل مدار النجاة من الخلود في النار على قول اللسان والتلفظ بالشهادتين معتمدًا على شبهات المرجئة وغلاة الجهمية في تعريفهم للإيمان بالمعرفة وبالقول ، والقول والاعتقاد ، واعتقادهم أن الإيمان قول باللسان وإن تخلف عمل القلب لقولهم بعدم التلازم بين الظاهر والباطن ، مع أن لهذه الأركان نواقض تنقض القول والعمل وتزيل الإيمان بالكلية عند أهل السنة.

1- فينقض قول القلب:

كفر الجحود والتكذيب ، استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة ويكون بالعمل أيضًا ، وينقض قول القلب الشك في حكم من أحكام الله أو خبر من أخباره ، وكذلك الجهل بالله وبتوحيده ، وكذلك الشرك في الربوبية واعتقاد ألوهية غير الله.

2- وينقض عمل القلب:

الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به ، وسيأتي تفصيل كفر الإعراض - إن شاء الله - ، والنفاق الاعتقادي ، و بغض وكراهية بعض ما جاء به النبي ﷺ ، كفر الإباء والامتناع والرد والاستكبار عن الطاعة والقبول ، الشرك الأكبر في المحبة والقصد والإرادة وهي مناقضة لعمل القلب.

3- وينقض قول اللسان:

القول المكفر والامتناع عن النطق بالشهادتين مع القدرة والتمكن.

4- وينقض عمل الجوارح:

العمل الشركي والفعل الكفري والقيام بالأعمال التي سماها الله كفرًا وشركًا أكبر وكذلك الامتناع عن أداء الفرائض مع القدرة والتمكن وعدم العجز ، فكما سبق أن تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز كافر كفرًا أكبر مخرج من ملة الإسلام لأنه معرض عن الله متولٍ عن طاعته

، غير منقاد لشرعه ، وغير مستسلم بالعمل للدين الذي جاء به رسول الله من عند الله ولم يقل أحد من السلف غير ذلك ، وهذا من التلازم بين الظاهر والباطن ، كما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة وبهذا يتضح أن العمل من الإيمان وركن فيه وملازم له ، ولا يتخلف العمل مع القدرة أبدًا إلا بتخلف عمل القلب وقوله ، أما حالات سقوط العمل من العجز والإكراه والنفاق فهذا قد بيناه سابقًا وسيأتي تفصيله - إن شاء الله - ولكن الكلام على تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز ، الذي هو في الحقيقة تارك للإسلام وأركانه ولم يأت إلا بالشهادتين مجرد التلفظ بهما.

هل قال أحد من السلف أو عالم من علماء أهل السنة والجماعة بإسلامه ؟ وقد مر معك قولهم في تارك العمل ومفهوم السلف لمعنى القول والعمل ، وعلى من أراد النجاة أن يلزم غرزهم ، ويفهم الإيمان كما فهمه السلف ولا يحيد ولا يؤول ويَحْذَر من طرق الإرجاء وأهل الضلال.

وقد فصلنا ذلك في كتاب مسألة الإيمان ،وكتاب الجامع في الرد على المرجئة

٢٢ - وأفضل هذه الأمة والأمم كلها بعد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين أبو بكر ثم عمر ثم عثمان هكذا روي لنا عن ابن عمر قال كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه و سلم بين أظهرنا إن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم أبو بكر وعمر وعثمان ويسمع بذلك النبي صلى الله عليه و سلم فلا ينكره ثم أفضل الناس بعد هؤلاء علي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح وكلهم يصلح للخلافة ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم القرن الأول الذي بعث فيهم المهاجرون الأولون والأنصار وهم من صلى القبلتين ثم أفضل الناس بعد هؤلاء من صحب رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما أو شهرا أو سنة أو أقل من ذلك أو أكثر نترحم عليهم ونذكر فضلهم ونكف عن زللهم ولا نذكر أحدا منهم إلا بالخير لقول رسول الله صلى الله عليه

و سلم إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وقال سفيان بن عيينة من نطق في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم بكلمة فهو صاحب هوى

هذا هو معتقد أهل السنة في الصحابة رضى الله عنهم أجمعين الترضى عنهم جميعاً وأفضلهم وأفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم باقى العشرة على الترتيب الذى ذكره المصنف رحمه الله ،ومر معنا أن الصحابى هو من لقى النبي صلى الله عليه وسلم وأمن به ومات على ذلك ، وإن تخلل ذلك ردة ، والصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم ورضاه سبحانه عنهم ،ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم ،وحثنا على اتباعهم والتمسك بما كانوا عليه ،وعدم الخروج عن فهمهم لنصوص الوحيين والتمسك بما كانوا عليه ولزوم غرزهم ،ومن أهم خصائص أهل السنة والجماعة أنهم يسكتون عما حصل بين الصحابة ،ويمسكون عن الخوض في هذه الفتنة ، والترضى عنهم جميعاً ،والإمساك عما شجر بينهم ميزة ميز الله بها أهل الحق من أهل السنة والجماعة خلافاً للشيعة الروافض قاتلهم الله الذين كفروا الصحابة وأمهات المؤمنين بعد أن زكاهم الله تعالى ورفع شأنهم ومنزلتهم واختارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه ونشر توحيده في الأرض ،ومن ذلك قوله سبحانه ((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) الفتح

وقوله (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) وقال الله مادحاً إياهم (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وقد شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة كما في صحيح مسلم (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها) فمن سبهم أو تنقصهم أو كفرهم لكونهم صحابة رسول

الله فهو كافر زنديق لا شك في كفره ، أما من سبهم لأمر دنيوي فلا يكفر بل يعذر ويؤدب وهذا متواتر عن علماء أهل السنة من السلف والخلف

والسمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى ومن خصائص أهل السنة والجماعة السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين في المعروف إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ،وسبق وأن بينا شرط الولاية وهى الإسلام وتحكيم شرعه وتحكيم كتابه والعمل بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،فولى الأمر التي تجب طاعته شرط أن يكون مسلماً حاكماً بالشريعة حافظاً لبلاد المسلمين

ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام برا كان أو فاجرا

ومن اجتمعت عليه كلمة أهل الحل والعقد واختاروه ولياً وحاكماً على البلاد فهو ولى شرعى بشروطه إلا أن يروا منه كفراً بواحا فالأمر لأهل الحل والعقد ، كما فصلناه في كتاب – الدولة الإسلامية – ويحرم على كل مسلم يبيت وليس في عنقه بيعة شرعية مخافة أن يموت ميتة جاهلية كما كان يموت أهل الجاهلية قبل الإسلام ليس في عنقه بيعة ،فكان أهل الجاهلية لا يجتمعون على حاكم يسوسهم

والحج والغزو مع الإمام ماض وصلاة الجمعة خلفهم جائزة

هذا هو الأصل عند أهل السنة لا ينزعون يداً من طاعة ويحجون مع ولى أمرهم ويصلون خلفه الجمعة والجماعات ،ويجاهدون معه في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ،هذا شرط الجهاد والقتال الشرعي أن يكون لإعلاء كلمة الله في الأرض ، وليس لعصبية أو قبلية أو تحالفات كفرية ضد أهل التوحيد والسنة والدعوة والجهاد ،هذا شرط ضابط

ويصلى بعدها ست ركعات يفصل بين كل ركعتين هكذا قال أحمد ابن حنبل

وصلاة الجمعة ليس لها سنة قبلية بل لها سنة بعدية ،وهى ركعتان أو أربع ركعات ،هكذا ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحاح وغيرها أنه صلى بعد صلاة الجمعة ركعتين أو أربع ركعات ،ولم يثبت أنه صلى ست ركعات

بل ثبت عن الإمام أحمد رحمه الله في مسائل ولده عبد الله قال سألت أبى كم يصلى الرجل بعد الجمعة وما الذى هو أحب اليك ، قال ان شاء صلي أربع ركعات أو ست يسلم من كل ركعتين ،وكذلك صلاة النهار مثنى مثنى ،كما ثبت ذلك في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال (صَلَّيْتُ مع النبيِّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، وسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ المَغْرِبِ، وسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ العِشاءِ، وسَجْدَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ، فأمّا المَغْرِبُ والعِشاءُ فَفِي بَيْتِهِ. وحَدَّثَتْنِي أُخْتي حَفْصَةُ: أنَّ النبيَّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَعْدَ ما يَطْلُعُ الفَجْرُ، وكانَتْ ساعَةً لا أدْخُلُ على النبيِّ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ فِيها. قال ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن نافع) :**بعد العشاء في أهله)** (كانَ لا يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حتّى يَنْصَرِفَ، فيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ.)

٢٤ - والخلافة في قريش إلى أن ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميتته ميتة جاهلية

الأصل عند أهل السنة أن الخلافة في قريش لما ثبت في الصحيحين عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ(لاَ يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ) ،وثبت في سنن النسائي والمسند والبغوى في السنة والخطابي في معالم السنن بإسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الأئمَّةُ من قريشٍ إذا ما حكموا عدلوا، وإذا عاهدوا وفُّوا، وإذا استُرحِموا رحِموا) .إن وجد الكفؤ ،فإن لم يوجد فتنعقد لما هو أقوى عليها مما يختاره أهل الحل والعقد ،حتى لا يعطل منصب الإمامة لعدم وجود قرشي يصلح للخلافة

٢٥ - ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه وإن جار وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبي ذر الغفاري اصبر وإن كان عبدا حبشيا وقوله للأنصار اصبروا حتى تلقوني على الحوض وليس من السنة قتال السلطان فإن فيه فساد الدنيا والدين

يحرم الخروج على ولى الأمر المسلم الذى عرفناه فيما سبق بشروطه ،وإن جار ،بل الصبر عليه هو الأولى حقناً لدماء المسلمين واجتماع كلمتهم ما أقام فيهم شرع الله وساسهم بالكتاب والسنة ولم يبدل ولم يغير ،فإن طرأ عليه

فسق أو فجور وعطل الجهاد ،وترك الثغور للكفار ،فيخلعه أهل الحل والعقد وينصبون من هو خير منه للبلاد ومصالح العباد مع تقدير المصالح والمفاسد المترتبة على ذلك ،حتى لا تكثر الفتن ويطمع في الأمة الكفار والمتربصون بها من أعداء الإسلام ،ولا تلازم بين تكفير الحاكم والخروج عليه فهذا منوط بالقدرة والمنعة والاستطاعة – كما فصلناه في شرح كتاب الغياثي- الطريق إلى الخلافة -

٢٦ - ويحل قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أموالهم وأنفسهم وأهليهم وليس له إذا فارقوه أن يطلبهم ولا يجهز على جريحهم ولا يأخذ فيُهم ولا يقتل أسيرهم ولا يتبع مدبرهم

الخوارج هم الذين كفروا المسلمين بالمعاصي وخرجوا على الأمة بالسيف واستحلوا أعراض ودماء وأموال المسلمين فيحل للسلطان قتالهم لكف شرهم عن الناس ،ولا يبدأهم بقتال ،ولا يتبع فارهم ولا يجهز على جريحهم ولا يسبى نسائهم ،لأن قتالهم قتال بغى وليس قتالهم قتال كفر وردة فالخوارج ليسوا كفاراً على الصحيح كما هو مذهب الصحابة والخليفة الراشد على بن أبى طالب رضى الله عنه

٢٧ - واعلم أنه لا طاعة لبشر في معصية الله عز و جل

سبق الكلام عليه وأن الطاعة إنما في المعروف كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ(بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، فَغَضِبَ ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى ، قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا ، فَجَمَعُوا ، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا ، فَأَوْقَدُوهَا ، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا ، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا ، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ **.)**

٢٨ - ومن كان من أهل الإسلام فلا تشهد له بعمل خير ولا شر فإنك لا تدري بما يختم له عند الموت ترجو له رحمة الله وتخاف عليه ذنوبه لا تدري ما سبق له عند الموت إلى الله من الندم وما أحدث الله في ذلك

الوقت إذا مات على الإسلام ترجو له الرحمة وتخاف عليه ذنوبه وما من ذنب إلا وللعبد منه توبة

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لمعين من أهل القبلة بجنة ولا نار، بل يرجون للمحسن ويخافون على المسيء ،فإن الأعمال بالخواتيم والدنيا تتقلب بأهلها فلا تدرى بما يختم لك ، نسأل الله حسن الخاتمة ، فلا نشهد لمعين من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا ما شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن شهد لهم الله أو رسوله بالجنة بأعيانهم فهم من أهلها قطعا كالعشرة المبشرين بالجنة ، وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة ، أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم والصحابة أجمعين بالعموم . وكأهل بدر وممن حضر بيعة الرضوان كما جاء بهم الدليل من الله ورسوله

وممن شهد له الشّرع بالنار على التعيين فهو من أهلها كأبي لهب ، وامرأته ، وأبي طالب ، وعمرو بن لحي ، وغيرهم بالعموم ،وهذا لا ينافى الشهادة بالعموم لأهل الإسلام ممن مات على التوحيد والسنة بالجنة ، ومن مات على غير الإسلام من أهل الكفر والشرك والتنديد بالنار، فكيف لا نحكم على الكافر الذى مات على الكفر بالنار والله عز وجل أخبرنا أنه كافر مخلد في النار وترك ما خلق له ؟

فإن الله خلق الخلق لعبادته وتوحيده فقال سبحانه وتعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) إلا ليوحدون,

وخلق من أجل ذلك السموات والأرض , والجنة والنار ,وأرسل الرسل وأنزل الكتب ,كل ذلك سخره الله لخلقه حتى يعمروا الأرض بالتوحيد والحق والعدل , ورتب على ذلك الثواب والعقاب,

فمنهم من أمن واهتدى واستقام على دين الله الذى ارتضاه الله لخلقه , وهو دين الإسلام ,الذى هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الكفر وأهله,

فمن عاش على هذا التوحيد ومات عليه ,فهو المسلم حقاً والمؤمن صدقاً ,وكانت له الجنة جزاءً من ربه

ومنهم من كفر وضل وانحرف عن دين الله ولم يقبل ولم يرضى بالإسلام ديناً ,ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ,واتبع هواه ,وانتكست فطرته التى فطره الله عليها وعاش على ذلك الكفر والانحراف ومات عليه ,فكانت النار جزاءً له وبئس المصير ,خالداً فيها أبدا.

ومع وضوح ذلك في القرآن الكريم ,وبيانه وتفسيره في السنة وكلام سيد المرسلين, صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ,إلا أنه في عصرنا هذا نبتت نابتة سوء ممن ينتمون إلى الإسلام ,ويقرؤون كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم , ومنهم من يحفظهما ويتكلم بهما ,تأثروا بالثقافة الغربية وانبهروا بها وبزخرفها الزائف ,وهذا من ضعفهم وضعف فهمهم للإسلام وهزيمتهم النفسية ,وبعدهم عن فهم الإسلام الصحيح ,فتركوا تعاليمه ومنهج دعوته ودعوا إلى الليبرالية والعلمانية والديمقراطية ,والحداثة والتنوير والتجديد , وكلها أفكار غربية منحرفة تدعوا إلى الحرية المطلقة والإباحية والخروج على عبودية الله والالتزام بشرعه , والمساواة بين المسلم والكافر , والرجل والمرأة ,ودعوا إلى المثلية في كل شيء ,فكانوا(كالأنعام بل هم أضل) كما وصفهم الله تعالى.

وخطورة هؤلاء الضلال أنهم يتكلمون بألسنتنا ,ويخرجون على الناس في زي أهل العلم والدعاة إلى الاسلام ,فيميعون عقيدة الولاء والبراء ,بل يهدمون الدين في نفوس الشباب ,ويسلخونهم من دينهم ويغيرون فطرتهم باسم الدين والوسطية والاعتدال ومحاربة الارهاب والتطرف!

وأى إرهاب وتطرف أكبر من نشر الكفر والإلحاد والإفساد في الأرض وتسمية الكافر بغير اسمه الذى سماه الله ورسوله به ؟

فيسمونه الآخر!

ويسمون الكافر بالأخ ويفضلونه على إخوة الاسلام !

وينادون بحرية الاعتقاد وإبطال حد الردة ,وأن المسلم حر في اختيار الدين الذى يريده والمذهب الإلحادي الذى يختاره!

والمرأة المسلمة حرة في أن ترتبط بكافر يهودي أو نصراني أو ملحد لا حرج عليها في ذلك!

بل لا حرج عليها في أن تتزوج بامرأة مثلها!!

فالدعوة إلى المثلية الجنسية (يتزوج الرجل برجل مثله ,وتتزوج المرأة بامرأة مثلها) وحرية الكفر وتقليد الغرب الكافر في كفره وإلحاده هى دعوة لهدم الاسلام ,وهى دعوة{للأسف } مفتحة لها الأبواب في بلاد المسلمين هدفها إخراج المسلمين من دينهم وهدم عقيدتهم وتغيير فطرتهم وإخراج جيل لايعرف عن الإسلام إلا إسمه ,جيل غارق في الشهوات والملذات والملهيات ,ومن نجا منهم أغرقوه في الشبهات وظلمات الجهل والإلحاد.

فطعنوا في المسائل القطعية في دين الله وجعلوها مسائل خلافية تهويناً لها حتى يستهين المسلم بها ويظن أنها من المختلف فيه أو من مسائل الإجتهاد والخلاف الفقهي , وهى من الثوابت في دين الله التى لا خلاف فيها في الكتاب والسنة وعند الصحابة ورضى الله عنهم.

فخرج دعاة التغريب على الناس في الفضائيات التى سخرتها الأنظمة لفتنة الناس عن دينهم بحجة مسايرة الغرب والدعوة إلى الوسطية ,خرج هؤلاء على الناس باسم الدين فأحلوا وأباحوا المحرمات بحجة أنها مسائل خلافية !

مع أنهم لايستطيعون أن ينسبوا هذا الخلاف لله ولا لرسوله ولا لأحد من الصحابة رضى الله عنهم ,ولكنهم يأخذون زلات العلماء التى لا يسلم منها بشر ويعتبرونها دليلاً حاكما على الكتاب والسنة ويقدمون زلات العلماء على فهم الصحابة رضى الله عنهم!

فخرج دعاة الضلال والفتنة في منابرهم التى سخروها لمحاربة الفضيلة وقالوا بحل الموسيقى والرقص والفجور والمجون والعرى والتعري تحضر

وأن الربا حلال وفوائد البنوك الربوية استثمار،والخمر والدخان مشروبات روحية , وأن الاختلاط والخلوة بالمرأة تقدم ومدنية

وأن كشف وجه المرأة هو الأصل والنقاب والحجاب بدعة وعادة جاهلية

والطامة الكبرى أنهم يترحمون على هذا الكافر الذى مات على اليهودية أو مات على النصرانية ,يترحمون عليه مع أنه عاش طوال حياته يدعوا إلى الكفر والشرك ,يدعوا إلى أن عيسى هو الله ,وهو بن الله المخلص ويعتقد أن الله ثالث ثلاثة ,فكيف يكون في الجنة ؟وكيف لايخلد في النار وكيف لا نكفره والله عز وجل كفره وحكم عليه بالكفر والخلود في النار ,وأن الجنة عليه حرام !!! قال الله (لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ١٧) سورة المائدة

وقال سبحانه (لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٖ ٧٢ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٧٥ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّٗا وَلَا نَفْعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٧٦ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٖ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧) سورة المائدة

لابد من التصدى لهذه الأفكار وإبطالها وتقوية العقيدة في نفوس المسلمين لابد من الرجوع إلى القرأن والسنة لابد من فهم كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والرجوع إلى فهم الصحابة رضى الله عنهم

أجمعين والتقيد بفهمهم لنصوص الوحيين – القرأن والسنة – لأنهم أقدر الخلق على فهم كلام الله ورسوله – ويكفيهم أنهم كلهم عدول بتعديل الله لهم .

ويكفيهم أن الله رضى عنهم , وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى عنهم وأمرنا أن نتمسك بسنتهم وما كانوا عليه من علم وهدى واستقامة وأن لا نخرج عن فهمهم لأنهم عاصروا التنزيل وزمن التشريع ,رضى الله عنهم

.والمسألة مفروضة في من مات يهوديا أو نصرانيا يحكم بخلوده في النار أم لا؟

هل نحكم على بابا الفاتيكان وشنودة أنهما في النار أم لا؟

أصل المسألة

رجل كافر أصلى يهودي أو نصراني أو شيوعي أو بوذي على دين غير الإسلام وهو يعيش بين المسلمين محارب لهم ولعقيدتهم وهو رأس في الكفر وعاش ومات على كفره أيجوز للمسلم أن يشهد عليه بعينه أنه في النار خالدا فيها ؟؟

الأصل أنه يجوز ذلك بل نشهد عليه يقينا أنه في النار ونجزم ونقطع ولا نشك لأن الشك ريب وهو ضد اليقين والمسلم الموحد يعلم يقينا أن الجنة لا تدخلها إلا نفس مسلمة مؤمنة موحدة

ويعلم يقينا أن الكافر حرمت عليه الجنة وأنه خالد في النار قطعا

قال سبحانه { إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار }

قال الله سبحانه وتعالى: **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً} [النساء:18[،

وقال سبحانه وتعالى: **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} [البقرة:217[،

دلت هاتان الآيتان على أن كل من مات وهو كافر فقد أعد الله له عذاباً أليماً وأنه من الخالدين في النار

وقال سبحانه { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَماتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ (162(

قال الله)تعالى. (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا(

)إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيرا} (سورة الأحزاب / ءاية 64-65(

{فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ} (سورة الحج / ءاية19)

}إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ)

}وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

قوله سبحانه: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)

وقوله عز وجل: وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ)

وقوله سبحانه: هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ)

وقوله عز وجل في سورة الأعراف في شأن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(

ثم قال سبحانه بعد ذلك:

)قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(

)وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(

وأما السنة فمنها قوله صلى الله عليه وسلم:

((والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار)) أخرجه مسلم في صحيحه .

وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ذكر منها وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة))،

ويدل على هذا المعنى

-1حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار

-2والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار

- 3وقوله : إن أبي وأباك في النار

ولايشكل هنا قول الطحاوى رحمه الله (ولا نشهد لمعين من اهل القبلة بجنة ولانار إلا ماشهد له القرآن والسنة ولكن نرجوا للمحسن ونخشى على المسيئ)فهذا وأمثاله لاإشكال فيه ولايعارض الأصل بل يقويه لأن هذا في أهل القبلة فيخرج منه غيرهم من أهل الكفر والإلحاد ممن سمعوا بالإسلام ونبى الإسلام بل هم يعيشون في بلاد الإسلام بين المسلمين

ويحاربون الإسلام ويكيدون لأهله هذا أصل وهو مبنى على قاعدة العمل بالظاهر

(أحكام الدنيا تجرى على الظاهر من إسلام وكفر فمن أظهر لنا الإسلام حكمنا بإسلامه وقلنا أنه مسلم ,ومن أظهر لنا الكفر والشرك حكمنا بكفره وقلنا أنه مشرك)

ولابد من التفريق في هذه القاعدة بين الكافر الأصلى والكافر المرتد , وبين مناط حكم الشريعة وبين غيابها حتى تنضبط مسألة الظاهر والباطن في الدنيا والأخرة وهذا مهم

قال الدكتور عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف فمن علم أنه مات على الكفر، وقد بلغته دعوة الإسلام فقامت عليه الحجة، فإنه يشهد عليه بالنار لما ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار" أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فإن كانت لم تبلغه الدعوة أو شك في بلوغها فلا يشهد عليه بالخصوص لقول الله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} [الإسراء:15]، ولقول الله تعالى: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام:19]، وإنما يشهد بالعموم فيقال: كل مؤمن في الجنة، وكل كافر في النار. وعليه فالمسؤول عنه: بابا الفاتيكان، إذا علم أن دعوة الإسلام بلغته ولا شبهة له شُهد عليه بالنار، وإلا شُهد بالعموم. والله الموفق.

الرد على الشبهة الأولى يقال لك أن هذه الشهادة هي من عند الله ورسوله كلام من لا ينطق عن الهوى

ثم إذا كان رسول لله قد شهد على أبيه وهو من لم يدرك الإسلام , فكيف بمن عاش عمره وهو يحارب دين الله وعباده ويفتنهم عن دينهم ويتأمر على بلادهم حتى أخر لحظة في حياته ؟!!!

ثانياً : ما هي علة الحكم والشهادة على أبيه صلى الله عليه وسلم ؟

مع أنه لم تقم عليه حجة الإسلام إلا أنه مات مشركاً في زمن بقية من دين أبراهيم عليه السلام

سؤال : ما هي علة المنع من الشهادة بالنار على المعين الكافر ؟

وقد أجمع العلماء على أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الثقلين، وأن من لم يؤمن به ولم يتبع ما جاء به فهو من أهل النار ومن الكفار سواء كان يهوديا أو نصرانيا أو هندوكيا أو بوذيا أو شيوعيا أو غير ذلك.

قال الشيخ سفر الحوالي حفظه الله:

فمن هلك ومضى وأنت تعلم يقيناً أنه مات على الكفر ولا تعلم له توبة، فاشهد أنه مات على الكفر.

فإن قيل: أنت لا تعلم حاله في الباطن؟

قلنا: نحن لا نتكلم عن الباطن، لكن الله تعبدنا أن نحكم بالظاهر والله تعالى يتولى السرائر، فلو لم نكفر من مات على الكفر لاختل الأمر وأصبح الناس في شك؛ لأنه يمكن أن يموت بعض الكفار على الإسلام، فإذا جوزنا الإمكان فإنه يرد على كل.

فنقول: إذا وجدت قرائن تصلح لأن تكون شبهات تحول دون الإطلاق فلا نطلق الحكم، وإن لم يكن إلا مجرد الاحتمال فلا يجوز البناء على الاحتمال ما دام أن الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم نص على خلافه، فما حكم الله سبحانه وتعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم على قائله أو فاعله أو معتقده بالكفر، ونحن نعلم يقيناً أن رجلاً كان عليه إلى أن مات، فلا يرد احتمال أنه تاب قبل أن يموت، ونقول: من كان عنده بينة فليخبرنا، أما ما نعلمه يقيناً عنه فإنه لا يزول بمجرد الاحتمال أو الشك؛ فإن اليقين لا يزول بالشك.

يقول المصنف رحمه الله: [فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت]، أي: أن الشهادة بذلك هي حكم من يموت وهو يهودي أو نصراني أو من أهل الكفر والشرك الأصلي، أما المسلم أو من كان من أهل القبلة فإننا لا نطلق ذلك عليه إلا في مثل ما تجوز عليه الشهادة، بأن نشهد له على يقين؛ لأن هذه الأحكام لازمة ومترتبة على هذا القول .

ونوضح ذلك بمثال على الشهادة لمعين من أهل الكفر بأنه من أهل النار :

مثال ذلك: رجل يهودي نشأ مع اليهود ومات على دين اليهودية ، فهل نشهد له بالنار أم لا؟

الجواب: لا شك في هذا، ولا يأخذنا الورع فنقول: لا ندري! ولا يعني ذلك أنه (100%) لم يسلم منهم أحد؛ لكن مجرد الاحتمال لا يلغي الأصل .

أما حكمه عند الله فهذا شيء آخر، فمن مات في بيئة لم يبلغه الدين ولا الحق، ولا سمع عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن القرآن ولا عن الإيمان شيئاً، فهذا حكمه حكم أهل الفترة، والراجح في حكم أهل الفترة أنهم يمتحنون يوم القيامة، وبذلك يصدق عليهم أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً، ولن يدخلهم النار إلاَّ وهم مستحقون، فينتفي الظلم وتتحقق الرحمة والحكمة والعدل من الله سبحانه وتعالى بأن يمتحنهم، وهذا أصل كلي يدل على ذلك ويشهد له ما ثبت في صحيح مسلم أن رجلا قال : يا رسول الله ! أين أبي ؟ قال " في النار " فلما قفى دعاه فقال " إن أبي وأباك في النار"

بل معظم أهل السنة يشهدون أن والدي النبي صلى الله عليه وسلم في النار فكيف نتوقف في شنودة ولا حول ولا قوة إلا بالله!!!!

يجوز الشهادة على الكافر بالنار، وممن قال بهذا الشيخان (صالح آل الشيخ ، وعبدالعزيز الراجحي)

استدل الشيخ صالح آل الشيخ بـ:

1 -أن عدم الشهادة مختصٌ بأهل القبلة.

2 -حديث (حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار)

3 -استصحاب الأصل، فمن عاش يهودياً طول عمره أو نصرانياً طول عمره ثم مات فإننا نستصحب الأصل ونشهد عليه بالنار.

وسر المسألة أننا لم نفرق بين علم الله وخبره ،والله قد تعبدنا بالخبر الذى جاءنا عن رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يتعبدنا بعلمه سبحانه ، لأننا لا نحيط بعلم الله وقد فصلنا ذلك في غير هذا الموضع

٢٩ - والرجم حق والمسح على الخفين سنة وتقصير الصلاة في السفر سنة والصوم في السفر من شاء صام ومن شاء أفطر ولا بأس بالصلاة في السراويل

والرجم للمحصن الزانى الذى تزوج ودخل بزوجته ،وكذلك الرجم للمرأة المحصنة التي تزوجت ودخل بها زوجها عقوبة مقدرة في دين الله في شريعة الإسلام والشرائع من قبله من بدلها وغيرها وسن للناس عقوبة وحداً غير الذى جاء في دين الله فهو كافر مرتد مبدل لدين الله فقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما (إنَّ اليَهُودَ جاؤُوا إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرُوا له أنَّ رَجُلًا منهمْ وامْرَأَةً زَنَيا، فَقالَ لهمْ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: ما تَجِدُونَ في التَّوْراةِ في شَأْنِ الرَّجْمِ فَقالوا: نَفْضَحُهُمْ ويُجْلَدُونَ، قالَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ: كَذَبْتُمْ إنَّ فِيها الرَّجْمَ، فأتَوْا بالتَّوْراةِ فَنَشَرُوها، فَوَضَعَ أحَدُهُمْ يَدَهُ على آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ ما قَبْلَها وما بَعْدَها، فَقالَ له عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذا فِيها آيَةُ الرَّجْمِ، قالوا: صَدَقَ يا مُحَمَّدُ فِيها آيَةُ الرَّجْمِ، فأمَرَ بهِما رَسولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِما فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَحْنِي على المَرْأَةِ، يَقِيها الحِجارَةَ) وفيهما عن أبي هريرة رضى الله عنه (.بيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ إذْ قامَ رَجُلٌ مِنَ الأعْرابِ فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، اقْضِ لي بكِتابِ اللَّهِ، فَقامَ خَصْمُهُ فقالَ: صَدَقَ يا رَسولَ اللَّهِ، اقْضِ له بكِتابِ اللَّهِ وأْذَنْ لِي، فقالَ له النبيُّ ﷺ: قُلْ، فقالَ: إنَّ ابْنِي كانَ عَسِيفًا على هذا، - والعَسِيفُ: الأجِيرُ - فَزَنَى بامْرَأَتِهِ، فأخْبَرُونِي أنَّ على ابْنِي الرَّجْمَ، فافْتَدَيْتُ منه بمِئَةٍ مِنَ الغَنَمِ ووَلِيدَةٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ

أهْلَ العِلْمِ، فأخْبَرُونِي أنَّ على امْرَأَتِهِ الرَّجْمَ، وأنَّما على ابْنِي جَلْدُ مِئَةٍ وتَغْرِيبُ عامٍ، فقالَ: والذي نَفْسِي بيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بيْنَكُما بكِتابِ اللَّهِ، أمّا الوَلِيدَةُ والغَنَمُ فَرُدُّوها، وأَمّا ابنُكَ فَعليه جَلْدُ مِئَةٍ، وتَغْرِيبُ عامٍ، وأَمّا أنْتَ يا أُنَيْسُ - لِرَجُلٍ مِن أسْلَمَ - فاغْدُ على امْرَأَةِ هذا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فارْجُمْها فَغَدا عليها أُنَيْسٌ فاعْتَرَفَتْ فَرَجَمَها.)،وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخر أيامه، رجم ماعز والغامدية سنة تسع من الهجرة ، أي بعد نزول سورة النور بخمس سنوات أو أكثر فقد نزلت سورة النور في قصة الإفك سنة أربعة أو خمسة ،والرجم شهده أبو هريرة رضى الله عنه وهو قد اسلم عام خيبر سنة سبع ففي الصحيحين (أَتَى رَسولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنَ النّاسِ وهو في المَسْجِدِ، فَناداهُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي زَنَيْتُ، يُرِيدُ نَفْسَهُ، فأعْرَضَ عنْه النبيُّ ﷺ فَتَنَحّى لِشِقِّ وجْهِهِ الذي أعْرَضَ قِبَلَهُ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي زَنَيْتُ، فأعْرَضَ عنْه، فَجاءَ لِشِقِّ وجْهِ النبيِّ ﷺ الذي أعْرَضَ عنْه، فَلَمّا شَهِدَ على نَفْسِهِ أرْبَعَ شَهاداتٍ، دَعاهُ النبيُّ ﷺ فَقالَ: أبِكَ جُنُونٌ قالَ: لا يا رَسولَ اللَّهِ، فَقالَ: أحْصَنْتَ قالَ: نَعَمْ يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: اذْهَبُوا به فارْجُمُوهُ. قالَ ابنُ شِهابٍ: أخْبَرَنِي مَن سَمِعَ جابِرًا، قالَ: فَكُنْتُ فِيمَن رَجَمَهُ، فَرَجَمْناهُ بالمُصَلّى، فَلَمّا أذْلَقَتْهُ الحِجارَةُ جَمَزَ، حتّى أدْرَكْناهُ بالحَرَّةِ فَرَجَمْناهُ.)وفى صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قدْ جَعَلَ اللَّهُ لهنَّ سَبِيلًا، البِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مِئَةٍ ونَفْيُ سَنَةٍ، والثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مِئَةٍ، والرَّجْمُ.)وفى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما (رَجَمَ النبيُّ ﷺ رَجُلًا مِن أَسْلَمَ، وَرَجُلًا مِنَ اليَهُودِ وامْرَأَتَهُ. وفي رواية بهذا الإسْنادِ مِثْلَهُ، غيرَ أنَّهُ قالَ وامْرَأَةً):.،ورجم الصحابة من بعده فهو حكم ثابت في الصحيحين وعليه إجماع أهل السنة والجماعة فقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما _(قالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ وَهو جالِسٌ على مِنْبَرِ رَسولِ اللهِ ﷺ: إنَّ اللَّهَ قدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عليه الكِتابَ، فَكانَ ممّا أُنْزِلَ عليه آيَةُ الرَّجْمِ، قَرَأْناها وَوَعَيْناها وَعَقَلْناها، فَرَجَمَ رَسولُ اللهِ ﷺ، وَرَجَمْنا بَعْدَهُ، فأخْشى إنْ طالَ بالنّاسِ زَمانٌ أَنْ يَقُولَ قائِلٌ: ما نَجِدُ الرَّجْمَ في كِتابِ اللهِ فَيَضِلُّوا بتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَها اللَّهُ، وإنَّ الرَّجْمَ في كِتابِ اللهِ حَقٌّ على مَن زَنى إذا أَحْصَنَ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ، إذا قامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كانَ الحَبَلُ، أَوِ الاعْتِرافُ.)

وثبت في صحيح مسلم عن بريدة رضى الله عنه ("جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، طَهِّرْنِي .

فَقَالَ : وَيْحَكَ ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ .

قَالَ : فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، طَهِّرْنِي .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَيْحَكَ ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ .

قَالَ : فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، طَهِّرْنِي .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟ ، فَقَالَ : مِنَ الزِّنَى .

فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبِهِ جُنُونٌ؟ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ ، فَقَالَ : أَشَرِبَ خَمْرًا؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ ، قَالَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَزَنَيْتَ؟ فَقَالَ : نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ .

فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ ، قَائِلٌ يَقُولُ : لَقَدْ هَلَكَ ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ، وَقَائِلٌ يَقُولُ : مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ .

قَالَ : فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ جُلُوسٌ ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ ، فَقَالَ : اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : فَقَالُوا : غَفَرَ اللهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ ."

قَالَ : ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، طَهِّرْنِي ، فَقَالَ : وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ

فَقَالَتْ : أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ ، قَالَ : وَمَا ذَاكِ ؟.

قَالَتْ : إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَى ، فَقَالَ : آنْتِ؟ قَالَتْ : نَعَمْ .

فَقَالَ لَهَا : حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ ، قَالَ : فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ .

قَالَ : فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ ، فَقَالَ : إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ . قَالَ: فَرَجَمَهَا ".) الشاهد أن كل ذلك حدث في أخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم ونهاية التشريع ،وثبت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم

والمسح على الخفين سنة وتقصير الصلاة في السفر سنة والصوم في السفر من شاء صام ومن شاء أفطر ولا بأس بالصلاة في السراويل

والمسح على الخفين ثابت في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه (أنَّهُ كانَ مع رَسولِ اللَّهِ ﷺ في سَفَرٍ، وأنَّهُ ذَهَبَ لِحاجَةٍ له، وأنَّ مُغِيرَةَ جَعَلَ يَصُبُّ الماءَ عليه وهو يَتَوَضَّأُ، فَغَسَلَ وجْهَهُ ويَدَيْهِ، ومَسَحَ برَأْسِهِ، ومَسَحَ على الخُفَّيْنِ.) وفى صحيح البخارى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه (عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّه مَسَحَ على الخُفَّيْنِ وأنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ سَأَلَ عُمَرَ عن ذلكَ فَقالَ: نَعَمْ، إذا حَدَّثَكَ شيئًا سَعْدٌ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، فلا تَسْأَلْ عنْه غَيْرَهُ.)وفى صحيح مسلم (أَتَيْتُ عائِشَةَ أسْأَلُها عَنِ المَسْحِ على الخُفَّيْنِ، فقالَتْ: عَلَيْكَ بابْنِ أبِي طالِبٍ، فَسَلْهُ فإنَّه كانَ يُسافِرُ مع رَسولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْناهُ فقالَ: جَعَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَةَ أيّامٍ ولَيالِيَهُنَّ لِلْمُسافِرِ، ويَوْمًا ولَيْلَةً لِلْمُقِيمِ.)
وتقصير الصلاة في السفر رخصة تفضل الله بها على عباده لرفع المشقة عنهم والتيسير عليهم ورفع الحرج وهذا من يسر شريعة الإسلام شريعة الشمول والكمال فقال سبحانه (وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ

لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا) وثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه : قال (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ فَكَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ.

وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ لَا يَزِيدُ فِي السَّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ كَذَلِكَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) .فالأصل في السفر القصر وهو سنة مؤكدة لم يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم في السفر فصلاة السفر ركعتين ،وللمسافر أن يقصر الرباعية متى توارى عن البنيان ،وكل ما يطلق عليه سفراً وجب القصر فيه وليس له مسافة محددة في الشرع ،والمسافر يقصر ما لم ينوى إقامة ولم يدرى متى يعود وإذا حبس ظلماً ،وللمسافر أن يفرد الصلاة على وقتها ، وله أن يجمع جمع تقديم أو جمع تأخير في أحكام كثيرة ذكرها الفقهاء في كتب الفقه وأحكام الصلاة .

والصوم في السفر من شاء صام ومن شاء أفطر

وهو رخصة خلاصتها أن الصوم أفضل لمن يطيق وخاصة إن كان فرض كرمضان أو قضاء أو زمن فاضل كيوم عرفة أو عشر ذي الحجة

والفطر أفضل لمن لا يطيق الصيام ويحرم الصيام لمن يشق عليه ويتضرر بالصيام ،وهو يرجع إلى حال المكلف من قدرة واستطاعة ودليل ذلك ما ثبت في الصحيحين عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ فَصَامَ النَّاسُ ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ ثُمَّ شَرِبَ فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ فَقَالَ أُولَئِكَ الْعُصَاةُ أُولَئِكَ الْعُصَاةُ " . وفي رواية " فَقِيلَ لَهُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمْ الصِّيَامُ وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ فِيمَا فَعَلْتَ فَدَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ بَعْدَ الْعَصْرِ) .فوصف من صام مع المشقة الشديدة بالعصاة وثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَمَا فِينَا صَائِمٌ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ،)والمسافر أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر سواء شق عليه أم لم يشق ودليل ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أمنا عائشة رضى الله عنها (عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَمَا فِينَا صَائِمٌ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ)

ولا بأس بالصلاة في السراويل

والسروال معروف يلبس تحت الثياب وهو استر للثوب الشفاف والثوب القصير ،وأحفظ لعورة الرجل ،فإن عورة الرجل من السرة إلى الركبة فلبس السراويل استر للعورة ودلالة على الحياء ،وأعرف رجلاً ما رؤى من غير سروال في بيته وفى غيره إلا وشد عليه سرواله من يوم أن أستقام على دين الله ،ومناسبة ذكرها هنا هو الرد على الروافض الذين يحرمون الصلاة في السراويل فيخلعونها عند الصلاة ويقولون أنها تصيبها الريح الخارجة من الدبر ،وهذه بدعة وخرافة من بدع وخرافات الروافض ،وهى عادة كانت منتشرة بين الناس قديما تأثراً بالغزو الشيعي الرافضى لبلاد المسلمين ،فكانت المرأة إذا أرادت أن تصلى خلعت سروالها وكذلك الرجل

٣٠ - والنفاق أن يظهر الإسلام باللسان ويخفي الكفر بالضمير

وَالنِّفَاقُ لَفْظٌ إِسْلَامِيٌّ لَمْ تَكُنْ اَلْعَرَبُ قَبْلَ اَلْإِسْلَامِ تَعْرِفُهُ وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ "نَافِقِ اَلْيَرْبُوعِ" وَهُوَ جُحْرٌ مِنْ جُحُورِهِ يَخْرُجُ مِنْهُ إِذَا أُخِذَ عَلَيْهِ اَلْجُحْرُ اَلَّذِي فِيهِ دَخَلَ. فَيُقَالُ قَدْ نَفَقَ وَنَافَقَ وَمُنَافِقٌ يَدْخُلُ فِي اَلْإِسْلَامِ بِاللَّفْظِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ بِالْعَقْدِ شَبِيهٌ بِفِعْلِ اَلْيَرْبُوعِ; لِأَنَّهُ يَدْخُلُ مِنْ باب وَيَخْرُجُ مِنْ باب،

وهو نوعان أكبر مخرج من الملة وهو الاعتقادي ،أن يعتقد الكفر ويبطنه في قلبه وضميره ويظهر الإسلام كنفاق عبد الله بن أُبَيّ بن سلول وغيره من المنافقين الذين تظاهروا بالإسلام ،ونفاق أصغر عملي غير مخرج من الملة ،وهو أن يكون الإنسان مؤمناً ظاهراً وباطناً ولكن تصدر منه بعض المعاصى والصفات التي تشبه صفات المنافقين التي تنقص إيمانه وعليها وعيد شديد ولكل من نوعى النفاق أقسام

فالنفاق الاعتقادي وهو ستة أنواع، صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار تحت الكفار واليهود والنصارى.

تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم .

تكذيب بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

بغض الرسول صلى الله عليه وسلم .

بغض بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

المسرة بانخفاض دين الرسول صلى الله عليه وسلم .

الكراهية بانتصار دين الرسول صلى الله عليه وسلم.

النوع الثاني من نوعي النفاق: نفاق أصغر غير مخرج من الملة وهو النفاق العملي في الظاهر دون الباطن كأن يُظهر الإنسان علانية صالحة ويُبطن ما يخالف ذلك في غير العلانية.

وهو خمسة أنواع قد جمعها النبى في قوله: «آيَةُ المُنافِقِ ثَلاَثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وعَدَ أخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ» رواه «البخاري» و«مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «أرْبَعٌ مَن كُنَّ فِيهِ كانَ مُنافِقًا خالِصًا، ومَن كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنهُنَّ كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفاقِ حَتّى يَدَعَها: إذا اؤْتُمِنَ خانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهَدَ غَدَرَ، وإذا خاصَمَ فَجَرَ» متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وقوله صلى الله عليه وسلم في «الصحيحين»: «إنَّ أبْغَضَ الرِّجالِ إلى اللَّهِ الألَدُّ الخَصِمُ»

وقوله صلى الله عليه وسلم في «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما: «لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القِيامَةِ يُعْرَفُ بِهِ» وفي رواية: «إنَّ الغادِرَ يَنْصِبُ اللَّهُ لَهُ لِواءً يَوْمَ القِيامَةِ، فَيُقالُ: ألا هَذِهِ غَدْرَةُ فُلانٍ»

هنا مسألة لو اجتمعت هذه الخصال في شخص واحد التي جاءت في الحديث سواء كانوا ثلاثاً أو خمساً أو ستاً اجتمعن في شخص واحد هل يكفر ويكون النفاق هنا النفاق أكبر أم زال هو دون الأكبر؟ نقول حتى لو

تكررت منه هذه كلها ولكن هذا يخشى عليه من سوء الخاتمة ولكن كل هذه لو اجتمعن في شخص واحد لا تجعله أكبر إلا بالاعتقاد إنما يرد هذا على إنسان مخلص يخلف الوعد ممكن يكذب مرة مرات وهكذا يشرب خمر يزني هكذا يقع في المحرمات وفي هذه الأمور لا تخرجه أبداً نقول هذا لماذا لأن ذكر في بعض الكتب أنه قال وإذا اجتمعن في شخص فيقول هذا يعني كفر كفراً أكبر بالاعتقاد وهذا خطأ هذا فيه غلو لو افترضنا أن هناك شخص وقع في جميع الموبقات ليست هذه يعني ليس الكذب و الغدر والخيانة وغير ذلك من الأمور لا جميع الموبقات أنه قتل مسلما بغير حق وسرق وزنى وأكل الربا وشرب الخمر كل ذلك وقع فيه ولكنه من غير استحلال نقول هذا يكفر؟ لا يكفر لماذا لا يكفر مع أنه أتى بجميع الموبقات هذه لماذا ؟ إذا هذه المعاصي دون الكفر لو تكررت لا يكفر إلا إذا استحلها حتى لو أتى بها جميعاً حتى لو جاء بكل هذه الموبقات لذلك الله سبحانه وتعالى قال لمثل هؤلاء وانظر ما قال الله سبحانه وتعالى حتى يتبين لك منهج أهل الغلو من منهج أهل السنة والجماعة الله سبحانه وتعالى قال في مثل هذا الذي أسرف على نفسه قال: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) أسرفوا إذا هنا أسرف في المعاصي في ارتكاب المحرمات ثم الله سبحانه وتعالى ناداه بأفضل لفظ (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) جميعاً نعم جميع الذنوب (إنه هو الغفور الرحيم) طيب حتى يغفر الشرك؟ نعم يغفر الشرك؟ يغفر الكفر؟ يغفر الكفر فمن تاب, تاب الله عليه إذاً عندك ضابط أن المعاصي التي هي دون الكفر لا يكفر بها المسلم إلا إذا استحلها إذا استحلها ولم يقع فيها فقد كفر.

والمقصود أن هذه الخصال من صفات المنافقين وأنها من النفاق الأصغر الذي هو وسيلة إلى النفاق الأكبر فيجب على المسلم اجتنابها والحذر منها وأن لا يتساهل في شيءٍ منها لكونها من النفاق الأصغر فإن ذلك من الخذلان، والله المستعان.

الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر

1- أن النفاق الأكبر يخرج من الملة والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة.

2-أن النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

3- أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فيصدر من المؤمن كسائر المعاصي والذنوب والكبائر.

4- أن النفاق الأكبر فى الغالب لا يتوب صاحبه، ولو تاب فقد اختلف في قَبول توبته في الدنيا خلاف النفاق الأصغر.

نسأل الله السلامة والعافية وحسن الخاتمة.

٣١ - واعلم بأن الدنيا دار إيمان وإسلام وأمة محمد صلى الله عليه و سلم فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم ومواريثهم وذبائحهم والصلاة عليهم ولا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام فإن قصر في شيء من ذلك كان ناقص الإيمان حتى يتوب واعلم أن إيمانه إلى الله تعالى تام الإيمان أو ناقص الإيمان إلا ما أظهر لك من تضييع شرائع الإسلام

يعنى أن الدنيا دار عمل وهى تجرى على الظاهر فالمؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمن ،وقد فرق بعض العلماء بين الإسلام والايمان – وسيمر معنا تفصيل ذلك عند شرح الايمان الأوسط لشيخ الإسلام – والأمة فيها المؤمنون والمسلمون بالظاهر في أحكام الدنيا فيتوارثون ويصح ذبحهم وتؤكل ذبائحهم والصلاة خلفهم وعليهم ،ولا نزكى أحداً بالإيمان الكامل حتى يأتي بمراتب الإيمان والإحسان من فعل الواجبات والطاعات وترك المحرمات والمكروهات لأن مراتب الدين ثلاثة

مراتب الإيمان

علمنا مما سبق أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل؛ يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وأهله متفاوتون فيه على حسب علمهم وعملهم.

فالإيمان يزيد بالطاعات والأعمال الصالحة إلى ما شاء الله تعالى؛ حتى يوصل صاحبه درجة الصديقين، ويرفعه إلى الدرجات العليين، وهذه المرتبة تسمى (حقيقة الإيمان) .

وكذلك ينقص الإيمان بالمعاصي؛ حتى لا يبقى منه شيء ينفع صاحبه عند الله - سبحانه وتعالى - يوم الحساب.

إذن فللإيمان حد أدنى من أخل به ذهب إيمانه، ولن ينجو صاحبه من الخلود في النار! والعياذ بالله.

وهذه المرتبة تسمى الإسلام فإن الإيمان - عند أهل السنة والجماعة - مراتب ودرجات ومنازل، والمؤمنون فيه على طبقات متفاوتون في مراتب إيمانهم؛ فمنهم من معه أصل الإيمان، ومنهم من عمل بحقائقه واستكمل الإيمان، وبلغ درجات الكمال الواجب، أو المستحب؛ فهؤلاء معهم (حقيقة الإيمان) .

فمراتب الإيمان - عند أهل السنة والجماعة

- كالآتي:

المرتبة الأولى: (أصل الإيمان) :

ويسمى أيضاً (الإيمان المجمل) أو (مطلق الإيمان) .الذى هو الإسلام

وهذه المرتبة من الإيمان غير قابلة للنقصان؛ لأنها حد الإسلام، والفاصل بين الإيمان والكفر، وهذا النوع واجب على كل من دخل دائرة الإيمان، وشرط في صحته، وبه تثبت الأحكام الشرعية؛ لأن اسم الإيمان وحكمه يشمل كل من دخل فيه، وإن لم يستكمله، ولكن معه الحد الأدنى منه، هو ما يصح به

إسلامه، ومرتكب الكبائر داخل في هذا المعنى، والمنفي عنه ليس اسم الإيمان والدخول فيه، وإنما المنفي هو حقيقته وكماله الواجب؛ فهو لا يسلب مطلق الإيمان، أي أصله، ولا يعطى الإيمان المطلق التام.

وهذا الإيمان يتحقق بالتصديق والانقياد المجمل، وتوحيد الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، واستحقاقه - سبحانه - وحده للعبادة، واتباع أوامره ونواهيه، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذه المرتبة لا يشترط فيه وجود العلم التام بالإيمان.

فإذا عمل بهذا كله؛ فقد حقق أصل الإيمان الذي ينجو به من الكفر، ومن الخلود في النار، ومصيره يكون إلى الجنة؛ إن مات عليه، وإن قصر في بعض الواجبات، أو اقترف بعض المحرمات.

وصاحب هذه المرتبة يدخل في دائرة الإسلام، أو الإيمان المقيد، وكذلك يدخل فيه من أسلم من أهل الطاعة ممن لم تدخل حقائق الإيمان في قلوبهم، ويدخل فيه - أيضاً - أهل الكبائر عموماً، ويسمى صاحبه: مؤمنا ناقص الإيمان، أو فاسقاً، أو عاصياً.. إلخ.

<u>المرتبة الثانية (الإيمان الواجب) :</u>

ويسمى أيضاً (الإيمان المفصل) أو (الإيمان المطلق) أو (حقيقة الإيمان) .

وهذه المرتبة تكون بعد مرتبة (أصل الإيمان) ويكون صاحبها ممن يؤدي الواجبات ويتجنب الكبائر والمنكرات، ويلتزم بكل تفصيلات الشريعة؛ تصديقاً والتزاماً وعملاً، ظاهراً وباطناً؛ حسب استطاعته، وبقدر ما يزيد علمه وعمله يزداد إيمانه، وإذا ارتكب بعض الصغائر؛ يكفر عنه حسناته واجتنابه للكبائر، ولكن المتورع عن الصغائر أكمل إيماناً ممن يقع فيها.

وصاحب هذه المرتبة؛ موعود بالجنة بلا عذاب؛ وينجو من الدخول في النار؛ إن مات على ذلك، ويدخل في عداد المؤمنين الأبرار الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم:

{أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} سورة الأنفال، الآية: 4.

وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} سورة الحجرات، الآية: 15.

المرتبة الثالثة (الإيمان المستحب) :

ويسمى أيضاً (الإيمان الكامل بالمستحبات) .

وهذه المرتبة تكون بعد مرتبة (الإيمان الواجب) وهي مرتبة (الإحسان) وصاحبها لا يكتفي بعمل الواجبات وترك المنكرات؛ بل يضيف إلى ذلك فعل المستحبات، واجتناب المكروهات والمشتبهات؛ بقدر ما ييسر الله تعالى له ذلك.

ويتفاوت أصحاب هذه المراتب، بقدر تفاوتهم بالعلم والعمل، ويقابل ذلك تفاوتهم في درجات العلى من جنة الخلد.

قال الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز عن هذه المراتب:

{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ {32} جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} سورة فاطر، الآيتان: 32 و 33.

السابق بالخيرات:

هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات، والمتورع عن المكروهات، والمجتنب للمحظورات والمشتبهات، وهو صاحب (الإيمان الكامل المستحب) .

المقتصد:

المكتفي بفعل الواجبات، واجتناب المحظورات، وإن لم يحافظ على المسنونات، ولا تورع عن المكروهات، وهو صاحب (الإيمان الواجب) .

(الظالم لنفسه:

هو المفرط في بعض الواجبات، والمرتكب لبعض المحرمات والمعاصي التي لا تصل إلى الكفر، أو الشرك الأكبر، وهو صاحب (الإيمان المجمل) .

قال الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

(السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم).

تفصيل مراتب الإيمان

مراتب الإيمان ثلاثة:

الأول أصل الإيمان:

ويسمى مطلق الإيمان وأصل الدين ، والتوحيد ، وبه النجاة من الكفر الأكبر والخلود في النار ، وهو مضاد لأصل الكفر ، وبه يدخل الجنة ولو قصر في الواجب ، وهو شعب لا يصح إلا باكتمالها وهي :

على القلب معرفة ما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً والتصديق به والانقياد والإذعان له والاستسلام والمحبة والقبول والرضا والتسليم وغيرها من أعمال القلوب والاعتقاد .

وعلى اللسان الإقرار بالشهادتين والنطق بهما.

وعلى الجوارح أعمال الجوارح التي يكفر تاركها كالصلاة وبقية الأركان عند بعض العلماء ، وكذلك ترك المكفرات القولية والعملية ، كما على القلب ترك المكفرات الاعتقادية .

وضابط ما يدخل في أصل الإيمان من أعمال سواء كانت فعلاً أو تركًا.

كل عمل يكفر تاركه ففعله من أصل الإيمان ، كالتصديق والانقياد القلبي وهو اعتقاد ، وكإقرار اللسان وهو قول ، والصلاة وهي عمل بالجوارح.

وكل عمل يكفر فاعله فتركه من أصل الإيمان كالاستهزاء بالدين ، وصرف العبادة لغير الله ، وذلك لأن ضد أصل الإيمان هو أصل الكفر.

ولما كان الكفر ضد لأصل الإيمان ، وكل من لم يأت بأصل الإيمان أو أخل به فهو كافر .

وضابط الذنب المكفر هو ما قام الدليل الشرعي على أنه كفر أكبر ، فكل عمل أو قول ذكر الله في كتابه أنه كفر أكبر أو ذكره رسول الله ﷺ فتركه من أصل الإيمان.

أصل الإيمان لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يدخل عليه نسخ ولا تخصيص ولا استثناء وبذلك ، يعلم أن المرجئة ليس لهم حجة في احتجاجهم بحديث الجهنميين

وغيره من الأحاديث المطلقة - كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله - لأنهم أُخرجوا من النار لأن معهم أصل الإيمان من الاعتقاد والقول والعمل ولم ينقضوه وهو في قوله ﷺ : " ممن يشهد أن لا إله إلا الله" فيه الإقرار بالشهادتين وهو القول ، والعمل في قوله : " أثر السجود " وهي الصلاة والصلاة عمل ، وترك المكفرات في قوله ﷺ : " كان لا يشرك بالله شيئًا " وبيان ذلك لابد من معرفة أن الذنوب نوعان ، إما ترك واجب أو فعل محرم وهو - أي الذنب - قسمان الأول ذنب مكفر وهو الذي سماه الله كفرًا وهو الذي يخل بأصل الإيمان وهو نوعان:

ترك واجب من واجبات الإيمان الداخلة في أصل الإيمان كترك الإقرار بالشهادتين وترك الصلاة وانتفاء تصديق القلب من الانقياد والتسليم والقبول والإذعان وهو كفر التكذيب ، فإن انتفى التصديق وأقر بلسانه فكفر نفاق ، وكانتفاء يقين القلب وهو كفر الشك ، وغيرها من واجبات أصل الإيمان سواء كانت من أعمال القلب أو اللسان أو الجوارح ، فكل أمر وردت الشريعة بكفر تاركه فهو من الأصل.

أو فعل محرم يضاد أصل الإيمان : كسب الله ورسوله ، وكدعاء غير الله والذبح والنذر لغير الله فكل أمر وردت الشريعة بكفر فاعله فهو محرم يضاد أصل الإيمان.

فكل من أتى بذنب مكفر من ترك واجب أو فعل محرم فهو كافر بمجرد الفعل أو الترك والترك فعل ويكون بحسب المتروك ، فإن كان المتروك فرضًا فهو كفر لأن هناك فرق بين ترك الفرائض وارتكاب المحارم - كما سيأتي بيانه إن شاء الله - فترك العبادات المفروضات زندقة ، وارتكاب المحظورات معصية ، لذلك فإن ترك الفرائض مصرًا عليها متعمدًا ، يعني من غير عذر وهو قادر ومتمكن من القيام بها وضربوا لذلك مثلاً ، وهو إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة وهي من الفرائض ، فمن ترك صلاة واحدة من غير عذر حتى يخرج وقتها فهو كافر كفرًا أكبر مخرج من الملة ، وسيأتي تفصيل ذلك في المسألة الرابعة كفر تارك الصلاة ، وضربوا مثالاً لركوب المحارم وهي المعاصي والكبائر والذنوب من غير استحلال - سواء كان استحلال قلبي أو عملي - ليس بكفر كالزنى والسرقة والقتل وشرب الخمر أو الربا وغيرها من المعاصي ، فهذا ليس بكفر .

فهناك فرق بين ترك الفرائض مع القدرة والتمكن وعدم العجز ، وبين ارتكاب المحارم ، والمرجئة لم يفرقوا بينهما ، فجعلوا ترك الفرائض بمنزلة ارتكاب المحارم ، مع أن الله فرق بين الشرك والفرائض ، والمعاصي والكبائر لكن المرجئة جعلوهم سواء بمنزلة واحدة للخلط بين مراتب الدين الثلاثة أصل الإيمان والإيمان الواجب والإيمان المستحب ، وبهذا تصح المرتبة الأولى وما يدخل فيها وضابطها.

2- الإيمان الواجب:

وهو ما زاد عن أصل الإيمان من فعل الواجبات ، وترك المحرمات ، وضابطه ، أن كل فعل أوترك لم يسمه الله كفرًا ، أو لم يخرج به من الإسلام بالكلية ومتوعد عليه بالنار ، فهو من الإيمان الواجب ، مع اشتراكه مع أصل الإيمان في الوعيد ، فنفي الإيمان صيغة الوعيد ، والوعيد لا يرد إلا في حق من ترك واجبًا ، إما من أصل الإيمان ، وإما من الإيمان الواجب ، أما من ترك شيئًا من الإيمان المستحب فلا وعيد في حقه ، ولهذا فإن كل آية أو حديث ورد فيه نفي الإيمان فإما أن يراد به نفي أصل الإيمان فيكون صاحبه كافرًا كما سبق ، وإما يراد به نفي الإيمان الواجب - أي كماله الواجب - فيكون صاحبه فاسقًا ، ويتم التفريق بينهما بالدلائل والقرائن والاستثناء والتقييد ؛ لأن هناك ثلاثة أشياء ضد ثلاثة أشياء التوحيد ضد الشرك ، الطاعة ضدها المعصية ، السنة ضدها البدعة ، فالشرك والمعاصي والبدع كلها مخالفات وكلها مذمومة وتأتي أحيانًا بصيغة نفي الإيمان وأحيانا باسم الشرك والكفر ولكن يحكم عليها بمناطها كما في سِبَابِ المسلم فسوق وقتاله كفر ، ويَكْفُرْن العشيرمن البشر ، من حلف بغير الله فقد أشرك ، وثلاثة بهن كفر ، وغيرها من الصيغ ولكن باعتبار القرائن والدلالات يحكم على الشرك الأكبر بالكفر وعلى المعاصي التي هي دونه بحكمها ، وهذا لم يعتبره الخوارج وأهل الغلو في التكفير فكفروا أهل القبلة بالمعاصي والكبائر التي هي دون الشرك ؛ لأنهم لم يفرقوا بين ما هو من أصل الدين وبين الواجب والمستحب .

3- الإيمان المستحب:

وهو ما زاد عن الإيمان الواجب من فعل المندوبات والمستحبات ، وترك المكروهات والمتشابهات فهذه هي مراتب الدين الثلاثة التي من لم يفرق بينها ويعرف ضابط كل واحدة منها يقع في التناقض ، وترد عليه الشبهات ، فيقع إما في التفريط فيقول بقول المرجئة ، وإما في الغلو فيقول بقول الخوارج فأصل الإيمان هو الإسلام هو الظالم لنفسه.

والإيمان الواجب هو الإيمان هو المقتصد.

والإيمان المستحب هو الإحسان هو السابق بالخيرات.

فما كان من العمل تركه أو فعله كفر فهو من أصل الإيمان الذي هو الإسلام ، وما كان من العمل تركه أو فعله فسق فهو من الإيمان الواجب وتركه حرام ، وما كان من العمل لا يذم تاركه ولا يعاقب فهو من الإيمان المستحب ، لأن الإيمان عند أهل السنة ثلاث مراتب - كما سبق - : أصل ، وكمال واجب ، وكمال مستحب ، والعمل يدخل في المراتب الثلاثة ولا يَزول الإيمان إلا بزوال أصله ، وبهذا يتضح أن الإيمان عند أهل السنة اعتقاد وقول وعمل ، والأعمال ركن في الإيمان ومنه وداخلة فيه ، فالإيمان مركب من ثلاثة أركان لا ينفك أحدهم عن الآخر ولا يجزئ أحدهم عن الآخر ولا يصح أحدهم بدون الآخر، خلافًا للمرجئة والخوارج والأشاعرة والمعتزلة وأهل البدع.

وأن الأعمال عند أهل السنة منها ما هو كفر مخرج ومنها ما هو دون ذلك كما دل على ذلك حديث شعب الإيمان ، وبذلك يتضح قوة التلازم بين عمل القلب وعمل الجوارح وكما سبق لم يأت الإيمان في القرآن ولا في السنة إلا مقرونًا بالعمل.

تنبيه مهم: أما الاختلاف في كفر تارك الصلاة ، فليس من هذا الباب ، وسيأتي الكلام على كفر تارك الصلاة في المسألة الرابعة إن شاء الله .

فإن الذين لم يكفروا تارك الصلاة من الفقهاء - خلافًا لإجماع الصحابة - لم يتوقفوا في تكفيره من باب أن الصلاة عمل وأن تارك العمل لا يكفر ، بل لم يكفروا تارك الصلاة لأن عندهم أدلة تعارضت - عندهم - مع القول بالتكفير.

فإن القائلين بعدم كفر تارك الصلاة من الفقهاء يقولون أن الإيمان قول وعمل وأن الأعمال ركن في مسمى الإيمان ولا يجزئ ولا يصح ولا ينفع واحد عن الآخر ونقل الشافعي الإجماع على ذلك وقد مر معك .

فمسألة عدم تكفير تارك الصلاة ليست من باب أن الصلاة عمل ولا يكفر تارك العمل ، بل كما سبق من كلام السلف أن تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة كافر.

وقد مر معك الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف على أن الأعمال من الإيمان وركن فيه ومن الأدلة الصريحة على ذلك حديث وفد عبد القيس وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : " آمركم بالإيمان بالله وحده ، وقال : هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : " شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تعطوا من الغنائم الخمس ... "[85]

ففي هذا الحديث فسر النبي صلى الله عليه وسلم للوفد الإيمان بقول اللسان وأعمال الجوارح ، ومعلوم أنه لم يُرِدْ أن هذه الأعمال تكون إيمانًا بدون القلب ، لما قد أخبر في مواضع أنه لابد من إيمان القلب ، فعلم أن هذا مع إيمان القلب هو الإيمان ، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ، كما قال شارح الطحاوية .

ومن أوضح الأحاديث دلالة على أن الأعمال من الإيمان وركن فيه ويزول بزوالها ويضعف بضعفها : حديث أبي هريرة ﵁ قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان"[86]

ويقول الإمام بن القيم - رحمه الله - في كتاب الصلاة وحكم تاركها شارحًا وموضحًا هذا الحديث : " الإيمان أصل له شعب متعددة ، وكل شعبة تسمى إيمانًا ، فالصلاة من الإيمان ، وكذلك الزكاة والحج والصوم ،

---

(85) متفق عليه : البخاري في كتاب : المغازي ، ومسلم في كتاب : الإيمان .

(86) متفق عليه : والحديث مخرج في الكتب الستة والمسند بألفاظ مختلفة .

والأعمال الباطنة : كالحياء والتوكل ... وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة ، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق ، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتًا عظيما ، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب ، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى عن الطريق ، ويكون إليها أقرب ، وكذلك الكفر ذو أصل وشعب"

فيتضح مما سبق أن الطاعات جميعًا ومنها أعمال الجوارح تدخل في مسمى الإيمان ، ومنها شعب يزول الإيمان بزوالها ، ومنها شعب لا يزول الإيمان بزوالها كترك الإيمان المستحب وهذا مما خالف فيه الخوارج أهل السنة ، فمع قول أهل السنة أن العمل من الإيمان وركن فيه ؛ إلا أنهم قالوا : من الأعمال ما يلحق بالشهادتين وأصل الدين وأصل الإيمان ويزول بزوالها ، ومن الأعمال ما يلحق بالإيمان الواجب والمستحب ولا يزول بزوالها ، ولكن ينقص حتى لا يبق منه شيء ، ولذلك قال أهل السنة أن تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة وعدم العجز كافر قولاً واحدًا.

وبهذا يتضح أن الخلاف الحقيقي لأهل السنة مع الخوارج والمعتزلة هو القول بتخليد مرتكب الكبيرة في النار لأنهم قالوا أن الإيمان كلٌ إذا زال بعضه زال كله والأعمال كلها ركن في الإيمان ولم يفرقوا بين جنس الأعمال وآحادها ، وبين تارك أعمال الجوارح بالكلية ، ولم يفرقوا بين أصل الإيمان والإيمان الواجب والإيمان المستحب ، ولم يفهموا حديث شعب الإيمان بفهم السلف ، وكذلك فإن الخلاف الحقيقي لأهل السنة مع المرجئة هو أن ترك العمل الظاهر ، أي تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز مسلم عند المرجئة وهو تحت المشيئة وهذا قول المرجئة ، والبيجوري من الأشاعرة ، وغيرهم من أهل الانحراف عن الحق.

وبذلك يعلم أنه ليس كل من قال أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص يكون سنيًا سلفيًا بل لا يكون سنيًا سلفيًا إلا بفهم أهل السنة وموافقة أهل السنة والسلف الصالح ؛ فمن قال الإيمان قول وعمل يزيد وينقص على فهم أهل السنة وعلى المعنى المتداول عندهم فهو منهم ، وإن كان فهمًا ومعنى يخالف ما عند أهل السنة فليس منهم.

نقول ذلك لأن هناك من يقول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والأعمال كمال في الإيمان من أتى بها فهو كامل الإيمان ومن لم يأت بأعمال الجوارح مع قدرته فهو تحت المشيئة مثله مثل أهل الكبائر ، وهو بذلك المفهوم وهذا المعنى يخالف مفهوم ومعنى الإيمان عند أهل السنة ، فليست العبرة بموافقة أهل السنة في تعريفهم الإيمان لفظًا دون المعنى ، ولكن العبرة بالتوافق لفظًا ومعنى فهؤلاء مرجئة العصر ، وافقوا أهل السنة في تعريفهم للإيمان لفظًا وقالوا : الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص ، وخالفوا أهل السنة في المعنى والحقيقة فقالوا : الأعمال كمال في مسمى الإيمان ؛ فرجع أصل قولهم إلى الاعتقاد والقول فقط ، وهذا هو مذهب المرجئة فانتبه - بارك الله فيك - إلى هذا التلبيس حتى تنجوا من البدع والأهواء والانحراف .[87]

وبما أننا في السنة الثانية لهذه المجالس والدورة السابعة من هذه الدورات العلمية المباركة -أسأل الله أن ينفع بها -نذكر شيئاً من التفصيل في مسألة الإيمان من باب التدرج في العلم شيئاً فشيئاً حتى نقف على أصلها وما تبنى عليه وما يتفرع عنها من كلام أهل السنة ،لأن مسألة الإيمان هي الأصل فيجب الإعتناء بها وتحريرها وتحقيقها من باب التثبت مما أنت عليه ، وهذا بمثابة المدخل والمقدمة لدراسة كتاب الإيمان لشيخ الإسلام الذى تقرر دراسته وشرحه في هذه المرحلة ، نسأل الله لنا ولكم العلم النافع والعمل الصالح .

٣٢ - والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة والمرجوم والزاني والزانية والذي يقتل نفسه وغيره من أهل القبلة والسكران وغيرهم الصلاة عليهم سنة ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عز و جل أو يرد شيئا من آثار رسول الله صلى الله عليه و سلم أو يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله وإذا فعل شيئا من ذلك فقد وجب عليك أن

---

(87) انظر إلى تفصيل ذلك في كتاب : إرشاد الخلان .

تخرجه من الإسلام فإذا لم يفعل شيئا من ذلك فهو مؤمن ومسلم بالإسم لا بالحقيقة

يعنى الصلاة على من مات من المسلمين صلاة الجنازة وهى من فروض الكفايات وله أجر عظيم فمن صلى على جنازة وشيعها حتى دفنت فله قيراطان في الجنة كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وتفصيل ذلك في كتب الفقه ،الشاهد أن الصلاة على أهل المعاصى ومن مات على الكبائر سنة ويجوز للعلماء ووجهاء الناس وممن يقتدى بهم في الخير الإمتناع عن الصلاة على أهل البدع والقاتل لنفسه المنتحر زجراً لهم ولأمثالهم وحياة لغيرهم ، وعلى ذلك فالانتحار ليس كفرا ولكنه منكر ومن كبائر الذنوب ، فقد يظن بعض الناس أن المنتحر الذي قتل نفسه مات كافرا فلا يصلون عليه ولا يستغفرون له ولايدعون له بالرحمة وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن المنتحر يعاقب بمثل ما قتل نفسه به.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَن تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومَن تحسَّى سمّاً فقتل نفسه فسمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومَن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)

وفيهما أيضاً عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مَن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة)

وروى البخارى ومسلم في صحيحيهما عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات . قال الله تعالى : بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة)

وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة على المنتحر ، عقوبةً له ، وزجراً لغيره أن يفعل فعله ، وأذن للناس أن يصلوا عليه ، فيسن لأهل العلم والفضل ترك الصلاة على المنتحر تأسيّاً بالنبي صلى الله عليه وسلم.

فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : (أُتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل قتل نفسه بمَشاقص فلم يصل عليه) رواه مسلم

فالانتحار بكلام النبي صلى الله عليه وسلم ليس كفراً مخرجاً من الملة كما يظن بعض الناس ، بل هو من كبائر الذنوب التي تكون في مشيئة الله يوم القيامة إن شاء غفرها وإن شاء عذَّب بها ،

فيغسل ويكفن. ويصلي عليه ويدفن في مقابر المسلمين ويدعوا له بالرحمة ويستغفر له عسى الله أن يغفر له ويتوب عليه

وترك أهل العلم والفضل الصلاة عليه زجرا لغيره حتى لايفعل فعله ويكثر الانتحار ،فالمنتحر قد أتى منكرًا عظيمًا، وأمره إلى الله فهو تحت مشيئة الله،

الانتحار من المعاصي الكبيرة، والعاصي إذا مات على معصيته؛ أمره إلى الله تحت المشيئة، كما قال الله سبحانه لما ذكر الشرك قال بعده(وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)[النساء:48].

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن العاصي إذا مات على معصيته و لم يتب منها فهو تحت مشيئة الله .

فطالما أنه في دائرة الإسلام لم يخرج منها بناقض فالصلاة عليه سنة ، وقد تقدم صلاة النبي صلى الله عليه وسلم على ماعز والغامدية وغيرهما ممن رجمهم رسول الله ،فقد تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم خمسة ،ماعز والغامدية واليهودي واليهودية والعسيف الذى اختصموا فيه إليه ،ورجم الصديق ، ورجم الفاروق ،ورجم على ،وقد تقدم تفصيل ذلك ،وهو حكم مجمع عليه في الإسلام ثم يخرج علينا من ينتسب إلى الإسلام والدعوة ويقول -لا رجم في الإسلام !!-يريدون أن يبدلوا دين الله وكلام الله ويغيروا شريعة الله إرضاءً للطواغيت والغرب الكافر ،نسأل الله أن يكف شرهم عن المسلمين ،وأن يأذن الله بقيام دولة الشريعة لتحكم دين الله في

مثل هؤلاء ،فدين الله هو الحاكم الجامع المانع،وفيه الصلاة على أهل الكبائر والمعاصى وإن ماتوا عليها فهم مسلمون لا يخرجون من الإسلام بها

ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عز و جل أو يرد شيئا من آثار رسول الله صلى الله عليه و سلم أو يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله وإذا فعل شيئا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام فإذا لم يفعل شيئا من ذلك فهو مؤمن ومسلم بالإسم لا بالحقيقة

وهذا من نواقض الإسلام ،رد شيئاً من الدين أو من كلام رب العالمين أو سنة من سنن سيد المرسلين صلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين كفر مخرج من الملة ،فمن أنكر شيئا من القرأن أو جحد شيئاً من السنة أو كذب بما جاء فيهما فهو كافر مرتد يستتاب ،فإن تاب وإلا ضربت عنقه ،وقد مرمعنا الكلام عن الكفر عند أهل السنة ،وأنه يكون بالقول ويكون بالعمل ،ويكون بالاعتقاد ،وقد فصلنا نواقض الإسلام وشرحناها في أكثر من موضع ،فلا حاجة لتكرارها هنا

٣٣ - **وكل ما سمعت من الآثار شيئا مما لم يبلغه عقلك نحو قول رسول الله صلى الله عليه و سلم قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن عز و جل وقوله إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وينزل يوم عرفة وينزل يوم القيامة وإن جهنم لا يزال يطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جل ثناؤه وقول الله تعالى للعبد إن مشيت إلي هرولت إليك وقوله خلق الله آدم على صورته وقول رسول الله صلى الله عليه و سلم رأيت ربي في أحسن صورة وأشباه هذه الأحاديث فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضا ولا تفسر شيئا من هذه بهواك فإن الإيمان بهذا واجب فمن فسر شيئا من هذا بهواه ورده فهو جهمي ومن زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا فهو كافر بالله عز و جل**

لأن الدين على التسليم والانقياد والقبول ،فلا يقال في دين الله لما وكيف ، وهذه الأثار في توحيد الله وأسمائه وصفاته تبنى على قواعد وأركان أربعة

ذكرناها في شرح كتب السنة وهى ، الإقرار والإمرار والإثبات مع التنزيه ، فنثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولاتمثيل ،وبلا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل ،فكل ما دار في بالك فالله خلاف ذلك ، (ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير)

وفيه إثبات الأصابع لله تعالى ،وإثبات صفة النزول لله تعالى ،وفيه إثبات القدم لله تعالى ،وفيه لإثبات الهرولة لله تعالى ،وفيه إثبات الصورة لله تعالى كل ذلك على الوجه اللائق به سبحانه

،والخلاصة في توحيد الذات والأسماء والصفات:

توحيد الأسماء والصفات ,توحيد الذات المقدسة بأنها لاتشبه الذوات وكذلك الأسماء الحسنى والصفات العلى مما جاء فى كتاب الله تعالى ,وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم,

✍وأصله الإقرار والإمرار والإثبات والتنزيه

فأهل السنة والجماعة يثبتون ذلك لله تعالى على مايليق بجلاله وعظمته سبحانه إثباتا بلا تمثيل ,وتنزيها بلا تعطيل من غير تحريف أو تكييف ,بل إقرار وإمرار مع الإيمان الجازم بأن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ,فأسماء الله توقيفية فلا يجوز أن نسمى الله بما لم يسم به نفسه سبحانه ,بل نثبت لله ماأثبته لنفسه فى كتابه ,وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا نتجاوز الدليل بل نتقيد بما ورد فى الكتاب والسنة وبما فهمه الصحابة رضى الله عنهم ,فهم أعلم الأمة بالله بعد نبيها صلى الله عليه وسلم وقد رضى الله عنهم وشهد لهم رسوله بالخيرية ,

والأدلة على هذا النوع من التوحيد كثيرة لاتحصى قال الله تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ

وقوله تعالى: وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ
[الأعراف:180] .

وقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [الشورى:11

وقوله تعالى(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا(110))

وقوله تعالى (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)

وقوله سبحانه (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(24))الحشر

✍ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً,من أحصاها دخل الجنة)وليست أسماء الله منحصرة فى هذا العدد والدليل مارواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام أحمد فى المسند وابن حبان وأبو يعلى والحاكم ,أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (...أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ,أو أنزلته فى كتابك ,أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى...)

✍الإيمان بأسمائه وصفاته " توحيد علمى أو معرفة. "

✍**تعريفه** : الإيمان بما وصف الله به نفسه , ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف " تأويل فاسد"ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف ولا تفويض المعنى

✍الدليل : { وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }

✍**قواعد مهمة_:**

أعلم رحمك الله أن كل الفرق التى فارقت الإسلام أختلفت مع الفرقة الناجية فى أصول كلية وأهمها الإيمان بالله وخاصة توحيد الأسماء والصفات ولذلك يجب علينا أن نفهم معتقد السلف الصالح حتى لا نضل الطريق وهذه ثلاث قواعد بالأدلة لفهم باب الأسماء والصفات وهم _:

✍**القاعدة الأولى** :_ نثبت ما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله صلي الله عليه وسلم فقط

✍والدليل : قول الله تعالى {قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} وقول الرسول صلى الله عليه وسلم {.. فَأَنَا ، وَاللهِ ، أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ } متفق عليه

✍**القاعدة الثانية :**_ ننفى ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه رسوله صلي الله عليه وسلم فقط

والدليل :){ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }

✍**القاعدة الثالثة :**_ نسكت عما سكت عنه الله ورسوله فقط

والدليل : قول الله {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} إى إن الأصل إننا لا نعرف شئ عن أسماء الله وصفاته إلا عن طريق الوحى لأن الأسماء والصفات توقيفية بالأجماع ولقول رسول الله {من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " . أخرجه الشيخان في " صحيحيهما

✍**ثلاثة أدلة على توحيد الذات والأسماء والصفات**

قال تعالى (قل هو الله أحد) سورة الاخلاص كاملة أما الدليل الأول ففيها من الأسماء، الله والأحد والصمد ، وفيها من الصفات : لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ففيها ثلاثة أسماء وثلاث صفات منفية تتضمن الإثبات والكمال.

قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى) وهذا الدليل الثاني والآية الثانية واللام في لله للاختصاص وللاستحقاق والألف واللام في الأسماء للاستغراق أي كل أسماء الله حسنى ، وأسماء الله أحسن شيء كل باب في بابه ، ففي باب العزة والغلبة له أحسنها وهو العزيز وفي باب المكر له أحسنها وهو المكر بالماكرين ، فأحسن المكر أن يمكر الماكرين وقوله (فادعوه بها) سواء كان دعاء مسألة أو دعاء عبادة.

قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) هذا الدليل الثالث والآية الثالثة وفيها من الأسماء السميع والبصير.

✍الأصل الضابط لتوحيد الأسماء والصفات أربعة قواعد:

1 - الإقرار بها

2 -الإمرار كما جاءت

3 - الإثبات اثباتها والتعبد بمقتضاها

4 - التنزيه ليس كمثله شيء

الإقرار والإمرار والإثبات مع التنزيه

✍نواقضه : مخالفة إعتقاد السلف الصالح وإعتقاد الفرق الضآلة مثل_:

1 **(الجهمية** : وهم أتباع الجهم بن صفوان ، وهم ينكرون الأسماء والصفات.

2 **(المعتزلة** : وهم أتباع واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وهم يثبتون الأسماء ، وينكرون الصفات.

3 **(الأشاعرة :** وهم أتباع أبي الحسن الأشعري قبل أن يعود إلى إعتقاد السلف ، وهم يثبتون الأسماء، و سبع صفات يقولون عقلية يسمونها معاني هي : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر والكلام

وإثباتهم لهذه الصفات مخالف لطريقة السلف , ويحرفون باقى الصفات " أو يؤلون الصفات تأويل فاسد.

4 (الممثلة : وهم الذين أثبتوا الصفات ، وجعلوها مماثلة لصفات المخلوقين ، وقيل إن أول من قال بذلك هو هشام بن الحكم الرافضي

5 (المكيفة : حكاية كيفية الصفة كقول القائل : يد الله أو نزوله إلى الدنيا كذا وكذا ، أو يده طويلة ، أو غير ذلك ، أو أن يسأل عن صفات الله بكيف

6 (المفوضة : هو الحكم بأن معاني نصوص الصفات مجهولة غير معقولة لا يعلمها إلا الله

أو هو إثبات الصفات وتفويض معناها وكيفيتها إلى الله عز وجل.

والرد على هؤلاء يكون بدليل الإثبات أو النفى أو السكوت وبيان مخالفة معتقدهم بالنقل والعقل

وأما حديث الصورة (خلق الله أدم على صورة الرحمن)فهو ثابت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ".

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ".

وروى ابن أبي عاصم في السنة عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقبحوا الوجوه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن" .

فهذه الأحاديث صحيحة صححها الأئمة ، الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهما وقد فصلنا ذلك في شرح كتاب التوحيد واثبات صفات

الرب للإمام بن خزيمة رحمه الله عند كلامه على حديث الصورة ، وقال شيخ الإسلام : **(لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير في الحديث عائد إلى الله تعالى ، فإنه مستفيض من طرق متعددة ، عن عدد من الصحابة ، وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك ...** ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائدا إلى غير الله تعالى ، حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم ، كأبي ثور وابن خزيمة وأبي الشيخ الأصفهاني وغيرهم ، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة) نقض التأسيس 202/3

وقد تكلمنا علي حديث الصورة قديما وخلاصة ذلك

أنه جاء في رواية أحمد وجماعة من أهل الحديث على صورة الرحمن فالضمير في الحديث الأول يعود إلى الله ، قال أهل العلم كأحمد رحمه الله وإسحاق بن راهويه وأئمة السلف : يجب أن نمره كما جاء على الوجه الذي يليق بالله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ، ولا يلزم من ذلك أن تكون صورته سبحانه مثل صورة الآدمي ، كما أنه لا يلزم من إثبات الوجه لله سبحانه واليد والأصابع والقدم والرجل والغضب وغير ذلك من صفاته أن تكون مثل صفات بني آدم ، فهو سبحانه موصوف بما أخبر به عن نفسه أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه اللائق به من دون أن يشابه خلقه في شيء في ذلك كما قال عز وجل : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) فعلينا أن نمره كما جاء على الوجه الذي أراده الرسول من غير تكييف ولا تمثيل ، والمعنى والله أعلم أنه خلق آدم على صورته ذا وجه وسمع وبصر يسمع ويتكلم ويبصر ويفعل ما يشاء ، ولا يلزم أن تكون الصورة كالصورة وهذه قاعدة كلية في هذا الباب عند أهل السنة والجماعة ، وهي إمرار آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل بل يثبتون أسماءه وصفاته إثباتا بلا تمثيل وينزهونه سبحانه عن مشابهة خلقه تنزيها بلا تعطيل ، خلافا لأهل البدع من المعطلة والمشبهة ، فليس سمع المخلوق ولا بصر المخلوق ولا علم المخلوق مثل علم الله عز وجل وإن اتفقا في جنس العلم والسمع والبصر

لكن ما يختص به الله لا يشابهه أحد من خلقه سبحانه وتعالى ، وليس كمثله شيء ؛ لأن صفاته كاملة لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه أما أوصاف المخلوقين فيعتريها النقص والزوال في العلم وفي السمع والبصر وفي كل شيء .

والخلاصة إن الله عز وجل له وجه وله عين وله يد وله رجل عز وجل، لكن لا يلزم من أن تكون هذه الأشياء مماثلة للإنسان، فهناك شيء من الشبه لكنه ليس على سبيل المماثلة، كما أن الزمرة الأولى من أهل الجنة فيها شبه من القمر لكن بدون مماثلة، وبهذا يصدق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، من أن جميع صفات الله سبحانه وتعالى ليست مماثلة لصفات المخلوقين، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وهذا كلام مثل الذهب من الأمام الذهبي رحمه الله في الرد على من مثل الله بخلقه وكذلك في الرد علي من عطل صفات الله سبحانه وتعالى ،قال رحمه الله تعالى(و الله أنا لعاجزون: حائرون باهتون في حد الروح التي فينا وكيف تعرج كل ليله إذا توفاها بارئها وكيف يرسلها وكيف تستقل بعد الموت وكيف حياة الشهيد المرزوق عند ربه بعد قتله وكيف حياة النبيين الآن وكيف شاهد النبي صلى الله عليه وسلم أخاه موسى يصلي في قبره قائماً ثم رأه في السماء السادسة وحاوره وأشار عليه بمراجعة رب العالمين وطلب التخفيف منه على أمته وكيف ناظر موسى أباه آدم وحجه آدم بالقدر السابق بأن اللوم بعد التوبة وقبولها لا فائدة فيه وكذلك نعجز عن وصف هيئتنا في الجنة ووصف الحور العين فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتهم وكيفيتها وأن بعضهم يمكن أن يلتقم الدنيا لقمة مع رونقهم وحسنهم وصفاء جوهرهم النوراني فالله أعلى واعظم ولله المثل الأعلى والكمال المطلق ولا مثل له أصلا "آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون ")

هذا كلام الذهبي وهو كلام من ذهب والكلام في الذات كالكلام في الصفات فلا نطمع في ادراك كيفية ذاته وصفاته بل نقر ونمر ونثبت وننزه هذه

أصول توحيد الاسماء والصفات وقواعد وأركانه من فهمها وتمسك بها نجا من الضلال

ومن زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا فهو كافر بالله عز و جل

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله لا يرى في الدنيا رؤية عين ،ويراه المؤمنون في الآخرة ، خلافاً لبعض المبتدعة من المتصوفة الحلولية الذين يزعمون أن الله يتجلى لهم ويجلس معهم في الحضرة الإلهية كما يزعمون ويروجون على أتباعهم من المتصوفة والعوام من الناس تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، فالصوفية الحلولية يقولون ما المانع أن نرى ربنا في الدنيا ويحضر مجالسنا وحلقات ذكرنا وقد رأه رسول الله في الدنيا ؟ وهذا غير صحيح بل لم يثب أن رسول الله رأى ربه بعينه رؤية عين بل الصحيح أنه رأه بقلبه على التفصيل التالى

فينبغي أن يُعلم أولاً أنه لم يحصل اختلاف البتة بين الصحابة – رضوان الله عليهم - في رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة ، بل هم مجمعون على ذلك وأن الله يُري في الآخرة ، والأدلة على هذا كثيرة وليس هذا محل بسطها ، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، وإنما الخلاف في مسألتنا هذه في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه تبارك وتعالى ليلة المعراج هل كانت بعين رأسه أم هي رؤيا قلبية ؟

الفوائد المترتبة على بحث المسألة

1-إثبات عقيدة أهل السنة والجماعة فى أن الله لايرى فى الدنيا

2- إثبات أن الله تعالى يُرى فى الآخرة ويراه المؤمنون عياناً كما يرون القمر لايشكون فى رؤيته

3- الرد على الإباضية والمعتزلة فى زعمهم الباطل من أن الله لايرى فى الدنيا ولا فى الآخرة

4-الرد على الصوفية وإبطال مذهبهم الفاسد من أن الله يرى فى الدنيا ويتجلى للأولياء والأقطاب

5-إثبات أنه لا تعارض بين قول أُمنا الطاهرة المطهرة الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبى بكر الصديق زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبته فى الدنيا والآخرة رضى الله عنها وعن أبيها والصحابة أجمعين ,لا تعارض بين قولها وقول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فابن عباس لم ينكر الرؤية بالفؤاد ,ولم يثبت الرؤية بالعين ,وأمنا عائشة لم تنفى الرؤية بالفؤاد وأنكرت رؤية العين والذي يظهر أنه لا خلاف حقيقي بين الصحابة في مسألة رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه، وانما هو خلاف لفظي، وابن عباس -رضي الله عنه- ورد عنه رواية مطلقة وأخرى مقيدة بفؤاده، ولم يرو عنه أنه قال: رآه بعيني رأسه؛ فوجب حمل المطلق على المقيد، وعندئذ لا خلاف، والله أعلم

وقد ذهب أغلب الصحابة رضى الله عنهم إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الله عز وجل بعينه ليلة المعراج فقد ثبت عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ...) رواه البخاري
وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قَالَ نُورٌ أَنَّى أراه)رواه مسلم
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى قَالَ رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ رواه مسلم
قال ابن القيم :
وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرؤية له إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج ، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك ،وشيخنا يقول ليس ذلك بخلاف في الحقيقة ، فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال إنه رآه عز وجل ولم يقل بعيني رأسه ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضي الله عنهما ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه قوله في الحديث الآخر حجابه النور فهذا النور هو والله أعلم النور المذكور في

حديث أبي ذر رضي الله عنه رأيت نورا .(اجتماع الجيوش الإسلامية ج: 1 ص: 12)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله :

فصل وأما الرؤية فالذي ثبت فى الصحيح عن ابن عباس أنه قال رأى محمد ربه بفؤاده مرتين ، وعائشة أنكرت الرؤية . فمن الناس من جمع بينهما فقال عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد ، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هى مطلقة أو مقيدة بالفؤاد ، تارة يقول رأى محمد ربه ، وتارة يقول رآه محمد ، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه ، وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية وتارة يقول رآه بفؤاده ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول رآه بعينه ، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين ، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين وليس فى الأدلة ما يقتضى أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا فى الكتاب والسنة ما يدل على ذلك بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل كما فى صحيح مسلم عن أبى ذر قال سألت رسول الله هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه . وقد قال تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا) ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى ،وكذلك قوله (أفتمارونه على ما يرى لقد رأى من آيات ربه الكبرى).ولو كان رآه بعينه لكان ذِكْرُ ذلك أولى .

قال : وقد ثبت بالنصوص الصحيحة واتفاق سلف الأمة أنه لا يرى الله أحد فى الدنيا بعينه إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤية نبينا محمد خاصة واتفقوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة عيانا كما يرون الشمس والقمر . أهـ والله أعلم (مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 509-510

وقال أيضا شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ج2 ص335-337

(وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ :مَا غِبت عَنْ الْقَلْبِ وَلَا عَنْ عَيْنِي * * مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَنَا مِنْ بَيْنِ) فَهَذَا قَوْلٌ مَبْنِيٌّ عَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ وَهُوَ بَاطِلٌ مُتَنَاقِضٌ فَإِنَّ مَبْنَاهُ عَلَى أَنَّهُ يَرَى اللَّهَ بِعَيْنِهِ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : (وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ) . وَقَدْ اتَّفَقَ أَئِمَّةُ

الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ أَحَدًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَرَى اللَّهَ بِعَيْنِهِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَتَنَازَعُوا إلَّا فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً مَعَ أَنَّ جَمَاهِيرَ الْأَئِمَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ فِي الدُّنْيَا وَعَلَى هَذَا دَلَّتْ الْآثَارُ الصَّحِيحَةُ الثَّابِتَةُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ . وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَلَا عَنْ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَأَمْثَالِهِمَا : أَنَّهُمْ قَالُوا إنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ بَلْ الثَّابِتُ عَنْهُمْ إمَّا إطْلَاقُ الرُّؤْيَةِ وَإِمَّا تَقْيِيدُهَا بِالْفُؤَادِ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحَادِيثِ الْمِعْرَاجِ الثَّابِتَةِ أَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ وَقَوْلُهُ : (أَتَانِي الْبَارِحَةَ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ) الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ إنَّمَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فِي الْمَنَامِ هَكَذَا جَاءَ مُفَسَّرًا . وَكَذَلِكَ حَدِيثُ أُمِّ الطُّفَيْلِ وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمَا - مِمَّا فِيهِ رُؤْيَةُ رَبِّهِ - إنَّمَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ كَمَا جَاءَ مُفَسَّرًا فِي الْأَحَادِيثِ وَالْمِعْرَاجُ كَانَ بِمَكَّةَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) وَقَدْ بُسِطَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ . وَقَدْ ثَبَتَ بِنَصِّ الْقُرْآنِ أَنَّ مُوسَى قِيلَ لَهُ : (لَنْ تَرَانِي) وَأَنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ إنْزَالِ كِتَابٍ مِنْ السَّمَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً) فَمَنْ قَالَ إنَّ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ يَرَاهُ ؛ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَدَعْوَاهُ أَعْظَمُ مِنْ دَعْوَى مَنْ ادَّعَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا مِنْ السَّمَاءِ.

وَالنَّاسُ فِي رُؤْيَةِ اللهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ :

القول الأول:- فَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْآخِرَةِ بِالْأَبْصَارِ عِيَانًا وَأَنَّ أَحَدًا لَا يراه فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ ؛ لَكِنْ يُرَى فِي الْمَنَامِ وَيَحْصُلُ لِلْقُلُوبِ - مِنْ الْمُكَاشَفَاتِ وَالْمُشَاهَدَاتِ - مَا يُنَاسِبُ حَالَهَا . وَمِنْ النَّاسِ مَنْ تَقْوَى مُشَاهَدَةُ قَلْبِهِ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ بِعَيْنِهِ وَهُوَ غالط وَمُشَاهَدَاتُ الْقُلُوبِ تَحْصُلُ بِحَسَبِ إيمَانِ الْعَبْدِ وَمَعْرِفَتِهِ فِي صُورَةٍ مِثَالِيَّةٍ كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ .(يراه النائم بمثل مايتصوره فى عقله وخاطره وليس على حقيقته سبحانه)

(**وَالْقَوْلُ الثَّانِي**) قَوْلُ نفاة الْجَهْمِيَّة أَنَّهُ لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ .

(**وَالثَّالِثُ**) قَوْلُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُرَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).اه

والله عز وجل قد احتجب عن عباده بحجب النور لا يمكن اختراقها فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نفسه نفى أن يكون رأى الله فلا يمكن بعد ذلك أن

يدعي مدع أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه وما ذكر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله إن عباس لم يصرح أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه يقظة وأن قوله أي ابن عباس يعني أنه رآه بفؤاده وهو كناية عن العلم اليقيني الذي يكون في القلب حتى كأنه رآه بالعين وما قاله شيخ الإسلام رحمه الله هو الحق ولن يتمكن أحد في الدنيا أن يرى ربه يقظة أبدا ولهذا لما قال موسى عليه الصلاة و السلام (ربي ارني أنظر إليك) شوقا إلى الله عز وجل قال الله له (لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) فعلق الرب عز و جل على أمر مستحيل لأنه يستحيل على الجبل أن يصمد على رؤية الله عز وجل وهو جبل أصم حجر غليظ قاسي قال الله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) اندك الجبل أمام موسى يشاهده بعينه فصعق عليه الصلاة والسلام من هول ما رأى فلما أفاق قال (سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) فشكر الله له وقال (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين) فالمهم أنه لا يمكن لأحد أن يرى الله تبارك وتعالى يقظة في الدنيا ولن يستطيع أحد أن يَثْبُتَ لذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

وقد اتفق سلف الأمّة وأئمتها وجميع علماء المسلمين على أن غيرَ النبي صلى الله عليه وسلم لا يَرَى الله في الدنيا ، وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :" واعلموا أنّ أحداً منكم لن يَرَى ربَّه حتى يموت " .

ولذلك اتفق الصحابةُ وسلف الأُمة وأئمتها على أنّ الله يُرى في الآخرة بالأبصارِ عياناً كما يُرى الشمس والقمر ، كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن قال : إنه لا يُرى في الآخرة فهو جهميٌ ضالٌ ، ومن قال : إنّ غيرَ النبي صلى الله عليه وسلم يراهُ في الدنيا بالفؤاد فهو أيضاً مبتدعٌ ضالٌ كاذبٌ ، والحلولية والاتحادية يجمعون بين النفي والإثبات ، ومن قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم رآه بعينه في الدنيا فهو أيضاً غالطٌ ، قائلٌ قولاً لم يقله أحدٌ من الصحابة ولا الأئمة .

والمنقول في رؤية العين في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم كله كذبٌ

موضوعٌ باتفاق أهل العلمِ . وكذلك عن أحمد ، فإنه لم يقل قط : إنه رآه بعينه ، وإنما قال مرّةً : رآه ، ومرّةً قال : بفؤاده ، وأنكر على من أنكر مطلق الرؤية ، وذكرَ أنه يتبع ما نقل في ذلك من الآثار ، وروى بإسناده عن أبي ذر أنه رآه بفؤاده . اهـ (جامع المسائل المجموعة الأولى) ص 107

وقال الحافظ ابن حجر في (الفتح): "الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة، رضي الله عنهم، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب"، والله أعلم .

وعلى هذا القول سائر أهل السنة والجماعة من أهل التحقيق خلافا لأهل الأهواء والبدع وهذا هو الواجب على كل مسلم اعتقاده فى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله عز وجل .والله أعلى وأعلم .

٣٤ - والفكرة في الله بدعة لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الله فإن الفكرة في الرب تقدح الشك في القلب

يعنى التفكر في ذات الله وهو ممنوع وطريق للضلال والحلول والاتحاد ،وفوض ذلك إلى الله تعالى وتفكر في أسماء الله وصفاته وكيف تتعبد الله بها ،تفكر في عظمة الله ورحمته وقدرته ، تفكر في خلقه لتدرك عظمة ربك سبحانه وتعالى ، وفوض حقيقة الصفات إلى الله تعالى تفويض كيفية لا تفويض معنى ،فالكيف مجهول كما قال الامام مالك رحمه الله تعالى ،ولا تفسر شيئاً من صفات الله بهواك لأنها توقيفية لا مجال للعقل ،بل تقيد بالدليل واطرح التأويل

٣٥ - وأعلم أن الهوام والسباع والدواب نحو الذر والذباب والنمل كلها مأمورة ولا يعلمون شيئا إلا بإذن الله تعالى

كل الكائنات تعبد الله وتوحده وتسبح بحمده ،وعبودية الكائنات الحية حتى الجمادات لا تخرج عن علم الله وقدرته فلا يعملون شيئاً إلا بإذن الله وقدرته ،ولا يعلمون شيئاً إلا بعلم الله فلا يعذب عنه مثقال ذرة في السماء والأرض وما بينهما (وما من شيئ إلا يسبح بحمده)(لو أنزلنا هذا القرأن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله)(وإن منها لما يهبط من خشية الله)

٣٦ – والإيمان بأن الله قد علم ما كان من أول الدهر وما لم يكن وما هو كائن أحصاه وعده عدا ومن قال إنه لا يعلم إلا ما كان وما هو كائن فقد كفر بالله العظيم

فعلم الله محيط بالكون ولا يقع شيئ فيه إلا بعلم الله وقدرته ومشيئته ،وعلم الله لا يسبقه جهل فقد علم وكتب وشاء وخلق فعلمه سابق المخلوقات قبل أن يخلقها بخمسين ألف سنة ،وهذا فيه رد على القدرية الذين ينكرون علم الله ويقولون أن الله لا يعلم بالأشياء إلا بعد أن تقع ،وأن الأمر أنف ،والذى ينكر علم الله كافر ،لذلك كفر السلف القدرية الذين ينكرون علم الله ،وقد فصلنا ذلك في شرح السنة.

٣٧ - ولا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل وصداق قل أو كثر ومن لم يكن لها ولي فالسلطان ولي من لا ولي له وإذا طلق الرجل امرأته ثلاثا فقد حرمت عليه لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره

هذه من مسائل الفقه تبحث في باب النكاح والطلاق في كتب الفقه وذكرها المصنف هنا في مسائل الاعتقاد رداً على الفرق المخالفة التي لا تشترط الولى ،فالزواج شرع لمقاصد حسنة للمكلف من العفة والسكينة وانجاب الذرية وتكوين الأسرة وتكثير نسل المسلمين مع شروط النّكاح والتي إذا تحقَّقت صحَّ النّكاح منها

-1 وجود وليٍّ لِلمرأة؛ لحديث: "لا نِكاحَ إلا بولي" (رواهُ أحمدُ وأبو داود والتّرمذي)، وقال صلى الله عليه وسلم: "أيّما امرأةٍ نُكِحَتْ بِغَيْر إذْنِ ولِيّها فنِكاحُها باطلٌ فنِكاحُها باطل فنِكاحُها باطل.." (رواه أبو داود والترمذي)

-2 .الإشهاد على الزَّواج؛ لحديث: "لا نِكاح إلا بولي وشاهدَيْ عدل" (صحيح ابْنِ حبَّان)

-3 .تَعيين الزَّوجيْنِ ورِضا كلٍّ مِنْهما

. 4- الإيجاب والقبول. 5- المهر، ولو كان يسيرًا. 6- خلو الزَّوْجَين من موانع النكاح. فإذا تَحقَّقتْ هذِه الشّروط فالعَقْدُ صحيح. ولا يصح النكاح من غير

ولى ولا يصح أن تزوج المرأة نفسها من غير علم أسرتها ،فإن كان أبوها كافراً وهى مسلمة فلا ولاية لكافر علي المسلمة

جاء في المغني لابن قدامة: أما الكافر فلا ولاية له على مسلمة بحال، بإجماع أهل العلم منهم: مالك والشافعي، وأبو عبيد وأصحاب الرأي.

وقال ابن المنذر: أجمع على هذا كل من نحفظ عنه من أهل العلم. اهـ.

فإن لم يكن من أوليائها مسلم، زوجها القاضي المسلم، أو من يقوم مقامه، فإن لم يوجد، فإنها توكل رجلا من المسلمين ليتولى نكاحها.

قال ابن قدامة أيضا في المغني: فإن لم يوجد للمرأة المسلمة ولي ولا سلطان مسلمان، فعن أحمد ما يدل على أنه يزوجها عدل بإذنها. اهـ.
والزواج الشرعى إما عرفى بين أهل الزوجين وما تعارف عليه الناس كما كان في العصور الأولى بالولي والمهر والشهود والاشهار أو رسمي يعنى يوثق هذا العرفى في الأوراق الرسمية حتى لا تضيع الحقوق ، أما الزواج السرى الذى يسمونه خطأً بالعرفى فهو سفاح وليس بنكاح ، يتقابل رجل وامرأة ويتفقان فيما بينهما على المعاشرة فيأتون بأثنين من أصدقائهما شهود أو محامى بورقة يكتبون فيها من غير موافقة الولى ولا علم الأسرة ،فهذا زنى صريح ليس له صلة بالشرع ودين الله تعالى

٣٨ - ولا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله الا الله ويشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا بإحدى ثلاث زنا بعد إحصان أو مرتد بعد إيمان أو قتل نفس مؤمنة بغير حق فيقتل به وما سوى ذلك فدم المسلم على المسلم حرام أبدا حتى تقوم الساعة
فيه حرمة المسلم دمه وماله وعرضه ،فكل المسلم على المسلم حرام ،**وفيه** ثبوت عقد الإسلام والدخول **فيه** بالتلفظ بالشهادتين ،**وفيه** أن المسلم الزانى المحصن إذا ثبتت عليه جريمة الزنا يرجم ،والمرتد عن الإسلام المفارق لأهله يقتل ردةً ،**وفيه** أن المبيح لدم المسلم القصاص إن لم يعفو

ولى الدم ،هذه الثلاث يحل بها دم المسلم المعصوم وغيرها فدمه حرام إلى يوم القيامة

٣٩ – وكل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى إلا الجنة والنار والعرش والكرسي والصور والقلم واللوح ليس يفنى شيء من هذا أبدا ثم يبعث الله الخلق على ما أماتهم عليه يوم القيامة ويحاسبهم بما شاء فريق في الجنة وفريق في السعير ويقول لسائر الخلق ممن لم يخلق للبقاء كونوا ترابا

(وكل شيء مما أوجب الله عليه الفناء فإنه يفنى)؛ لقول الله سبحانه وتعالى(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ)
ولقوله سبحانه(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)
ولقوله سبحانه(وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِينْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ)
وقوله سبحانه(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)
ولقوله سبحانه(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) فكل شيء يفنى ممن أوجب الله عليه الفناء إلا الأشياء التي كتب الله لها البقاء، وهذا الكلام عن عدم فناء بعض المخلوقات سئل عنه شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى الجزء الثامن عشر فأجاب (قد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك .
ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أ هل
الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم
وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف
الأمة وأئمتها . كما في ذلك من الدلالة على بقاء الجنة وأهلها وبقاء غير ذلك مما لا تتسع هذه الورقة لذكره . وقد استدل طوائف من أهل
الكلام والمتفلسفة على امتناع فناء جميع المخلوقات بأدلة عقلية .
والله أعلم. (307/18).)

والعرش لا يفنى لأن الله عز وجل مُستوٍ عليه إستواء يليق بجلاله، قال تعالى :{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }

والكرسي تَبَعٌ للعرش فقد روى الحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : " الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى"

قال الذّهبي في التلخيص حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم و قال الإمام ابن القيم في قصيدته الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية"

والعرش والكرسي لا يفنيهما *** أيضا وإنّهما لمخلوقان

وأما الجنّة والنّار فتقدم أنهما باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان على ما قرره أهل السنة

وأما العَجْب فهو عَجْبُ الذَّنَب أو عَجْب الظَّهْر وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يُرَكَّب الخلق يوم القيامة " متفق عليه

وفي حديث آخر قال:"إن في الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبداً،

قالوا أي عظم هو؟ قال: عجب الذنب" رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه, قال الإمام ابن القيم في نونيته:

وكذاك عجب الظهر لا يبلى بل ***** منه تركب خلقة الانسان

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)

وفي الحديث الشريف :{كل ابن آدم يفنى إلا عجب الذنب}

ولا تعارض بينهما لأن الحديث خاص والآية عامة، فيكون عجب الذنب

مستثنى من الفناء والعدم كما يستثنى عرش الرحمن والجنة والنار باتفاق السلف وأهل السنة.

وأما الرّوح فقد روى الإمام مالك في الموطأ والنَّسائي وابن ماجة في السنن والإمام أحمد في مسنده كلهم من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال(

قال رسول الله" إنما نسمة المؤمن طير تعلق بشجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه الله" ونسمة المؤمن روحه , قال الإمام ابن القيم في نوننيته:

وكذلك الأرواح لا تبلى كما *** تبلى الجسوم ولا بلى اللحمان

فالشأن للأرواح بعد فراقها *** أبدانها والله أعظم شأن

إما عذاب أو نعيم دائم*** قد نعمت بالرَّوْحِ والرّيحان

و أما اللّوح والقلم فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين الطويل وفيه أن النبي قال: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء،وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض"

قال الحافظ ابن حجر أن المراد بالذكر هنا: هو اللوح المحفوظ, فكل شيء يفنى ممن أوجب الله علية الفناء إلا الأشياء التي كتب الله لها البقاء

٤٠ - والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم بني آدم والسباع والهوام حتى للذرة من الذرة حتى يأخذ الله عز و جل لبعضهم من بعض لأهل الجنة من أهل النار ولأهل النار من أهل الجنة ولأهل الجنة بعضهم من بعض ولأهل النار بعضهم من بعض

يقول الله عز وجل : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)
وفى مسند الامام أحمد بسند صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (يَقْتَصُّ الْخَلْقُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، حَتَّى الْجَمَّاءُ مِنْ الْقَرْنَاءِ ، وَحَتَّى الذَّرَّةُ مِنْ الذَّرَّةِ) وليس هو من قصاص التكليف ولكنه قصاص مقابلة واستحقاق وهذا من كمال عدل الله تعالى ، يقول ابن حجر الهيتمي في "الزواجر فهذا من الدليل على القصاص بين البهائم ، وبينها وبين بني آدم ، حتى الإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوَّعها ، أو عطَّشها ، أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بنظير ما ظلمها أو جوَّعها ، ويدل لذلك حديث الهرة ، وفي الصحيح : (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ رَأَى الْمَرْأَةَ مُعَلَّقَةً فِي النَّارِ وَالْهِرَّةُ تَخْدِشُهَا فِي وَجْهِهَا وَصَدْرِهَا وَتُعَذِّبُهَا كَمَا عَذَّبَتْهَا فِي الدُّنْيَا بِالْحَبْسِ وَالْجُوعِ) وفى صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ) وفى صحيح البخارى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ) والموفق الناجى هو الذى يسلم من حقوق العباد والدواب ويخرج من الدنيا لا يطالبه مخلوق بشيء وخاصة الحيوان فكيف ترضيه وكيف تتحلل منه !!

٤١ - وإخلاص العمل لله والرضا بقضاء الله والصبر على حكم الله والإيمان بأقدار الله كلها خيرها وشرها حلوها ومرها

هذا فيه فضل الإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وفضل الرضا بقضاء الله لأنه ركن من أركان الإيمان، والإيمان بالقدر بمراتبه الأربعة العلم والكتابة والمشيئة والخلق ،وفضل الصبر على الطاعات والقيام بحكم الله خير قيام ،وفيه التسليم لأقدار الله كلها خيرها وشرها فهى على العلم والحكمة ،وفيه رد على القدرية النفاة ،ومن يعترض على أقدار الله أو يسخط ولم يرضى

٤٢ - والإيمان بما قال الله قد علم الله ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون لا يخرجون من علم الله ولا يكون في الأرضين والسماوات إلا ما علم الله تعالى وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا خالق مع الله عز و جل

(إنا كل شيء خلقناه بقدر) وقال (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقال سبحانه (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير)وقال الله (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)وقال عز وجل (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) والصبر جزاؤه الجنة كما قال سبحانه : (وجزاهم بما صبروا جنة

وحريراً)كل ذلك يرجع إلى الإيمان بالقضاء والقدر بمراتبه المذكورة وهى تبنى على علم الله وحكمته وما يصلح للعبد في دينه ودنياه وهو من مطلق رحمة الله سبحانه

٤٣ - والتكبير على الجنائز أربع وهو قول مالك بن أنس وسفيان الثوري والحسن بن صالح وأحمد بن حنبل والفقهاء وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم

ذكرها المؤلف هنا لتنبيه الناس عليها ،وهذا فيه نصيحة لطلاب العلم أن يعملوا بالمتفق عليه ويتركوا ما اختلف فيه الفقهاء تأليفاً للناس وجمعاً لقلوبهم ،والمسألة فيها أقوال وزيادة على الأربع ،ولكن يعمل بها الفقيه لنفسه ولا يشوش على الناس بما ليس عليه العمل عندهم ،فيأتى بالغرائب ليشوش على الناس وهذا ليس من الفقه ،والسنة الراجحة الصحيحة رفع اليدين في التكبيرات كلها لما ثبت عن بن عمر وبن عباس رضى الله عنهم عند الدارقطنى مرفوعاً أنهما كانا يرفعان في كل تكبيرة وهو قول الشافعى وأحمد ،وهذا هو الصحيح لأنها عبادة توقيفية لا يصح فيها الاجتهاد

٤٤ - والإيمان بأن مع كل قطرة ملك ينزل من السماء حتى يضعها حيث أمره الله عز و جل

وهذا فيه الايمان بالملائكة ،وفيه أن الملائكة لهم وظائف كلفهم الله بها ، منها نزول القطر من السماء ،وأن ميكائيل هو الملك الموكل بالمطر والقطر من السماء

٤٥ – والإيمان بأن رسول الله صلى الله عليه و سلم حين كلم أهل القليب يوم بدر أي المشركين كانوا يسمعون كلامه

فيه جواز دفن الكافر المحارب ان لم يوجد من يواره التراب حتى لا يتأذى الناس منه ،ودليل ذلك ما ثبت عند النسائي من حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ:"قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ مَاتَ فَمَنْ يُوَارِيهِ؟ قَالَ: (اذْهَبْ فَوَارِ أَبَاكَ،) وهكذا فعل النبى صلى الله عليه وسلم مع قتلى المشركين يوم بدر

وفيه مسألة سماع الموتى وكون الميت يسمع أو يدرك ويعلم زيارة من زاره ونحو ذلك، لا يلزم منه جواز دعائه والطلب منه، كما يقوله ضلال الصوفية،ومسألة سماع الموتى للأحياء من غير استجابة من الأموات

مسألة خلافية بين أهل العلم ورجح شيخ الإسلام رحمه الله والمحققون من أهل العلم قديمًا وحديثًا أن الموتى لا يسمعون مطلقًا إلا ما ورد النص به، فهم يسمعون السلام، ويحسّون بالزائر لهم الزيارة الشرعية، وأيضًا يسمع الميت قرع نعال الناس حينما ينصرفون من دفنه لكن لا يسمع غير ذلك.

وأيضًا فإن الميت قد يستأنس أول دفنه بمن حوله من الناس بناء على قصة عمرو بن العاص التي لم يُنكرها الصحابة، وهذه أمور توقيفية، وهذا هو الراجح أن الأمور التوقيفية يُثبت سماع الأموات فيها كما وردت بالنصوص، وما عداها لا يُثبت لأنه يحتاج إلى دليل، فالنصوص التي نفت تنفي أن يكون للموتى سمع تبقى دلالتها كقوله: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠] تبقى دلالتها على أن الموتى لا يسمعون إلا ما ورد استثناءه في النصوص عن النبي ﷺ وصح.

إذًا فالحاصل أن سماع الموتى محصور فيما ورد به النص، وما عداه يحتاج إلى دليل، وهذا أمر غيبي لا دليل عندنا فيه، ولا يقاس ما لم يرد بما ورد؛ لأن هذه أمور غيبية بحتة لا يصح فيها القياس

٤٦ - والإيمان بأن الرجل إذا مرض آجره الله على مرضه والشهيد يأجره الله على شهادته

وهذا من رحمة الله تعالى يبتليك ليرفعك وينفعك لا ليعذبك ،فالابتلاء إما رفع درجة وإما تكفير خطيئة ،فالمريض بين حالتين ونعمتين ،ولا يكون ذلك ‘لا للمؤمن كما ثبت في الصحيحين عن صهيب رضى الله عنه (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له.) والشهيد هو الذى قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وقتل في المعركة مقبل غير مدبر صابراً محتسباً يأجره الله على قتاله وجهاده الجنة ،وقد فصلنا ذلك في شرح كتاب الجهاد لابن المبارك ،وكذلك في خماسية الجهاد ،وسيأتي ذكر ذلك في شرح كتاب الجهاد لابن كثير وكتاب بن بطة في هذه الدورة بأذن الله تعالى

٤٧ - والإيمان بأن الأطفال إذا أصابهم شيء في دار الدنيا يألمون وذلك أن بكر بن أخت عبد الواحد قال لا يألمون وكذب

وهذا من باب الرد على أهل البدع ،وهذا الضال بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد زعيم فرقة البكرية كما ذكرها البغدادي في الفرق بين الفرق ومن ضلالاته ما عاند فيه العقلاء فزعم أن الأطفال فى المهد لا يألمون وإن قطعوا أو حرقوا، وأجاز أن يكونوا فى وقت الضرب والقطع والإحراق متلذذين مع ظهور البكاء والصياح منهم، والذي كان يذهب إليه هذا الخارجي الضال – وكل الخوارج وأهل البدع ضلال - في الكبائر التي تكون من أهل القبلة أنها نفاق كلها وأن مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة عابد للشيطان مكذب لله - سبحانه! - جاحد له منافق في الدرك الأسفل من النار مخلد فيها أبداً إن مات مصراً وأنه ليس في قلبه لله عز وجل إجلال ولا تعظيم وهو مع ذلك مؤمن مسلم وأن في الذنوب ما هو صغير وأن الإصرار على الصغائر كبائر، وقال بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد أن علياً وطلحة والزبير مشركون منافقون وهم في الجنة لقول النبي صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. والخوارج وأهل الغلو عندهم من العجائب أكثر من هذا لجهلهم وقلة عقولهم واستقلالهم بالفهم ومجادلتهم أهل العلم بالهوى نسأل الله السلامة والعافية

٤٨ - واعلم أنه لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله ولا يعذب الله أحدا إلا بقدر ذنوبه ولو عذب أهل السموات والأرض برهم وفاجرهم عذبهم غير ظالم لهم
لا يجوز أن يقال لله عز و جل إنه ظالم وإنما يظلم من يأخذ ما ليس له والله له الخلق والأمر والخلق خلقه والدار داره لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولا يقال لم وكيف ولا يدخل أحد بين الله وبين خلقه
وهذا من فضل الله ورحمته فهو سبحانه ذو الفضل والإحسان ولو عبدناه ليلاً ونهاراً قياماً وقعوداً دون راحة ولا نوم ما وفيناه حقه وما ساوى نعمة واحدة من نعمه سبحانه علينا حتى أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيحين والمسند عن أبى هريرة رضى الله عنه (لا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنكم الجنةَ بِعَمَلِه، قالوا: ولا أَنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: ولا أنا، إلّا أنْ يَتغمَّدَني اللهُ منه بِرَحْمةٍ وفَضْلٍ)

وفيه أن الملك يتصرف في ملكه ،فلا يقال لله لما وكيف بل الملك ملكه والخلق خلقه والأمر أمره ونحن عبيده فيتصرف كيف يشاء ولن يقضى الله علينا إلا خيرا لأن هذا مقتضى رحمته ولو عاملنا بعدله لهلكنا سبحانه ما أرحمه، وهو أرحم بنا من أنفسنا فلا ندخل بين الله وبين خلقه فهو أعلم بنا

٤٩ – وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها أو ينكر شيئا من أخبار رسول الله صلى الله عليه و سلم فاتهمه على الإسلام فإنه رجل رديء المذهب والقول ولا يطعن على رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا على أصحابه لأنا إنما عرفنا الله وعرفنا رسوله وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار فإن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن

وهذا هو دين الروافض تكفير ولعن الصحابة ، وديدن المنافقين والعلمانيين والملحدين أعداء الدين والسنن والأثار ،فإنهم يطعنون في دين الله تعالى ويحرفون القرأن وينكرون السنة ويطعنون في الصحابة وحملة العلم فهؤلاء زنادقة يطعنون في الصحابة وأهل العلم ليسقطوهم ،وليس هذا في ذواتهم وأشخاصهم بل لما هم عليه من دين وعلم وما يحملونه من قرأن وسنة فالطعن فيهم طعن فيما يحملون وهذه هي طريقة العلمانيين ، والقرأن تفصله السنة ولا غنى للمسلم عن القرأن والسنة لأنهما وحى من الله ،والسنة شارحة ومفسرة لمواضع كثيرة أجملها الله في القرأن فالسنة مبينة للقرأن

٥٠ - والكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهي عنه عند جميع الفرق لأن القدر سر الله ونهى الرب جل اسمه الأنبياء عن الكلام في القدر ونهى النبي صلى الله عليه و سلم عن الخصومة في القدر وكرهه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم والتابعون وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدال في القدر فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان واعتقاد ما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في جملة الأشياء واسكت عما سوى ذلك

الجدال والخصومة لما وكيف منهى عنها لأنها تنافى التسليم كما قال الطحاوى رحمه الله في عقيدته (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه ، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة

الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسةً ، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى في كتابه : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) الأنبياء/23 . فمن سأل لِمَ فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين ،والقدر أصل علم الكلام والجدال والمراء والخصومة أول من أبتدع علم الكلام في الدين هم القدرية نتجت عنها الجهمية والمعتزلة وكذلك الكرامية، وكذلك الأشاعرة والماتريدية والكلابية، كل هذه امتداد للنزعة الكلامية التي بدأت شرارتها في القدر؛ ولذلك كل فرق أهل الكلام عندها خلل في عقيدة القدر، فتشترك في هذا القاسم المشترك، يقل أو يكثر.

٥١ - والإيمان بأن رسول الله صلى الله عليه و سلم أسري به إلى السماء وصار إلى العرش وسمع كلام الله ودخل الجنة واطلع في النار ورأى الملائكة وسمع كلام الله عز و جل وبشرت به الأنبياء ورأى سرادقات العرش والكرسي وجميع ما في السموات في اليقظة حمله جبريل على البراق حتى أداره في السموات وفرضت عليه الصلوات الخمس تلك الليلة ورجع إلى مكة ليلته وذلك قبل الهجرة

وهذه معجزة وكرامة من الله لنبيه وتسلية له عما يلاقيه من قومه ،فأكرمه الله بهذه الرحلة وسمى سورة من القرأن باسمها فقال الله تعالى في سورة الاسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)هذا فيه إثبات الاسراء والمعراج وأنه حق يقظة وليس مناما كما يدعيه البعض ،بل كان الاسراء والمعراج يقظة بالروح والجسد ،وقد رد العلماء على من قال إنه بالروح دون الجسد وبين الامام بن كثير رحمه الله في تفسيره غلط من قال بذلك فقال رحمه الله (وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس ، وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرط وأبي حبة وأبي ليلى الأنصاريين ، وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة ، وأبي أيوب وأبي أمامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء ، وصهيب الرومي وأم هانىء ، وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين ،

منهم من ساقه بطوله ، ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة ، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون ، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) وأنكر الشيخ حافظ الحكمى على من قال أنه كان بالروح فقال رحمه الله في المعارج (ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة ، ولا كان لتكذيب قريش بها وقولهم : كنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس ، شهرا ذهابا وشهرا إيابا ، ومحمد يزعم أنه أسرى به الليلة وأصبح فينا إلى آخر تكذيبهم واستهزاءهم به صلى الله عليه وسلم لو كان ذلك رؤيا مناما لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنى ؛ لأن الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعاد لرؤياه ، وإنما قص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرى حقيقة يقظة لا مناما فكذبوه واستهزؤوا به استبعاد لذلك واستعظاما له مع نوع مكابرة لقلة علمهم بقدرة الله عز وجل وأن الله يفعل ما يريد ولهذا لما قالوا للصديق وأخبروه الخبر قال : إن كان قال ذلك لقد صدق . قالوا وتصدقه بذلك ؟ قال : نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء يأتيه بكرة وعشيا أو كما قال)

٥٢ - واعلم أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل تحت العرش وأرواح الفجار والكفار في بئر برهوت وهي في سجين

ثبت في الحديث الصحيح وأصله في مسلم (إنَّ أرواحَ شُّهداءِ المسلمينَ في حواصِلِ طيرٍ خضرٍ تغدوا إلى رياضِ الجنَّةِ ثمَّ يكونُ مأواها إلى قناديلَ معلَّقةٍ بالعرشِ فيقولُ لهم الرَّبُّ تبارك وتعالى أتعلمونَ كرامةً أفضل من كرامةٍ أُكرِمتُموها فيقولونَ لا إله إلّا أنت إنّا ودِدنا أنَّكَ أعدتَ أرواحَنا في أجسادِنا حتّى نقاتِلَ مرَّةً أخرى فنُقتَلَ في سبيلِكَ)وأما قوله أن أرواح الكفار في بئر برهوت في حضرموت باليمن فقد ذكر بن القيم في كتابه الروح(وأرواح الكفّار ببَرَهوت بئر بحضرموت .) هذا القول وغيره من الأقوال لم تثبت في خبر يقين ولكنها أقوال تثبت نعيم أهل الجنة وشدة عذاب الكفار والفجار

٥٣ – والإيمان بأن الميت يقعد في قبره وترسل فيه الروح حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه ثم تسل روحه بلا ألم ويعرف الميت الزائر إذا زاره ويتنعم المؤمن في القبر ويعذب الفاجر كيف شاء الله

هذا فيه دلالة على حقيقة الموت وكيفية خروج الروح وعذاب القبر ونعيمه وفتنته في سؤال منكر ونكير له عن أسئلة القبر الثلاثة ،ومعرفة الميت من يزوره ويسلم عليه وهذا ثابت في الحديث الصحيح الذى رواه الإمام أحمد في المسند وأبو داود في سننه عن البراء رضي الله عنه قال:(خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: (استعيذوا بالله من عذاب القبر، ثلاث مرات، - أو مرتين - ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا و إقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس حتى يجلسون منه مد البصر معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، يجيء ملك الموت فيقعد عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فإذا أخذوها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: هذا فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فيفتح لهم فيستقبله من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، قال: فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين في السماء السابعة وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيقولان: ما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت به، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، فيأتيه من

طيبها وروحها ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: ومن أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح حتى يجلسون منه مد البصر ثم قال: ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: يا أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وغضبه قال: فتفرق في جسده، قال: فتخرج فينقطع معها العروق والعصب كما تنزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في تلك المُسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على ظهر الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى سماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط} (الأعراف/ 40)، قال: فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه طرحا وقال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق} (الحج/ 31)، قال: فيعاد روحه في جسده ويأتيه الملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: وما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، قال: فينادي مناد من السماء أفرشوا له من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار. قال: فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة).

٥٤ – والإيمان بأن الله هو الذي كلم موسى بن عمران يوم الطور وموسى يسمع من الله الكلام بصوت وقع في مسامعه منه لا من غيره فمن قال غير هذا فقد كفر بالله العظيم
هذا فيه اثبات صفة الكلام لله تعالى وأنه كلم موسي عليه السلام بكلام يسمعه موسى بحرف وصوت ،فمن أنكر وجحد أن الله يتكلم فهو كافر ،ومن تأول ذلك فهو ضال مبتدع منحرف عن طريق الحق والاستقامة ،والشيخ رحمه الله تعالى يرد على الطوائف المبتدعة من أهل التأويل والزيغ مثل المعتزلة والجهمية

٥٥ - والعقل مولود أعطي كل انسان من العقل ما أراد الله يتفاوتون في العقول مثل الذرة في السماوات ويطلب من كل إنسان من العمل على قدر ما أعطاه من العقل وليس العقل باكتساب إنما هو فضل من الله
والعقل هو مناط التكليف وهو الذى يعقل الانسان عن الشر وما يضره لذلك سمى عقلاً لأنه يحجز الانسان ،وسمى حجرا(هل في ذلك قسم لذى حجر) يعنى لذى عقل وأولى الحجا ،أصحاب العقول ،(إن في ذلك لأيات لألى النهى) يعنى أصحاب العقول وكذلك يسمى العقل اللب (أولى الألباب)
والمؤلف هنا بقوله العقل مولود يرد على الفلاسفة وغلاة المتكلمين الذين يرون أن العقل قوة قديمة أزلية، وأنه فيض عن الله، وأنها راجعة إلى صفات الله ، أو أن العقل المطلق كائن مستقل له وجود غير وجود سائر المخلوقات، وغير ذلك من المذاهب الضالة المنحرفة ، والعقل موهبة من الله تعالى والناس يتفاوتون في العقل والادراك ،والعقل محكوم بالشرع لا يخرج عنه ولا يستقل بالعبادات ولا يقيسها ،بل هو تابع ومنقاد للدليل ولا يقدم العقل على النقل كما قالت المعتزلة وضلت بسبب تمجيدها العقل وتقديمه على الشرع والنص

٥٦ - واعلم أن الله فضل العباد بعضهم على بعض في الدين والدنيا عدلا منه لا يقال جار ولا حابى فمن قال إن فضل الله على المؤمن والكافر سواء فهو صاحب بدعة بل فضل الله المؤمن على الكافر والطائع على العاصي

والمعصوم على المخذول عدلا منه هو فضله يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء

وهذا من عدل الله ،وفرق بين العدل والمساواة ، فالعدل أن تعطى كل انسان على قدر عمله واجتهاده وإيمانه وكفره ،وطاعته ومعصيته ،العدل أن تعطى كل انسان ما يستحقه ، أما المساواة فتعطى بالتساوى بين الجميع ،الرجل مثل المرأة ، والكافر مثل المسلم ، والطائع مثل العاصى ، وهذا ظلم ، والله قد حرم الظلم على نفسه سبحانه فلا يظلم ربك أحدا ،(وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا)وقال (ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ) وقال سبحانه (فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)وقال تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ)فلا سواء ،ولا تزر وازرة وزر أخرى ، فمن يعمل خيرا يجزى به ، (أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ) ففرق بين العدل والمساواه كما سبق يزعم بن عربى ومن هم على شاكلته أن مصير البشر في الآخرة سواء، وأن فضل الله على الجميع سواء، ولذلك فسر ابن عربي عذاب النار بأنه عذاب شكلي وأن الكافرين يتلذذون بالعذاب كما يتلذذ أهل الجنة بالجنة، فالشيخ كأنه يريد الرد على أصحاب هذه المقولة ، والرد على المقالات المخالفة للسنة جهاد علمى باللسان والبيان وهو باب مهم وثغر من ثغور الأمة لا يرابط فيه إلا العلماء أهل التحقيق.

٥٧ – ولا يحل أن تكتم النصيحة أحدا من المسلمين برهم وفاجرهم في أمر الدين فمن كتم فقد غش المسلمين ومن غش المسلمين فقد غش الدين ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين

النصيحة هي الخلوص من الغش والنفاق والخديعة ، والنصيحة هي الدين ،الدين النصيحة ، والأصل أن المؤمنين نصحة والمنافقون غششة ففي الصحيحين عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ :(" بَايَعْتُ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنُّصْح لِكُلِّ مُسْلِمٍ). "

وروى مسلم عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) ، قُلْنَا لِمَنْ ؟ ، قال : (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) " . ويجب على المسلم أن يحرص على الخير للخلق ويحب لأخيه المسلم كما يحب لنفسه من الخير ، والأصل في النصيحة حب الخير للمنصوح لا لتعيره وتنتقصه فهذا ليس بخلق للمسلم وهو غاش لأخيه وثبت في الصحيحين عن أبى هريرة (ومَن غَشَّنا فليسَ مِنّا.)وهذا فيه حصر وقصر ،الدين النصيحة كأن الدين كله هو النصيحة وكلمة الدين شاملة كاملة تأتى بمعان أربعة في القرأن فهى تدل على-

1- القهر والسلطة والحكم والأمر، والإكراه على الطاعة ومنه(فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين)((قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين. وأمرت لأن أكون أول المسلمين) ..
2- الطاعة والعبودية والذلة والخضوع تحت غلبته وقهره(قل الله أعبد مخلصاً له ديني. فاعبدوا ما شئتم من دونه)
3- الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة والعادة والتقليد(ماكان ليأخذ أخاه في دين الملك)(لكم دينكم ولى دين)
4- الجزاء والمكافأة والقضاء والحساب.(مالك يوم الدين)(أرأيت الذى يكذب بيوم الدين)((إنَّ ما توعدون لصادق وإن الدين لواقع)

وجاءت النصيحة بهذه المعانى كلها فكأنها جمعت الدين كله وهذا من بلاغته صلى الله عليه وسلم فقد أوتى جوامع الكلم

٥٨ - والله سميع بصير عليم يداه مبسوطتان قد علم أن الخلق يعصونه قبل أن يخلقهم علمه نافذ فيهم فلم يمنعه علمه فيهم أن هداهم للإسلام ومن به عليهم كرما وجودا وتفضلا فله الحمد

هذا فيه اثبات صفات الله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه مع الاثبات والتنزيه ففيه إثبات صفة السمع والبصر والعلم واليد لله تعالى ، وأن يداه مبسوطتان بالخير والرحمة والكرم ،ومن رحمته وكرمه وعفوه أنه لم يعاقبهم على ذنوبهم التي علم أنهم يعصونه قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة

،ومع ذلك هداهم للإسلام ومن به عليهم ،فالإسلام أكبر نعمة أنعم الله بها على عباده

٥٩ - واعلم أن البشارة عند الموت ثلاث بشارات يقال أبشر يا حبيب الله برضى الله والجنة ويقال أبشر يا عبد الله بالجنة بعد الانتقام ويقال أبشر يا عدو الله بغضب الله والنار هذا قول ابن عباس

هذا فيه إشارة إلى ما سبق من أن المرء عند الموت يبشر بالعذاب أو يبشر بالنعيم عندما يرى الملائكة عند خروج روحه ،فالمؤمن يبشر بالجنة من غير عذاب ولا عقاب ،والمسلم العاصي المفرط يبشر بالجنة بعد ما نقى وطهر في النار جزاء ذنوبه في الدنيا والكافر المشرك يبشر بالعذاب جزاء كفره واعراضه عن الحق

٦٠ – واعلم أن أول من ينظر إلى الله تعالى في الجنة الأضراء ثم الرجال ثم النساء بأعين رؤوسهم كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته والإيمان بهذا واجب وإنكاره كفر

فيه اثبات الرؤية وقد سبق الكلام عليها أن المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة وهذه من أصول أهل السنة والجماعة ،أما الترتيب الذى ذكره المؤلف من أن الأضراء أول من يرون ربهم فهذا الترتيب يحتاج إلى دليل

٦١ - واعلم أنها لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام وأهل الكلام والجدل والمراء والخصومة والعجب

وكيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال والله يقول ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فعليك بالتسليم والرضى بالآثار والكف والسكوت

هذا فيه التنبيه على ذم الكلام وأهله ،وأنه سبب للشكوك والكفر والزندقة والبدع والضلالات ، فعلم الكلام جر على الأمة ويلات وفتن تعانى منها حتى الأن ،وما التجهم والاعتزال والرفض والجبر والإلحاد والتأويل والغلو والإرجاء إلا ثمرة خبيثة من ثمرات علم الكلام وتقديم العقل على الشرع ،وتمجيده والاغترار والعجب به ،مما جعلهم يجترؤون على الخصومة والجدال في الله

وأسمائه وصفاته ،وأول من تكلم بعلم الكلام واصل بن عطاء في مجالس الحسن البصرى في نهاية القرن الأول ثم تبعه المتكلمون على الطريقة العقلية والجدل والمراء في دين الله مثل عمرو بن عبيد ،ثم القدرية معبد الجهني وغيلان الدمشقي ،ثم الجهم بن صفوان وكل هؤلاء متكلمون من غير تأصيل لعلم الكلام ،ثم انتشر علم الكلام في أواسط الخلافة العباسية بعد دخول الأعاجم في الإسلام ووصلوا إلى دار الخلافة وتمكنوا منها ،فترجموا كتب فلاسفة اليونان ،ثم في نهاية القرن الثالث بدأ التأليف في علم الكلام تأصيلاً وتفصيلاً في مناظرات جدلية بين المعتزلة والأشاعرة الذين سموا أنفسهم بأهل السنة في مقابلة أهل البدعة من المعتزلة والجهمية ،وحمى وطيس المعركة بين المعتزلة وبين الأشاعرة من جهة ، وبين الأشاعرة وأهل السنة مدرسة شيخ الإسلام وتلميذه من جهة أخرى ،وما زالت الحرب إلى يومنا هذا ،والحمد لله الغلبة لأهل السنة على المبتدعة من الأشاعرة والمرجئة والخوارج بعد أن تحول معظم الأشاعرة في زماننا إلى صوفية قبورية شركية فتعدوا بدعة تأويل الصفات وتعطيلها إلى بدعة القبورية الشركية بصرفهم العبادات للأموات وأصحاب القبور والاستغاثة بهم والطلب منهم فلم تستفد الأمة من علم الكلام إلا الخرافات والبدع والتخلف عن الجهاد ونصرة المسلمين ،بعكوفها على قبور الأولياء والصالحين والطلب من الأموات وتعلق قلوبهم بهم بدلاً من تعلقها بخالقهم ورازقهم ومدبر أمرهم سبحانه ،نسأل الله الهداية للجميع .

٦٢ - والإيمان بأن الله يعذب الخلق في النار في الأغلال والأنكال والسلاسل والنار في أجوافهم وفوقهم وتحتهم وذلك أن الجهمية منهم هشام الفوطي قال إنما يعذب الله عند النار رداً على الله ورسوله

هذا فيه اثبات الثواب والعقاب من الله تعالى ،وفيه أن الله يعذب بالنار من عصاه ،والنار فيها سلاسل وأغلالاً وأنكالاً كما قال الله تعالى في كتابه (إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ)وقال سبحانه (إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا)وقال (إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ 71 فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ) وقال عزوجل(خُذُوهُ فَغُلُّوهُ 30 ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ 31 ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ

ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ 32 إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ)وغيرها من الأيات التي ترد على الجهمية ومنهم هشام بن عامر الفوطى المعتزلى المتوفى سنة 226وكان ضالاً مبتدعاً يقول بالكفريات ونفى الأسباب يقول هشام الفوطي: إنما يعذب الله عند النار، رد على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، يعني: أن الله يعذب عند النار لا بالنار، وهذا يشبه مذهب الأشاعرة الذين ينكرون الأسباب، ويقولون: السكين لا تقطع وإنما أوجد الله القطع عند إجراء السكين لا بالسكين، وهذا نفي للأسباب

٦٣ - واعلم أن صلاة الفريضة خمس صلوات لا يزاد فيهن ولا ينقص في مواقيتها وفي السفر ركعتان إلا المغرب فمن قال أكثر من خمس فقد ابتدع ومن قال أقل من خمس فقد ابتدع لا يقبل الله شيئا منها إلا لوقتها إلا أن يكون نسيانا فإنه معذور يأتي بها إذا ذكرها أو يكون مسافرا فيجمع بين الصلاتين إن شاء

هذا فيه رد على بعض الضالين المتنبئين الذين يخرجون على الأمة من وقت لأخر يدعون النبوة ويشرعون للناس دينا من عندهم فيقصرون الصلوات الخمس على صلاتين أو ثلاثة ، أو يبطلونها ويقولون هي صلاة العوام أما صلاة الخواص فطهارة القلب ،وغير ذلك من الخرافات ،والظاهر أنه قد ظهر في زمن المؤلف أمثال هؤلاء فأراد المصنف رحمه الله أن يبطل بدعتهم ،وقد مر معنا الكلام على الصلاة والقصر في السفر ،ودين الله لا يتغير ولا يتبدل إلى يوم القيامة

٦٤ - والزكاة من الذهب والفضة والتمر والحبوب والدواب على ما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فإن قسمها فجائز وإن دفعها إلى الإمام فجائز والله أعلم

وكذلك ما يتعلق بالزكاة فهي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي في الأصناف المذكورة وفيما يقاس عليه عند بعض أهل العلم، وقد ذكر ابن عبد البر الإجماع على أن الزكاة تكون في الشعير والبر والزبيب والإبل والغنم والبقر والذهب والفضة والتمر.

لكن قد تظهر أصناف لم تكن تعرف في ذلك الزمان وتلحق بأجناسها مثل الأرز، فإن قسمها ووزعها بنفسه فجائز ،وهو الأولى والأفضل والواجب في زمن غياب الشريعة وتسلط الحكام المرتدين على رقاب المسلمين وأموالهم وخيرات بلاد الإسلام ليذهبوا بها إلى خواصهم وأوليائهم من الكفار واليهود والنصارى ليعاونوهم على محاربة المسلمين وأهل التوحيد والسنة والدعوة والجهاد ، كما يحدث الأن في حرب المسلمين مع اليهود فحكام العرب والمسلمين أمدوا اليهود بكل أنواع الإمدادات من مال وغذاء وسلاح ، ومنعوا المسلمين من نصرة إخوانهم في فلسطين فمن صرف زكاة ماله طائعاً مختاراً من غير إكراه لهؤلاء الحكام وهو يعرف حالهم ،فقد وال أعداء الله وساعدهم على قتل إخوانه المسلمين ، وهذا كفر وردة ومروق من الدين ،فعليه أن يقسمها بنفسه في مصارفها الثمانية التي حددها الله تعالى وقد فصلنا ذلك في شرح أركان الإسلام ،ونتكلم باختصار عن مصارف الزكاة ثم نتبعها بمسائل فيها

فإن الزكاة كما لا يخفى، لا بد لأن تكون في موضع القبول أن تصرف في مصارفها الشرعية، والتي حددها الله عزو جل في قوله: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة:60]، فهؤلاء المذكورون في هذه الآية الكريمة هم أهل الزكاة الذين جعلهم الله محلاً لدفعها إليهم, لا يجوز صرف شيء منها إلى غيرهم إجماعاً.

ولا يجوز صرف الزكاة في غير هذه المصارف التي عينها الله من المشاريع الخيرية الأخرى, كبناء المساجد والمدارس والقبور, لقوله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} الآية, و (إنما) تفيد الحصر, وتثبت الحكم لما بعدها, وتنفيه عما سواه, والمعنى: ليست الصدقات لغير هؤلاء, بل لهؤلاء خاصة, وإنما سمى الله الأصناف الثمانية, إعلاماً منه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف إلى غيرها فالأصناف الذين تدفع إليهم الزكاة

ثمانية, ذكرهم الله تعالى في قوله سبحانه: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} سورة التوبة 60

فلا يجوز صرف الزكاة المفروضة إلى غيرهم:

من بناء مسجد، أو إصلاح طريق، أو كفن ميت، أو غير ذلك من أعمال البر؛ لأن الله تعالى خص هذه الأصناف الثمانية بها في قوله: {إِنَّمَا} وهي للحصر، تثبت المذكور، وتنفي ما عداه

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله:

((ولا نعلم خلافاً بين أهل العلم في أنه لا يجوز دفع هذه الزكاة إلى غير هذه الأصناف))

وفى أموال الصدقات (وهى المال الغير مقدر ولا محدد إخراجه بمقدار كفاية وتوسع لغير هذه الأصناف

أولاً: الفقراء:

الفقير الذي لا شيء له، والفقراء هم من لا يجدون شيئاً من الكفاية مطلقاً، أو يجدون بعض الكفاية دون نصفها من كسب وغيره, مما لا يقع موقعاً من الكفاية، وإن تفرَّغ قادر على التكسب للعلم الشرعي لا للعبادة وتعذر أن يجمع بين التكسب والاشتغال بالعلم، أُعطي من الزكاة بقدر حاجته، وحتى لو لم يكن العلم لازماً له، فعُلم بذلك:

أن الفقير: هو من لا مال له ولا كسب أصلاً، أو من له مال أو كسب أقل من نصف ما يكفيه لنفسه،وهم الذين لا يجدون شيئاً من المعيشة، أو يجدون بعض كفايتهم منها، فهؤلاء يعطون كفايتهم من الزكاة لعام كامل.

ثانياً: المساكين:

وهم الذين يجدون نصف كفايتهم أو أكثرها، والمسكين الذي له بعض ما يكفيه, عنده ولكن لايكفيه

والمسكين من قدر على مال أو كسب حلال لائق يقع موقعًا من كفايته وكفاية من يعوله. ولكن لا تتم به الكفاية، كمن يحتاج إلى عشرة فيجد سبعة أو ثمانية، وإن ملك نصابًا أو نصبًا.

وحدد بعضهم ما يقع موقعًا من كفايته بالنصف فما فوقه، فالمسكين هو الذي يملك نصف الكفاية فأكثر.

وهو بهذا المعنى أحسن حالاً من الفقراء فهؤلاء يعطون تمام كفايتهم لعام كامل.

و في الصحيحين والنسائي وأبى داود عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان ، قالوا : فما المسكين يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يجد غنى ولا يعلم الناس حاجته فيتصدق عليه (فذاك المحروم) : المذكور في قوله تعالى : وفي أموالهم حق للسائل والمحروم .

ثالثاً: العاملون عليها:

وهم العمال الذين يقومون بجمع الزكاة من أصحابها، ويحفظونها، ويوزعونها على مستحقيها بأمر الإمام

فهم السعاة الذين يبعثهم الإمام؛ لأخذها من أربابها، وجمعها، وحفظها، ونقلها، ومن يعينهم ممن يسوقها ويرعاها، ويحملها، وكذلك الحاسب، والكاتب، والكيَّال، والوزَّان، والعدَّاد، وكل من يحتاج إليه فيها؛ فإنه يُعطى أجرته منها؛ لأن ذلك من مؤنتها فهؤلاء يعطون من الزكاة قدر أجرة عملهم

فهم مستحقون بوصف العمالة ، ومن استحق بوصف أعطي بقدر ذلك الوصف ، وعليه فيعطون من الزكاة بقدر عمالتهم فيها ، سواء كانوا أغنياء أم فقراء ، لأنهم يأخذون الزكاة لعملهم لا لحاجتهم ، وعلى هذا فيعطون ما يقتضيه العمل من الزكاة ، فإن قدر أن العاملين عليها فقراء ، فإنهم يعطون بالعمالة ، ويعطون ما يكفيهم لمدة سنة لفقرهم . لأنهم يستحقون الزكاة بوصفين العمالة عليها والفقر ، فيعطون لكل من الوصفين، ولكن إذا أعطيناهم للعمالة ولم تسد حاجتهم لمدة سنة ، فنكمل لهم المؤونة لمدة

رابعاً: المؤلفة قلوبهم: وهم قسمان: كفار، ومسلمون.

- فالكافر يعطى من الزكاة إذا رُجيَ إسلامه. أو حصل بإعطائه كف شره عن المسلمين، ونحو ذلك.

- والمسلم يعطى من الزكاة لتقوية إسلامه، أو رجاء إسلام نظيره،

- والمؤلفة قلوبهم، أمر الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - بتألفهم: أي بمقاربتهم وإعطائهم؛ ليرغِّبوا مَنْ وراءهم في الإسلام وهو السيد المطاع في عشيرته، ممن يُرجى إسلامه، أو كف شره، أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره،

وعلى ذلك فالمؤلفة قلوبهم قسمان :

القسم الأول: كفار، وهم نوعان:

النوع الأول: من يُخشى شره، ويرجى بعطيته كفّ شره، وكف شر غيره معه.

النوع الثاني: من يُرجى إسلامه، فيعطى؛ لتقوى نيته في الإسلام، وتميل نفسه إليه فيسلم

والقسم الثاني: المسلمون أربعة أنواع:

النوع الأول: قومٌ من سادات المسلمين لهم نظراء من الكفار، ومن المسلمين الذين لهم نية حسنة في الإسلام، فإذا أعطوا رُجي إسلام نظرائهم وحُسنُ نيَّاتهم، فيجوز إعطاؤهم.

النوع الثاني: قومٌ في طرف بلاد الإسلام إذا أعطوا دفعوا عمن يليهم من المسلمين.

النوع الثالث: قومٌ إذا أعطوا جبوا الزكاة ممن لا يعطيها إلا أن يخاف، فكل هؤلاء يعطون من الزكاة؛ لأنهم من المؤلفة قلوبهم، فيدخلون في عموم الآية.

النوع الرابع: قومٌ ساداتٌ مطاعون في قومهم, يرجى بعطيتهم قوة إيمانهم، ومناصحتهم في الجهاد؛ فإنهم يعطون

ولكن هل يشترط في ذلك أن يكون سيداً مطاعاً في قومه حتى يكون في تأليفه مصلحة عامة ، أو يجوز أن يعطى لتأليفه ولو لمصلحته الشخصية : كرجل دخل في الإسلام حديثاً ، يحتاج إلى تأليفه وقوة إيمانه بإعطائه ؟

هذه محل خلاف بين العلماء ، والراجح أنه لا بأس أن يعطى لتأليفه على الإسلام بتقوية إيمانه ، وإن كان يعطى بصفة شخصية وليس سيداً في قومه ، لعموم قوله تعالى: (وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) ، ولأنه إذا جاز أن نعطي الفقير لحاجته البدنية والجسمية فإعطاؤنا هذا الضعيف الإيمان لتقوية إيمانه من باب أولى ؛ لأن تقوية الإيمان بالنسبة للشخص أهم من غذاء الجسد .

هؤلاء أربعة يعطون الزكاة على سبيل التمليك ، ويملكونها ملكاً تامًّا حتى لو زال الوصف عنهم في أثناء الحول لم يلزمهم رد الزكاة ، بل تبقى حلالاً لهم ، لأن الله عبر لاستحقاقهم إياها باللام فقال : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ

وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) ، فأتى باللام ، وفائدة ذلك : أن الفقير لو استغنى في أثناء الحول فإنه لا يلزمه رد الزكاة : مثل لو أعطيناه عشرة آلاف لفقره وهي تكفيه لمدة سنة ، ثم إن الله تعالى أغناه في أثناء الحول باكتساب مال ، أو موت قريب له يرثه أو ما شابه ذلك ، فإنه لا يلزمه رد ما بقي من المال الذي أخذه من الزكاة ؛ لأنه ملكه .

خامساً: وفى الرقاب:

وهم العبيد الأرقاء المكاتبون الذين لا يجدون وفاء، فيعطى المكاتب ما يقدر به على العتق والتخلص من الرق.

- وفى الرقاب أي عتق الرقبة المسلمة وأن كان لايوجد الأن رقيق أو عبيد مكاتبون فيكون عتق الرقبة فى فك أسارى المسلمين من أيدى الكفار وسجونهم ونحو ذلك.

والرقاب فسرها العلماء بثلاثة أشياء :

الأول : مكاتب اشترى نفسه من سيده بدراهم مؤجلة في ذمته ، فيعطى ما يوفي به سيده .

والثاني : رقيق مملوك اشْتُرِيَ من الزكاة ليعتق .

الثالث : أسير مسلم أسره الكفار فيعطى الكفار من الزكاة لفكهم هذا الأسير ، وأيضاً : الاختطاف ، فلو اختطف كافر أو مسلم أحد من المسلمين فلا بأس أن يفدى هذا المختطف بشيء من الزكاة ، لأن العلة واحدة ، وهي فكاك المسلم من الأسر ، وهذا إذا لم يمكننا أن نرغم المختطف على فكاكه بدون بذل المال إذا كان المختطف من المسلمين .

سادساً: والغارمين

أي الذى عليه دين فيسدد دينه من الزكاة وهم المدينون، وهم نوعان: غارم لنفسه، وغارم لغيره.

فالغارم لنفسه: هو الذي عليه دين تحمله لحاجة نفسه ولا يقدر على تسديده، فيعطى من الزكاة ما يسدد به دينه الغارم لنفسه ، الذي استدان لنفسه ليدفعه في حاجته ، أو بشراء شيء يحتاجه يشتريه في ذمته ، وليس عنده مال ، فهذا يوفى دينه من الزكاة بشرط أن لا يكون عنده مال يوفي به الدَّين .

وهنا مسألة : هل الأفضل أن نعطي هذا المدين من الزكاة ليوفي دينه أو نذهب نحن إلى دائنه ونوفي عنه ؟

هذا يختلف ، فإن كان هذا الرجل المدين حريصاً على وفاء دينه ، وإبراء ذمته ، وهو أمين فيما يعطى لوفاء الدين فإنا نعطيه هو بنفسه يقضي دينه ، لأن هذا أستر له وأبعد عن تخجيله أمام الناس الذين يطلبونه .

أما إذا كان المدين رجلاً مبذراً يفسد الأموال ، ولو أعطيناه مالاً ليقضي دينه ذهب يشتري أشياء لا ضرورة لها فإننا لا نعطيه ، وإنما نذهب نحن إلى دائنه ونقول له : ما دين فلان لك ؟ ثم نعطيه هذا الدين ، أو بعضه حسب ما يتيسر .

والغارم لغيره: هو من تحمل دينا لإصلاح ذات البين، فيعطى من الزكاة ما يعينه على حمالته وإن كان غنياً.

أما الغرم لإصلاح ذات البين ، فمثلوا له بأن يقع بين قبيلتين تشاحن وتشاجر أو حروب ، فأتى رجل من أهل الخير والجاه والشرف والسؤدد ، وأصلح بين هاتين القبيلتين بدراهم يتحملها في ذمته ، فإنا نعطي هذا

الرجل المصلح الدراهم التي تحملها من الزكاة ، جزاء له على هذا العمل الجليل الذي قام به ، الذي فيه إزالة الشحناء والعداوة بين المؤمنين وحقن دماء الناس ، وهذا يعطى سواء كان غنيًّا أم فقيراً ، لأننا لسنا نعطيه لسد حاجته ، ولكننا نعطيه لما قام به من المصلحة العامة ..

سابعاً: في سبيل الله:

والمراد به عند الإطلاق: الجهاد، فيعطى من الزكاة المجاهدون المتطوعون الذين لا رواتب لهم من بيت المال.

وفى سبيل الله يدخل فيه الجهاد والحج وطالب العلم

وسبيل الله هنا المراد به الجهاد في سبيل الله لا غير ، ولا يصح أن يراد به جميع سبل الخير ؛ لأنه لو كان المراد به جميع سبل الخير لم يكن للحصر فائدة في قوله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) التوبة/60 . إذ يكون الحصر عديم التأثير ، فالمراد في سبيل الله هو الجهاد في سبيل الله ، فيعطى المقاتل في سبيل الله ، الذين يظهر من حالهم أنهم يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا ، يعطون من الزكاة ما يحتاجون إليه من النفقات والأسلحة وغير ذلك ، ويجوز أن تشترى الأسلحة لهم من الزكاة ليقاتلوا بها ، ولكن لابد أن يكون القتال في سبيل الله . والقتال في سبيل الله بَيَّنَه الرسولُ صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الرجل يقاتل حمية ، ويقاتل شجاعة ، ويقاتل ليرى مكانه أي ذلك في سبيل الله ؟ قال : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) ، فالرجل المقاتل حمية لوطنه وغير ذلك من أنواع الحميات ليس يقاتل في سبيل الله فلا يستحق ما يستحقه المقاتل في سبيل الله ، لا من الأمور المادية الدنيوية ، ولا من أمور الآخرة ، والرجل الذي يقاتل شجاعة أي أنه يحب القتال لكونه شجاعاً . والمتصف بصفة

غالباً يحب أن يقوم بها على أي حال كانت . هو أيضاً ليس يقاتل في سبيل الله ، والمقاتل ليرى مكانه ، يقاتل رياء وسمعة ليس يقاتل في سبيل الله ، وكل من لا يقاتل في سبيل الله فإنه لا يستحق من الزكاة ؛ لأن الله تعالى يقول : (وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ) والذي يقاتل في سبيل الله هو الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا .

قال أهل العلم : ومن سبيل الله : الرجل يتفرغ لطلب العلم الشرعي ، فيعطى من الزكاة ما يحتاج إليه من نفقة وكسوة وطعام وشراب ومسكن وكتب علم يحتاجها ، لأن العلم الشرعي نوع من الجهاد في سبيل الله ، بل قال الإمام أحمد رحمه الله : (العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته) ، فالعلم هو أصل الشرع كله ، فلا شرع إلا بعلم ، والله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب ليقوم الناس بالقسط ، ويتعلموا أحكام شريعتهم ، وما يلزم من عقيدة وقول وفعل . أما الجهاد في سبيل الله فنعم هو من أشرف الأعمال ، بل هو ذروة سنام الإسلام ، ولا شك في فضله ، لكن العلم له شأن كبير في الإسلام ، فدخوله في الجهاد في سبيل الله دخول واضح لا إشكال فيه .

ثامناً: ابن السبيل:

هو المسافر المنقطع في سفره، الذي لا يجد من النفقة ما يوصله إلى بلده، فيعطى من الزكاة ما يمكنه من الرجوع إلى بلده. ولو كان غنيًّا في بلده. لأنه محتاج ، ولا نقول له في هذه الحال : يلزمك أن تستقرض وتوفي لأننا في هذه الحال نلزمه أن يلزم ذمته ديناً ، ولكن لو اختار هو أن يستقرض ولا يأخذ من الزكاة فالأمر إليه ، فإذا وجدنا شخصاً مسافراً من مكة إلى المدينة ، وفي أثناء السفر ضاعت نفقته ولم يكن معه شيء وهو غني في المدينة ، فإننا نعطيه ما يوصله إلى المدينة فقط ، لأن هذه هي حاجته ولا نعطيه أكثر .

وإذا كنا قد عرفنا أصناف أهل الزكاة الذين تدفع لهم فإن ما سوى ذلك من المصالح العامة أو الخاصة لا تدفع فيه الزكاة ، وعلى هذا لا تدفع الزكاة في بناء المساجد ، ولا في إصلاح الطرق ، ولا في بناء المكاتب وشبه ذلك ، لأن الله عز وجل لما ذكر أصناف أهل الزكاة قال : (فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) أي أن هذا التقسيم جاء فريضة من الله عز وجل (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

ثم نقول : هل هؤلاء المستحقون يجب أن يعطى كل صنف منهم ؛ لأن الواو تقتضي الجمع ؟

فالجواب : أن ذلك لا يجب ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن : (أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم ، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) فلم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم إلا صنفاً واحداً ، وهذا يدل على أن الآية يبين الله تعالى فيها جهة الاستحقاق ، وليس المراد أنه يجب أن تعمم هذه الأصناف .

فإن قيل : أيها أولى أن تصرف فيه الزكاة من هذه الأصناف الثمانية ؟

قلنا : إن الأولى ما كانت الحاجة إليه أشد ؛ لأن كل هؤلاء استحقوا الوصف ، فمن كان أشد إلحاحاً وحاجة فهو أولى ، والغالب أن الأشد هم الفقراء والمساكين ، ولهذا بدأ الله تعالى بهم فقال : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) التوبة/60 . والله أعلم."**مجموع فتاوى ابن عثيمين" (18/331-339)**

مسائل في مصارف الزكاة

كل صنف من أصناف أهل الزكاة يدفع إليه ما تندفع به حاجته من غير زيادة: فالغارم، والمكاتب، يعطى كل واحد منهما ما يقضي به دينه وإن كثر، وابن السبيل يعطى ما يبلغه إلى بلده، والغازي يعطى ما يكفيه لغزوه، والعامل يعطى بقدر أجرة عمله

= إذا اجتمع في واحد من أهل الزكاة سببان جاز أن يأخذ بكل واحد منهما منفرداً: كالفقير الغارم، يعطى بهما جميعاً، فيعطى ما يقضي دينه، ثم يُعطى ما يغنيه ويسد حاجته .
= يستحب صرف الزكاة إلى الأقارب المحتاجين الذين لا تلزم نفقتهم على صاحب المال

= فلا يجزئ صرف الزكاة في بناء المقابر أو شراء الأضاحي ونحو ذلك مما ليس داخلا في الأصناف الثمانية المذكورة في الآية الكريمة0

= كل من تجب عليك نفقته لا يجوز صرف الزكاة له

= ولا بدّ من النية في أداء الزكاة، لقول النبي ﷺ: إنما الأعمال بالنيات، فلو أعطاها صدقة عادية ثم أراد أن يحتسبها من الزكاة بعدما أعطاها فلا تجزئه.

= فلا تصرف الزكاة للأغنياء، ولا للأقوياء المكتسبين الذين عندهم قدرة على العمل؛ لأن في إعطائهم فتح لباب الكسل والبطالة، بخلاف ما لو كان هؤلاء لا يستطيعون العمل بأي سبب من الأسباب.

= ولا يجوز للإنسان أن يعطيها لأصوله، ولا لفروعه ولا لزوجته لأنه مكلف بالنفقة عليهم.

= وكل من لا يجد حاجة من الأمور الضرورية في هذا العصر، أو التي تمس الحاجة إليه بشكل ماس فإنه فقير، كمن لا يجد ثلاجة أو مكيفًا في البلد الحار.

= ولا يجوز إعطاء الزكاة لتارك الصلاة بالكلية

= ولا يجوز كذلك أن تعطى ليدفع عنها مذمة أقاربه، يدفع عن نفسه مذمة أقاربه، وإنما إذا كان أقاربه مستحقين فعلًا -وليسوا ممن يجب عليه نفقته- جاز له إعطاؤهم، كالعم والخال وابن العم وابن الخال والأخ والأخت الفقراء، وأبناء الإخوة والأخوات ونحو ذلك، فإنها هؤلاء يجوز إعطاؤهم على الراجح،

= ويجوز للمرأة أن تعطي زكاتها لزوجها الفقير، وليس العكس،

=وكذلك يجوز للإنسان أن يعطي الزكاة للمديونين في شراء ما يحتاجون إليه إذا طولبوا وحل الدين عليهم ولا يجدون ما يسددون،

= وكذلك أصحاب الجنايات والديات، ودفع الزكاة للقريب: قال فيه شيخ الإسلام -رحمه الله-: "إن كان القريب الذي يجوز دفعها إليه حاجته مثل حاجة الأجنبي فالقريب أولى، وإن كان البعيد أحوج لم يحاب بها القريب" كما قال -رحمه الله تعالى-، والفقير يجوز إعطاؤه إلى ما يكفيه سنة، ويعطى الشاب المحتاج إلى الزواج الذي يخشى على نفسه الحرام، ولا يجد ما يتزوج به

= وكذلك فإنه يجوز إعطاءها في تسديد الفواتير المهمة، كفواتير الكهرباء مثلًا، فإنه لا غنى للناس اليوم عن الكهرباء

= ولا يجوز أن يقبل إنسان زكاة وقد اغتنى؛ حتى ولو قال: أعطيها لغيري، وإنما يخبر المعطي يقول: أنا مغتني، وعندي فقراء توكلني بإيصالها إليهم، فإن أجازه بذلك قبل، وإلا فلا يقبل، ولا يأخذها،

=ويجوز نقل الزكاة من بلد إلى آخر إذا وجدت الحاجة كقرابة، أو شدة نزلت بالمسلمين.

الفرق بين الزكاة والضرائب

أولاً إن الزكاة تختلف اختلافًا كليًا عن الضرائب، وقد حاول بعضهم من المعاصرين الخلط بين الزكاة والضريبة، ولكن هذه المحاولات تبوء بالفشل، وهذه الزكاة تدفع بنية التقرب إلى الله، والضريبة تدفع بالإكراه، لا يبتغي بدفعها وجه الله.

ثانياً والزكاة حق قدره الشارع، ولم يترك تقديره لرغبات البشر وأهوائهم يزيدون فيها متى شاؤوا وكيف يشاؤوا، بخلاف الضرائب.

وثالثًا: الزكاة يتعين توزيعها في مصارفها الشرعية التي حددها الله -جل وعلا-، بخلاف الضرائب.

ورابعًا: الزكاة فريضة ثابتة ودائمة ما دام في الأرض إسلام ومسلمون، بخلاف الضريبة، وسئل شيخ الإسلام عن الزكاة يأخذها السلطان يصرفها حيث شاء؟ فأجاب ابن تيمية في المجلد الخامس والعشرين من الفتاوى: "إذا كان الإمام عادلًا يصرفه في مصارفه الشرعية، أو ما يأخذه ولاة المسلمين من العشر وزكاة الماشية والتجارة وغير ذلك؛ فإنه يسقط عن صاحبه؛ إذا كان الإمام عادلًا يصرفه في مصارفه الشرعية باتفاق العلماء.

فإن كان ظالمًا لا يصرفه في مصارفه الشرعية، فينبغي لصاحبه أن لا يدفع الزكاة إليه بل هو يصرفها إلى مستحقيها، فإن أكره على دفعها إلى الظالم -

بحيث لو لم يدفعها إليه حصل عليه الضرر- فإنها تجزؤه إذا أخذت باسم الزكاة عند أكثر العلماء، وأما ما أخذ بغير اسم الزكاة فلا يجزئ أن يكون من الزكاة".

وأما بالنسبة للديون:

فالديون نوعان: حالة، ومؤجلة،

فإذا كان الدين حالًا، وكذلك الذي عنده المال غني غير مماطل، فكأن المال في جيبك، فيجب عليك إخراج الزكاة عن هذا الدين، وأما هذا الحال مرجو الأداء فيجب إخراج الزكاة عنه، وأما إذا كان غير مرجو الأداء، مثل أن يكون عند غنيًا لكن مماطل، أو عند مسكين لا يستطيع أن يدفعه، فعند ذلك لا تجب زكاته إلا إذا قبضه زكاه مرة واحدة عما مضى، والدين لا يمنع الزكاة، فلو كان عندك مال ودين أكثر من المال الذي عندك؛ والمال الذي عندك حال عليه الحول فأدِّ زكاته، هذا هو الراجح من أقوال العلماء ما دام المال عندك، لكن لو سددت الدين من المال قبل الحول فلا زكاة حينئذ إلا بما عندك من الباقي، والمال المعد لقضاء دين، أو زواج، أو بناء بيت يدخر لأجل ذلك ففيه الزكاة أيضًا، فهو مال عندك وحال عليه الحول فانطبق عليه الشرط.

وكذلك فإنه لا يجوز إسقاط الدين عن الفقير مقابل الزكاة، فيقول: ما عليك من الدين الذي لي أسقطه عنك، وينوي به الزكاة؛ لأن الله قال: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةًالتوبة:103، وهذه العملية ليس فيها أخذ، والرسول قال: تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فأين الأخذ من الأغنياء وإعطاء الفقراء؟

لا يجوز إسقاط الدين عن الفقير مقابل الزكاة، فيقول: ما عليك من الدين الذي لي أسقطه عنك، وينوي به الزكاة؛ لأن الله قال: خُذْ مِنْ

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً، وهذه العملية ليس فيها أخذ، والرسول قال: تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فأين الأخذ من الأغنياء وإعطاء الفقراء؟

ولأن فيها منفعة للشخص بتحصيل مال غير متحصل، فاستفاد من الزكاة بتحصيل الديون المعدومة، ولا يصح الانتفاع من الزكاة بشيء، وإنما تخرج كلها لوجه الله، وكذلك فإن المال هذا المعدوم، أو الديون التي يسمونها معدومة رديئة خبيثة، غير مرجو التحصيل؛ والزكاة تخرج من مال طيب عندك أنت في يدك نفيس ثمين، فلماذا يفتدي فيخرج الرديء ويترك الأخذ من الجيد؟ (وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ). **(مسائل الزكاة الشيخ محمد المنجد)** .

٦٥ - واعلم أن أول الإسلام شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن ما قال الله كما قال ولا خلف لما قال وهو عند ما قال

يعنى تيقن وتنبه أن أول الدخول في الإسلام هو بالتوحيد بالنطق بالشهادتين اعتقاداً وقولاً وعملاً والشهادة لله تعالى بالوحدانية ولنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة هي أصل الدين وأساس الملة، فلابد أن ينطق الشهادتين بلسانه، ويعتقد معناهما بقلبه، ويعمل بمقتضاهما بجوارحه، وهذا هو الإسلام.

، فإذا نطقت بالشهادتين وأقررت وصدقت وعملت بمقتضاهما، فأديت الأوامر، وتركت النواهي، فهذا هو الإسلام. وهذا هو أول واجب على المكلف خلافاً لأهل الأهواء والبدع الذين يقولون أن أول واجب هو النظر في وجود الله ،وقد فصلنا ذلك في شرح مقدمة التوحيد ،وكتاب الشهادتين وبينا أقسام الناس في لا إله إلا الله،ويجب أن يعلم المسلم أن الله لا يخلف وعده ،وربما يخلف وعيده ،وأن ما قال يجب أن يكون كما قال من غير تحريف ولا تأويل ،خلافاً لمذهب أهل الأهواء

٦٦ - والإيمان بالشرائع كلها

ويدخل فيه الايمان بالشرائع العامة قبل الإسلام ،وهذه نحن غير ملزمين بها ،ولكن نتبع ما وافق شريعتنا ، والمعنى الثانى هو شرائع الإسلام كلها من بيع وشراء ونكاح وطلاق وقصاص وإجارة وغير ذلك من الشرائع التي يجب الايمان بها جملة وعلى الغيب

٦٧ – واعلم أن الشراء والبيع حلال إذا بيع في أسواق المسلمين على حكم الكتاب والسنة من غير أن يدخله تغرير أو ظلم أو غدر أو خلاف للقرآن أو خلاف للعلم

الأصل في البيع والشراء الحل والجواز ما لم يكن محرماً أو ضرراً كالغش والغرر والربا والجهالة فالأصل في البيوع الحل إلا ما جاء النص بمنعه وتحريمه

وسبب ذكر الشيخ هنا مسائل فقهية في مناط العقيدة هو أن عصر الشيخ ربما ظهر فيه بعض المبتدعة الذين يخالفون السنة فالمؤلف رحمه الله ينبه على بدعتهم ويحذر منها بذكر السنة والحق ، وهذا هو العالم الناصح العامل بعلمه الذى يعيش هموم أمته ومشاكل زمانه ووقته ،فربما ظهر في زمن الشيخ بعض المتصوفة الذين ينكرون التكسب ويرون حرمة البيع والشراء والعمل بالتجارة وغير ذلك فكثير من العباد نزعوا إلى ما يشبه تحريم البيع والشراء أو التعبد بترك هذه الأمور والنهي عنها، وهذا لا يجوز؛ لأن البيع والشراء مما أباحه الله عز وجل ولا تستقيم حياة المسلمين عموماً وخصوصاً إلا بذلك.

ونجد أفاضل الأمة أئمة الهدى الكبار لم يتورعوا عن البيع والشراء وإن كان بعضهم قد انشغل بالعلم والدعوة عن البيع والشراء؛ وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يبيعون ويشترون ويذهبون إلى الأسواق ويتكسبون بأيديهم، ولم يكن ذلك نقصاً في دينهم ولا في كونهم قدوة بل هم أفضل الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم. والأصل فيما بيع في أسواق المسلمين أنه حلال، فلا تشك وتقول: أخشى أن يكون حراماً، وأخشى أن تكون هذه السلعة التي اشتريتها مسروقة، وأخشى أن فيها كذا، فالأصل

الحل والاثم على الكاسب إن جهلت المصدر ، والأصل أن ما بيع في أسواق المسلمين فهو حلال إذا لم يدخله تغيير ولا ظلم ولا جور ولا غدر، وكذلك بشرط ألا يخالف القرآن، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} [النساء:29]، ولا يكتم عيوب السلعة، فحرام عليه أن يخفي العيب، بل لا بد أن يخبره بالعيب الذي يعلمه، فقوله: (خلاف للعلم)، أي: ما تعلمه من العيب فلا تخفيه، فالسلعة التي فيها عيب وأنت تعلمه فلابد أن تبينه، قال عليه الصلاة والسلام: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما).

٦٨ - واعلم أنه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبدا ما صحب الدنيا لأنه لا يدري على ما يموت وبما يختم له وعلى ما يلقى الله عز و جل وإن عمل كل عمل من الخير وينبغي للرجل المسرف على نفسه أن لا يقطع رجاءه عند الموت ويحسن ظنه بالله ويخاف ذنوبه فإن رحمه الله فبفضل وإن عذبه فبذنب

الأصل أن المسلم يعيش في هذه الحياة بين الخوف والرجاء ،ولا يغتر بما هو عليه من طاعة فلا يدرى بما يختم له فان الدنيا تتقلب بأهلها ،فعليه أن يغلب الخوف مادام حيا ولا يأمن ،وعليه أن يغلب الرجاء إن كان في انقطاع عن الدنيا واقبال على الاخرة فيغلب الرجاء في عفو الله ومغفرته ولا ييأس ولا يقطع رجاؤه في الله

٦٩ - والإيمان بأن الله تعالى اطلع نبيه صلى الله عليه و سلم على ما يكون في أمته إلى يوم القيامة

وهذا من صدق نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم فقد أخبره الله بأمور هي من معجزاته صلى الله عليه وسلم ،أخبره بأشراط الساعة وأخبره بانتشار الإسلام، (ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار بعز عزيز أو بذل ذليل).

وثبت في صحيح مسلم من حديث عمرو بن أخطب قال :" صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا."وقال عليه الصلاة والسلام: (والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئبَ على غنمه).

ما أخرجه البخاري في "صحيحه" ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال :" قَامَ فِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ."

وما أخرجه البخاري في "صحيحه" ومسلم ، من حديث حذيفة رضي الله عنه ، قال :"لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً ، مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ ، فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ. "

فهذه الأحاديث استُعمل فيها ألفاظ العموم، مثل" فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ "، ومثل " مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ "، إلا أن هذا العموم غير مراد قطعا، بل هو من العام الذي أريد به الخصوص.

وذلك لأن تفاصيل أحداث ما كان وما هو كائن لا يعلمه إلا الله وحده، وإنما المقصود بذلك الأمور العظيمة، والأحداث الجسيمة، وأشراط الساعة، وأصناف الفتن التي ستقع للأمة، وقد نصَّ على ذلك جماعة من أهل العلم

قال القرطبي في "المفهم (وعلى كل تقدير: فعمومات هذه الأحاديث يراد بها الخصوص؛ إذ لا يمكن أن يحدث في يوم واحد، بل ولا في أيام، ولا في أعوام، بجميع ما يحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم تفصيلا.)

وإنما مقصود هذه العمومات الإخبار عن رؤوس الفتن والمحن، ورؤسائها ، كما قال حذيفة بعد هذا، حين قال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعد الفتن: منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا، ومنهن كرياح الصيف ، منها صغار ومنها كبار.

وقال عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنه سيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها).

ولما وقت المواقيت عليه الصلاة والسلام في الحج وقت لأهل الشام والمغرب الجحفة، ووقت لأهل اليمن يلملم، ووقت لأهل العراق ذات عرق، مع أن العراق في ذلك الوقت لم تفتح بعد، وهذا من علامات النبوة، ففيه دليل على أنهم سيسلمون ويحجون ويعتمرون من هذا الميقات، وهذا مما أطلع الله عليه نبيه مما سيكون في أمته إلى يوم القيامة.

٧٠ - واعلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة قيل من هم يا رسول الله قال ما أنا عليه اليوم وأصحابي هكذا كان الدين إلى خلافة عمر بن الخطاب الجماعة كلها وهكذا في زمن عثمان فلما قتل عثمان رضي الله عنه جاء الاختلاف والبدع وصار الناس فرقا فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير وقال به وعمل به ودعا إليه وكان الأمر مستقيما حتى كانت الطبقة الرابعة في خلافة فلان انقلب الزمان وتغير الناس جدا وفشت البدع وكثر الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة ووقعت المحنة في كل شيء لم يتكلم به رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا أحد من الصحابة ودعوا إلى الفرقة وقد نهى الله عز و جل عن الفرقة وكفر بعضهم بعضا وكل دعا إلى رأيه وإلى تكفير من خالفه فضل الجهال والرعاع ومن لا علم له وأطمعوا الناس في شيء من أمر الدنيا وخوفوهم عقاب الدنيا فاتبعهم الخلق على خوف في دينهم ورغبة في دنياهم فصارت السنة

وأهل السنة مكتومين وظهرت البدعة وفشت وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتى ووضعوا القياس وحملوا قدرة الرب وآياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم فما وافق عقولهم قبلوه وما خالف عقولهم ردوه فصار الإسلام غريبا والسنة غريبة وأهل السنة غرباء في جوف ديارهم

فيه التحذير من الفتن والافتراق في الدين ،وفضيلة الاعتصام بالجماعة وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه ،ثم بعد مقتله ظهرت الفتن وانتشرت الشرور وتعالت رؤوس السبئية الضالة أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى الذين أشاعوا الفتن بين المسلمين وحصلت بسببهم الفتنة الكبرى بين على ومعاوية رضى الله عنهما وعن الصحابة أجمعين ،وحديث الفرق وافتراق الأمة صح بطرق متعددة وبروايات مختلفة فصح في مسند الإمام أحمد وسنن أبو داود وبن ماجة والمستدرك عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إنَّ بَني إسرائيلَ افترَقت على إحدى وسَبعينَ فِرقةً وإنَّ أمَّتي ستفترِقُ على اثنتينِ وسبعينَ فرقةً كلُّها في النّارِ إلا واحِدةً وَهيَ الجماعةُ) وفيه أن الدين العتيق ما كان عليه الجماعة في الزمن الأول وهذا أصل يجب التمسك به ،وفيه أصل أخر وهو أن الأمة كانت واحدة مجتمعة على الدين والجماعة الواحدة حتى مقتل عثمان رضى الله عنه فمن اختلطت عليه الفتن فليتمسك بما كانت عليه الجماعة قبل الافتراق ويرد الاختلاف إلى الأمر الأول العتيق ولا عبرة بالاختلاف بعد مقتل عثمان رضى الله عنه وتفرق الجماعة فقد ظهرت الفرق بعد مقتله بثلاث أو أربع سنوات ولم يثبت الأمر لعلى رضى الله عنه ولا لمعاوية رضى الله عنه إلا عام الجماعة بعد تنازل الحسن رضى الله عنه عن الخلافة لعلى حقناً لدماء المسلمين كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

٧١ - واعلم أن المتعة متعة النساء والاستحلال حرام إلى يوم القيامة

"المتعة " - أو " الزواج المؤقت " – هو أن يتزوج الرجل المرأةَ إلى أجل معيَّن ساعة أو ساعتين ،يوم أو يومين بقدر معلوم من المال.

والأصل في الزواج الاستمرار والدوام ، والزواج المؤقت – وهو زواج المتعة – كان مباحاً في أول الإسلام ثم نُسخت الإباحة ، وصار محرَّماً إلى يوم الدين.

وفى الصحيحين عن علي رضي الله عنه : " أن رسول الله صلى الله وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر ." وفي رواية : " نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية".

وفى صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً)وقد مر معنا تفصيل ذلك وشروط الزواج الصحيح . " وقوله الاستحلال ،يقصد به استحلال الفروج المحصنة بالشبهات والأهواء ابتغاء الشهوة وتزيين الباطل إرضاءً لشهوته مع ما يقع في صدره أنها حرام ولكن لغلبة الشهوة وضعف الإيمان واطلاق النظر إلى الحرام يقع في هذه الفواحش ومن ذلك

= الزواج المؤقت بأجل معلوم باتفاق بينهما صريح أو غير صريح

= الزواج من غير ولى للمرأة ولا علمه بحجة أنه كافر أو مرتد وهو مسلم

تذكير الأطهار بحرمة إتيان الأدبار

= وهذا التذكير واجب على أهل العلم فالدين النصيحة كما تقدم وخصوصاً أن هذا المرض الخطير والجريمة الشنيعة قد ابتلى بها بعض المسلمين بل وقع فيها بعض طلبة العلم الذين أطلقوا البصر لشهواتهم ولم يغضو بصرهم خوفاً من ربهم ومع وضوح تحريم إتيان الأدبار سواء للذكور والإناث ودلالة الفطرة والعقل والطب على حرمة هذه الجريمة إلا أن البعض بدلاً من الاعتراف بذنبه والتوبة إلى ربه أخذ يتبع شهواته ويجادل بشبهاته الشيطانية وحججه النفسية ويعاند الفطرة ليقنع نفسه ويرضى شهوته وهواه أن له شبهة جواز فيما يفعله ونحن في هذا الشرح المختصر لكتاب السنة للبربهارى نذكر أنفسنا والمسلمين بتقوى الله تعالى ومراقبته وخشيته في السر والعلن وأن يستحضر المسلم أن الموت ربما يأتيه وهو على هذه الفاحشة نسأل الله السلامة والعافية وحسن الخاتمة فمن مات على شيء بعث عليه

نقول أن من الشهوات المحرمة التي يقع فيها البعض جماع الزوجة في غير موضع الحرث الذى أحله الله تقليدا للكفار وممن لا خلاق لهم ممن يجعلون الزوجة كالبهيمة أو الأمة والعبدة والجارية فيأتونها كما يأتي الكفار والملاحدة في كل مكان بحجة أنها حلال له يستمتع بها كما يشاء إرضاءً لشهوته وتقليداً للكفرة والملاحدة في أوضاع مقززة مقرفة ما عرفها المسلمون ولا أصحاب الفطر السوية وهذا من مشاهدة المقاطع المحرمة ولو غض المسلم بصره عن الحرام واتقى الله في خلواته ما فسدت فطرته ولا شذ هذا الشذوذ الذى يفقد فيه انسانيته واستقامته وأعظم من ذلك

=إتيان المرأة في دبرها إرضاءً لشهوته وشيطانه وتقليداً لما يشاهده في الأفلام والمقاطع التي عمت بها البلوى في زماننا نسأل الله السلامة

=ومن أسباب هذه الجريمة - عند البعض - الدخول إلى الحياة الزوجية النظيفة بموروثات جاهلية قذرة من ممارسات شاذة محرمة أو ذاكرة مليئة بلقطات من أفلام الفاحشة دون توبة إلى الله . ومن المعلوم أن هذا الفعل محرم حتى لو وافق الطرفان فإن التراضي على الحرام لا يصيره حلالا.

=الأدلة على تحريم هذه الجريمة الشنيعة في القرأن الكريم وأقوال المفسرين لها

قال تعالى(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) سورة البقرة/223.

لفظ الحرث يفيد أن الإباحة لم تباح إلا في موضع الحرث الذي هو القُبل خاصة إذ هو مزرع الذرّية، فقد شبَّه ما يلقى في أرحامهن من النُّطف التي منها النسل بما يلقى في الأرض من البذور التي منها النَّبْت بجامع أن كل واحد منهما مادة لما يحصل منه، وقوله أنى شئتم أيْ: من أيِّ

جهة شئتم: من خلف وقدام وباركة ومستلقية ومضطجعة إذا كان في موضع الحرْث (أي الفرج وموضع خروج الولد)

ولقوله تعالى(فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) قال القرطبي : ومن بمعنى في ، أي في حيث أمركم الله تعالى وهو القبل. انتهى.

قال اللهُ تعالى(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة: 222.]

فقول اللهِ سُبحانَه: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ يدُلُّ على تَحريمِ إتيانِ الزَّوجةِ في دُبُرِها مِن بابِ أَولى؛ لأنَّه إذا كان مَكانُ الحَيضِ لا يجوزُ إتيانُه حالَ الحَيضِ لكونِه أذًى، فمِن بابِ أَولى لا يجوزُ إتيانُ دُبُرِ المَرأةِ؛ لكونِه أشَدَّ أذًى ونَجاسةً مِن مَكانِ الحَيضِ.

ونَقل القُرطُبيُّ في تَفسيرِ هذه الآيةِ عن بَعضِ العُلماءِ أنَّه قال: (حَرَّمَ اللهُ تعالى الفرجَ حالَ الحَيضِ لأجلِ النَّجاسةِ العارِضةِ، فأَولى أن يُحَرِّمَ الدُّبُرَ لأجلِ النَّجاسةِ اللَّازِمةِ).

وقولُ اللهِ عزَّ وجَلَّ: (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ) [البقرة: 222] يدُلُّ أيضًا على تَحريمِ إتيانِ دُبُرِ الزَّوجةِ؛ إذ لو كان مُباحًا لكان للزَّوجِ أن يَنكِحَ زَوجَتَه في دُبُرِها حالَ حَيضِها، ولكِنَّ اللهَ مَنَعَ الزَّوجَ أن يَقرَبَ زَوجَتَه بالنِّكاحِ حتَّى تَطهُرَ مِنَ الحَيضِ وتَغتَسِلَ.

ويدُلُّ على هذا أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أحَلَّ للرِّجالِ مِن زَوجاتِهم حالَ الحَيضِ كُلَّ شَيءٍ مِنَ الاستِمتاعِ كالقُبلةِ والضَّمَّةِ إلَّا النِّكاحَ؛ فعن أنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((اصنَعوا كُلَّ شَيءٍ إلَّا النِّكاحَ)).

وقَولُه: (فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ)أي: مِنَ القُبُلِ لا مِنَ الدُّبُرِ، وقد رَوى ابنُ جَريرٍ في تَفسيرِ هذه الآيةِ عن ابنِ عَبَّاسٍ ومُجاهِدٍ وقتادةَ والرَّبيعِ وإبراهيمَ النَّخعيِّ أنَّهم قالوا: (أي: في الفَرْجِ).

ففي هذه الآيةِ الكريمةِ دَلالةٌ واضِحةٌ على تَحريمِ إتيانِ دُبُرِ الزَّوجةِ، قال ابنُ كثيرٍ: (فيه دَلالةٌ على تَحريمِ الوَطءِ في الدُّبُرِ).

وقال الشِّنقيطيُّ: (وقَولُه: مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ هو القُبُلُ؛ لأنَّ اللهَ قال: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ، والمَأمورُ بإتيانِه: محَلُّ الحَرثِ، ومَعلومٌ أنَّ مَحَلَّ حَرثِ الأولادِ ليس الدُّبُرَ، وتَدُلُّ عليه آيةٌ أُخرى، وهي قَولُه تعالى: فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ؛ لأنَّ معنى: مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ أي: مِنَ الأولادِ على أصَحِّ التَّفسيرَينِ، وعليه جُمهورُ العُلماءِ، يعني: باشِروهنَّ، ولتَكُنْ تلك المُباشَرةُ في مَحَلِّ ابتِغاءِ الأولادِ، ومَعلومٌ أنَّ الدُّبُرَ ليس مَحَلَّ ابتِغاءِ الأولادِ).

وقولُ اللهِ تعالى: (إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) قد يكونُ فيه إشارةٌ إلى أنَّ مَن أتى زَوجَتَه في دُبُرِها فقد عَصى اللهَ سُبحانَه، وتَلطَّخَ بالنَّجاسةِ.

قال ابنُ عطيَّةَ: (وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ قال مُجاهدٌ: مِن إتيانِ النِّساءِ في أدبارِهِنَّ، كأنَّه نَظَرَ إلى قَولِه تعالى حِكايةً عن قَومِ لوطٍ: أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ [الأعراف: 82]).

وقال ابنُ كثيرٍ: (أي: المُتَنَزِّهينَ عن الأقذارِ والأذى، وهو ما نُهُوا عنه مِن إتيانِ الحائِضِ أو في غَيرِ المَأتِيِّ).

وقد رَوى ابنُ جَريرٍ في تَفسيرِه عن ابنِ عَبَّاسٍ ومُجاهدٍ في تَفسيرِ قَولِه تعالى حِكايةً عن قَومِ لوطٍ عليه السَّلامُ: إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ قالا: (مِن أدبارِ الرِّجالِ ومِن أدبارِ النِّساءِ).

ومِن أدِلَّةِ تَحريمِ إتيانِ دُبُرِ الزَّوجةِ قَولُه تعالى:(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)

وسَبَبُ نُزولِ هذه الآيةِ ما ثَبَتَ عن جابرِ بنِ عَبدِ اللهِ الأنصاريِّ رَضِيَ اللهُ عنه قال: كانت اليهودُ تَقولُ: إذا أتى الرَّجُلُ امرَأتَه مِن دُبُرِها في قُبُلِها كان الولدُ أحولَ، فنَزَلت: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ [البقرة: 223].

قال البَغويُّ: (وأنَّى: حَرفُ استِفهامٍ يكونُ سُؤالًا عن الحالِ والمَحَلِّ، مَعناه: كيف شِئتُم وحَيثُ شِئتُم بَعدَ أن يكونَ في صِمامٍ واحِدٍ، وقال عِكرِمةُ: أَنَّى شِئْتُمْ إنَّما هو الفَرجُ، ومِثلُه عن الحَسَنِ، وقيل: حَرْثٌ لَكُمْ أي: مُزدَرَعٌ لكم ومَنبَتٌ للوَلَدِ بمَنزِلةِ الأرضِ التي تُزرَعُ، وفيه دَليلٌ على تَحريمِ الأدبارِ؛ لأنَّ مَحَلَّ الحَرثِ والزَّرعِ هو القُبُلُ لا الدُّبُرُ).

قال القُرطُبيُّ: (أي: كيف شِئتُم مِن خَلفٍ ومِن قُدَّامٍ، وبارِكةً ومُستَلقيةً ومُضطَجِعةً، فأمَّا الإتيانُ في غَيرِ المَأتِيِّ فما كان مُباحًا ولا يُباحُ، وذِكرُ الحَرثِ يدُلُّ على أنَّ الإتيانَ في غَيرِ المَأتى مُحَرَّمٌ، وحَرْثٌ تَشبيهٌ؛ لأنَّهنَّ مُزدَرَعُ الذُّرِّيَّةِ، فلفظُ الحَرثِ يُعطي أنَّ الإباحةَ لم تَقَعْ إلَّا في الفَرجِ خاصَّةً؛ إذ هو المُزدَرَعُ... ففَرجُ المَرأةِ كالأرضِ، والنُّطفةُ كالبَذرِ، والولدُ كالنَّباتِ، فالحَرثُ بمَعنى المُحتَرَثِ... أنَّى شِئتُم معناه عِندَ الجُمهورِ مِنَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ وأئِمَّةِ الفتوى: مِن أيِّ وجهٍ شِئتُم مُقبِلةً ومُدبِرةً).

وقال ابنُ القَيِّمِ: (قد دَلَّتِ الآيةُ على تَحريمِ الوطءِ في دُبُرِها مِن وجهَينِ: أحَدُهما: أنَّه أباحَ إتيانَها في الحَرثِ، وهو مَوضِعُ الولَدِ، لا في الحُشِّ الذي هو مَوضِعُ الأذى، ومَوضِعُ الحَرثِ هو المُرادُ مِن قَولِه: فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ [البقرة: 222] الآية، قال: فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ، وإتيانُها في قُبُلِها مِن دُبُرِها مُستفادٌ من الآيةِ أيضًا؛ لأنَّه قال: أَنَّى شِئْتُمْ أي: مِن أينَ شِئتُم مِن أمامٍ أو مِن خَلفٍ؛ قال ابنُ عَبَّاسٍ: فَأْتُوا حَرْثَكُمْ يعني: الفَرجَ. وإذا كان اللهُ حَرَّم الوطءَ في الفَرجِ لأجلِ الأذى العارِضِ، فما الظَّنُّ بالحُشِّ الذي هو مَحَلُّ الأذى اللَّازِم مَعَ زيادةِ المَفسَدةِ بالتَّعَرُّضِ لانقِطاعِ النَّسلِ، والذَّريعةِ القَريبةِ جِدًّا مِن أدبارِ النِّساءِ إلى أدبارِ الصِّبيانِ).

وقال ابنُ كثيرٍ: (أي: كيف شِئتُم مُقبِلةً ومُدبِرةً في صِمامٍ واحِدٍ، كما ثَبَتت بذلك الأحاديثُ)

وقال ابن كثير: قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: يعني الفَرْج.

و قوله تعالى(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ){البقرة:223}

وقد ذكر العلماء أن قوله تعالى: (وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [البقرة:222] دال على حرمة إتيان المرأة في دبرها دلالة واضحة وظاهرة، وممن نصوا على ذلك ابن القيم -يرحمه الله- في زاد المعاد 261/4 حيث يقول: وقد دلت الآية على تحريم الوطء في دبرها (أي الزوجة) من وجهين:

أنه أباح إتيانها في الحرث، وهو موضع الولد لا في الحش الذي هو موضع الأذى، وموضع الحرث هو المراد من قوله: (مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ) [البقرة:222].

قال: (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) [البقرة:223] وإتيانها في قبلها من دبرها مستفاد من الآية أيضاً، لأنه قال: (أَنَّى شِئْتُمْ) أي: من أين شئتم من أمام أو من خلف. قال ابن عباس: فأتوا حرثكم، يعني: الفرج.

قال السعدي: وفيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث. انتهى.

وقال البيضاوي: ومجيء { أنّى } بمعنى أين وكيف ومتى مما أثبته الجم الغفير، وتلزمها على الأول "مَنْ" ظاهرة أو مقدرة، وهي شرطية حذف جوابها لدلالة الجملة السابقة عليه، واختار بعض المحققين كونها بمعنى مِن أين أي من أي جهة ليدخل فيه بيان النزول، والقول بأن الآية حينئذ تكون دليلاً على جواز الاتيان من الأدبار ناشىء من عدم التدبر في أن "مَنْ" لازمة إذ ذاك فيصير المعنى من أي مكان لا في أي مكان فيجوز أن يكون المستفاد حينئذ تعميم الجهات من القدام والخلف والفوق والتحت واليمين والشمال لا تعميم مواضع الاتيان، فلا دليل في الآية لمن جوز إتيان المرأة في دبرها. انتهى.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في "أضواء البيان: "

"**قوله تعالى**: (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) لم يبيّن هنا هذا المكان المأمور بالإتيان منه المعبر عنه بلفظة (حَيْثُ) ولكنه بين أن المراد به الإتيان في القبل في آيتين:

إحداهما : هي قوله هنا : (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ) ؛ لأن قوله : (فَأْتُوا) أمر بالإتيان بمعنى الجماع وقوله : (حَرْثَكُمْ) يبين أن الإتيان المأمور به إنما هو في محل الحرث يعني بذر الولد بالنطفة ، وذلك هو القبل دون الدبر كما لا يخفى ؛ لأن الدبر ليس محل بذر للأولاد ، كما هو ضروري.

الثانية : قوله تعالى : (فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ) ؛ لأن المراد بما كتب الله لكم ، الولد ، على قول الجمهور وهو اختيار ابن جرير ، وقد نقله عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحكم ، وعكرمة ، والحسن البصري ، والسدي ، والربيع ، والضحاك بن مزاحم ، ومعلوم أن ابتغاء الولد إنما هو بالجماع في القبل . فالقبل إذن هو المأمور بالمباشرة فيه ، بمعنى الجماع فيكون

معنى الآية : فالآن باشروهن ، ولتكن تلك المباشرة في محل ابتغاء الولد ، الذي هو القبل دون غيره ، بدليل قوله: (وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) يعني الولد.

ويتضح لك من هذا أن معنى قوله تعالى: (أَنَّى شِئْتُمْ) يعني أن يكون الإتيان في محل الحرث على أي حالة شاء الرجل ، سواء كانت المرأة مستلقية أو باركة أو على جنب ، أو غير ذلك ، ويؤيد هذا ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذي عن جابر رضي الله عنه قال : كانت اليهود تقول : إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول ، فنزلت : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ).

فظهر من هذا أن جابراً رضي الله عنه يرى أن معنى الآية ، فأتوهن في القبل على أية حالة شئتم ولو كان من ورائها.

والمقرر في علوم الحديث أن تفسير الصحابي الذي له تعلق بسبب النزول له حكم الرفع.

وقد قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) ما نصه : وما استدل به المخالف من أن قوله عز وجل : (أَنَّى شِئْتُمْ) شامل للمسالك بحكم عمومها ، فلا حجة فيها ؛ إذ هي مخصصة بما ذكرناه ، وبأحاديث صحيحة ، حِسانٍ شهيرة ، رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر صحابيا ، بمتون مختلفة ، كلها متواردة على تحريم إتيان النساء في الأدبار ، ذكرها أحمد بن حنبل في "مسنده" ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي ، وغيرهم.

وقد جمعها أبو الفرج الجوزي بطرقها في جزء سماه "تحريم المحل المكروه. "

ولشيخنا أبي العباس أيضا في ذلك جزء سماه "إظهار إدبار من أجاز الوطء في الأدبار. "

قلت : وهذا هو الحق المتبع ، والصحيح في المسألة.

ولا ينبغي لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج في هذه النازلة على زلة عالم بعد أن تصح عنه ، وقد حُذرنا من زلة العالم . وقد روي عن ابن عمر خلاف هذا ، وتكفير من فعله وهذا هو اللائق به رضي الله عنه ، وكذلك كذّب نافع من أخبر عنه بذلك ، كما ذكر النسائي.

وأنكر ذلك مالك واستعظمه ، وكذب من نسب ذلك إليه ، وروى الدارمي في "مسنده" ، عن سعيد بن يسار أبي الحباب . قال : قلت لابن عمر : ما تقول في الجواري حين أحمض لهن ؟ قال : وما التحميض؟ فذكرت له الدبر . فقال : هل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟ وأسند عن خزيمة بن ثابت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أيها الناس ، إن الله لا يستحي من الحق ، لا تأتوا النساء في أعجازهن) ، ومثله عن علي بن طلق ، وأسند عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : (من أتى امرأة في دبرها لم ينظر الله إليه يوم القيامة).

وروي أبو داود الطيالسي في مسنده عن قتادة ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تلك اللوطية الصغرى) ، يعني إتيان المرأة في دبرها.

وروي عن طاوس أنه قال : كان بدْءُ عمل قوم لوط إتيان النساء في أدبارهن ، قال ابن المنذر : "وإذا ثبت الشيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغنى به عما سواه" من القرطبي بلفظه.

وقال القرطبي أيضا ما نصه : " وقال مالك لابن وهب ، وعلي بن زياد ، لما أخبراه أن ناساً بمصر يتحدثون عنه أنه يجيز ذلك ، فنفر من ذلك وبادر إلى تكذيب الناقل ، فقال : كذبوا عليّ ، كذبوا عليّ ، كذبوا عليّ . ثم قال : ألستم قوما عرباً؟ ألم يقل الله تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ) ، وهل يكون الحرث إلا في موضع المنبت؟. "

ومما يؤيد أنه لا يجوز إتيان النساء في أدبارهن ، أن الله تعالى حرم الفرج في الحيض لأجل القذر العارض له ، مبينا أن ذلك القذر هو علة المنع بقوله : (قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) فمن باب أولى تحريم الدبر للقذر والنجاسة اللازمة...

ومما يؤيد منع الوطء في الدبر : إطباق العلماء على أن الرتقاء التي لا يوصل إلى وطئها معيبة ترد بذلك العيب.

قال ابن عبد البر : لم يختلف العلماء في ذلك ، إلا شيئاً جاء عن عمر بن عبد العزيز من وجه ليس بالقوي أن الرتقاء لا ترد بالرتق. والفقهاء كلهم على خلاف ذلك.

قال القرطبي : وفي إجماعهم هذا دليل على أن الدبر ليس بموضع وطء . ولو كان موضعاً للوطء ، ما ردت من لا يوصل إلى وطئها في الفرج . فإن قيل : قد يكون رد الرتقاء لعلة عدم النسل فلا ينافي أنها توطأ في الدبر ، فالجواب : أن العقم لا يرد به ، ولو كانت علة رد الرتقاء عدم النسل لكان العقم موجباً للرد.

وقد حكى القرطبي الإجماع على أن العقم لا يرد به ، في تفسير قوله تعالى : (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ) ،

وأما تشبيه هذا الفعل باللواط ، فهو صحيح، وإن كان اللواط أفظع منه.

قال ابن تيمية: والله سبحانه حرم إتيان الحائض مع أن النجاسة عارضة في فرجها، فكيف بالموضع الذي تكون فيه النجاسة المغلظة، وأيضا فهذا من جنس اللواط.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: وأيضا قد حرم الله الوطء في الفرج لأجل الأذى، فما الظن بالحش الذي هو موضع الأذى اللازم مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل الذي هو العلة الغائية في مشروعية النكاح والذريعة القريبة جدا الحاملة على الانتقال من ذلك إلى أدبار المرد. انتهى.

وقد وردت تسمية هذا الفعل باللوطية الصغرى، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هي اللوطية الصغرى. يعني وطء النساء في أدبارهن. أخرجه الطحاوي بإسناد صحيح والطيالسي والبيهقي.

وروي أن أول عمل قوم لوط كان بإتيان النساء في أدبارهن.

قال القرطبي: وروي عن طاوس أنه قال : كان بدء عمل قوم لوط إتيان النساء في أدبارهن.

و عند الطبري في تفسير قوله تعالى: وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ. الأعراف (82):عن ابن عباس في قوله:(إنهم أناس يتطهرون) ، قال: من أدبار الرجال ومن أدبار النساء .

فإذا تحققت من هذه الأدلة أن وطء المرأة في دبرها حرام . فاعلم أن من روي عنه جواز ذلك كابن عمر ، وأبي سعيد وجماعات من المتقدمين ، والمتأخرين ، يجب حمله على أن مرادهم بالإتيان في الدبر إتيانها في الفرج من جهة الدبر ، كما يبينه حديث جابر ، والجمع واجب إذا أمكن . قال ابن كثير في تفسير قوله : (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) ما نصه : قال أبو محمد ، عبد الرحمن بن عبد الله الدارمي في "مسنده": حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث عن الحارث بن يعقوب، عن سعيد بن يسار أبي الحباب، قال: قلت لابن عمر: ما تقول في الجواري أيحمض لهن ؟ قال: وما التحميض ؟ فذكر الدبر، فقال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين ؟ وكذا رواه ابن وهب، وقتيبة عن الليث.

وهذا إسناد صحيح ونص صريح منه بتحريم ذلك. فكل ما ورد عنه مما يحتمل فهو مردود إلى هذا المحكم" انتهى من "أضواء البيان."

وقد ثَبَتَ تَحريمُ إتيانِ دُبُرِ الزَّوجةِ في السُّنَّةِ النَّبَويَّةِ.

قال الطَّحاويُّ: (جاءَتِ الآثارُ مُتَواتِرةً بذلك).

وقال القُرطُبيُّ: (أحاديثُ صَحيحةٌ حِسانٌ وشَهيرةٌ رَواها عن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم اثنا عَشَرَ صَحابيًّا بمُتونٍ مُختَلفةٍ، كُلُّها مُتَوارِدةٌ على تَحريمِ إتيانِ النِّساءِ في الأدبارِ، ذكَرها أحمَدُ بنُ حَنبَلٍ في مُسنَدِه، وأبو داوُدَ، والنَّسائيُّ، والتِّرمِذيُّ، وغَيرُهم، وقد جَمَعَها أبو الفرَجِ بنُ الجَوزيِّ بطُرُقِها في جُزءٍ سَمَّاه «تَحريم المَحَلِّ المَكروه»، وهذا هو الحَقُّ المُتَّبَعُ والصَّحيحُ في المَسألةِ، ولا ينبَغي لمُؤمِنٍ باللهِ واليومِ الآخِرِ أن يُعَرِّجَ في هذه النَّازِلةِ على زَلَّةِ عالمٍ بَعدَ أن تَصِحَّ عنه، وقد حَذَّرْنا مِن زَلَّةِ العالمِ).

وقال الذَّهَبيُّ: (قد تَيقَّنَّا بطُرُقٍ لا مَحيدَ عنها نَهيَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن أدبارِ النِّساءِ، وجَزَمْنا بتَحريمِه، ولي في ذلك مُصَنَّفٌ كبيرٌ).

وقال الألبانيُّ: (جاءت أحاديثُ كثيرةٌ في تَحريمِ الدُّبُرِ، فيها الصَّحيحُ والحَسَنُ وما يُعتَضَدُ به).

ولو لم يَرِدْ حَديثٌ بحُرمَتِها فيكفي للقَولِ بذلك ما تَقدَّمَ ذِكرُه مِن أدِلَّةِ القُرآنِ الكريمِ، وهي أدِلَّةٌ كافيةٌ شافيةٌ، وقد قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وبَينَهما

أمورٌ مُشتَبِهاتٌ لا يَعلَمُهنَّ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ، فمَن اتَّقى الشُّبُهاتِ فقد استَبرَأ لدينِه وعِرضِه، ومَن وقَعَ في الشُّبُهاتِ وقعَ في الحَرامِ، كالرَّاعي يرعى حَولَ الحِمى يوشِكُ أن يرتَعَ فيه)).

الأحاديث الصحيحة التي جاءت في تحريم إتيان الزوجة في الدبر كثيرة ، فمن ذلك

-1ما روى مسلم عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتْ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ . . . إِلَى آخِرِ الآيَةِ) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلا النِّكَاحَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ فَقَالُوا : مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلا خَالَفَنَا فِيهِ).

فقوله : (اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلا النِّكَاحَ) دليل على تحريم الوطء في الدبر ، لأنه أباح كل استمتاع إلا النكاح أي الوطء ، وهو شامل للوطء في القبل والدبر.

-2عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم)صحيح رواه أبو داود

-3وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى رَجُلٍ أَتَى امْرَأَةً فِي الدُّبُرِ) رواه الترمذي وصححه ابن دقيق العيد في "الإلمام "

-4وعَنْ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - لَا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ) صحيح رواه ابن ماجة

فإنّ إتيان الزوجة في دبرها (في موضع خروج الغائط) كبيرة عظيمة من الكبائر سواء في وقت الحيض أو غيره ، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من فعل هذا فقال (ملعون من أتى امرأة في دبرها) رواه الإمام أحمد وأبو داود وهو في صحيح الجامع

إتيان الزوجة في دبرها كبيرة من كبائر الذنوب ، بل قرنه النبي صلى الله عليه وسلم بإتيان الكهّان ، وسمّاه كُفراً ، فقال عليه الصلاة والسلام (من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد) حديث صحيح رواه الترمذي وأبو داود وبن ماجة وهو في صحيح الجامع .

وصح عند الترمذى والنسائى وبن أبى شيبة عن بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا ينظرُ اللهُ عزَّ وجلَّ إلى رجُلٍ أتى رجُلًا أو امرأةً في دُبُرِهَا) فقد نَهَى الإسلامُ عن جَميعِ الأفعالِ الخبيثةِ المُستقذَرةِ، وحثَّ على ما هو نافعٌ مُستَحسَنٌ إلى النُّفوسِ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "لا يَنظُرُ اللهُ عزَّ وجلَّ إلى رجُلٍ"، أي: لا يَنظُرُ اللهُ إليه نَظرةَ رَحمةٍ، فيَرحَمَه، ثمَّ ذكَرَ الفِعْلَ الذي يُعاقَبُ صاحِبُه بهذا "أَتَى رجُلًا"، أي: وقَعَ عليه وجامَعَه، كفِعْلِ قَومِ لُوطٍ الذين كانوا يأْتون الذُّكرانَ، وهذا مِن أعظَمِ الفواحِشِ

وأخطَرِها على البشريَّةِ، ومِن مَضَارِّ اللِّواطِ: الجِنايةُ على الفِطرةِ البشريَّةِ السليمةِ، وأنَّه مَفسَدةٌ للشبابِ بالإسرافِ في الشَّهوةِ؛ لأنه يُنالُ بسُهولةٍ، وإذلالُ الرِّجالِ، وقِلَّةُ النسلِ بانتشارِ هذه الفاحشةِ، وإفسادُ الحياةِ الزوجيةِ، وتَفكُّكُ العائلاتِ والأُسَرِ، وغَرسُ العداوةِ والبغضاءِ، "أو امرأةً في دُبُرِها"، أي: لا يَنظُرُ إلى رجُلٍ واقَعَ وجامَعَ امرأةً في دُبُرِها، أي: مِن خَلْفِها بدلًا مِن القُبُلِ؛ فهو ليس مكانًا للوَلَدِ، بلْ هو مكانٌ مُستقذَرٌ طبْعًا، وهو فِعْلٌ فاحِشٌ، وفيه قَطْعُ النَّسْلِ، ومُخالفةُ الطَّبيعةِ البَشَريةِ.

وفي الحديثِ: التَّحذيرُ والترهيبُ الشَّديدُ مِن اللِّواطِ وإتيانِ المرأةِ في دُبُرِها.

والأحاديث في ذلك كثيرة ، حتى قال الطحاوي رحمه الله في "شرح معاني الآثار"جاءت الآثار متواترة بذلك. " ولذلك كانت كلمة العلماء على الأخذ بهذه الأحاديث.

قال الماوردي رحمه الله تعالى في "الحاوي : (9/319) "لأنه إجماع الصحابة : روي ذلك عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وابن مسعود وأبي الدرداء " انتهى.

وجاء في "المغني : (7/32) "ولا يحل وطء الزوجة في الدبر في قول أكثر أهل العلم : منهم علي وعبد الله وأبو الدرداء وابن عباس وعبد الله بن عمرو وأبو هريرة ، وبه قال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة والشافعي وأصحاب الرأي وابن المنذر ورغم أن عددا من الزوجات من صاحبات الفطر السليمة يأبين ذلك إلا أن بعض الأزواج يهدد بالطلاق إن لم تطعه ، وبعضهم قد يخدع زوجته التي تستحي من سؤال أهل العلم فيوهمها بأن هذا العمل حلال ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يجوز للزوج أن يأتي زوجته كيف شاء من الأمام والخلف ما دام في موضع الولد ولا يخفى أن الدبر ومكان الغائط ليس موضعا للولد.

والوطء المحرم هو تغييب حشفة الذكر (رأس الذكر) في الدبر بحائل أو بغير حائل ، ولو لم ينزل ، فإن الحكم معلق بالإدخال والتغييب ، وليس بالإنزال أو المباشرة.

وقد نص الفقهاء وأهل العلم سلفاً وخلفاً رحمهم الله على حرمة إتيان الحائض ولو كان بحائل،فما بالك بالإتيان في الدبر فهو أشد حرمة وأفحش فعلاً ، ولا أعلم خلافاً بين أهل العلم في هذا الحكم ، فإن نصوصهم في تحريم إتيان الدبر مطلقةٌ ، شاملةٌ ما إذا كان بحائلٍ أو بغير حائلٍ ،كما قد يسول الشيطان للبعض إرضاءً لشهوته وشذوذه أنه جائز بحائل ،فلا يجوز حتى الإقتراب من هذا الحش الذى هو موضع القذر والنجاسة والوساخة ولا يحوم حوله حتى لا يقع فيما حرم الله ويعرض نفسه لعقوبة الله ولعنه ومقته وسخطه عليه

فلا يجوز إتيان الدبر مطلقا ، سواء كان بحائل أم بغير حائل ، ومن فعله فعليه التوبة والاستغفار ، والعزم على عدم العود لمثل ذلك ، ولا يجوز للزوجة أن تستجيب لزوجها إن طلب منها ذلك ، فإن أصر عليه فلها حق طلب الطلاق عند القاضي ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

اتفاق الأئمة الأعلام وشيوخ الإسلام على حرمة الإتيان في الدبر

وقد تَواتَرَ عن عُلماءِ الإسلامِ ومَشاهيرِ فُقَهاءِ الأمصارِ القَولُ بتَحريمِ إتيانِ المَرأةِ في دُبُرِها:

قال الشَّافِعيُّ: (قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ [البقرة: 223] ، وبَيَّنَ أنَّ مَوضِعَ الحَرثِ مَوضِعُ الوَلَدِ، وأنَّ اللهَ تعالى أباحَ الإتيانَ فيه إلَّا في وقتِ الحَيضِ، و أَنَّى شِئْتُمْ مِن أينَ شِئتُم. وإباحةُ الإتيانِ في مَوضِعِ الحَرثِ يُشبِهُ أن يكونَ تَحريمَ إتيانٍ في غَيرِه، فالإتيانُ في الدُّبُرِ حتَّى يبلُغَ منه مَبلَغَ الإتيانِ في القُبُلِ مُحَرَّمٌ بدَلالةِ الكِتابِ ثُمَّ السُّنَّةِ).

وقال ابنُ حَزمٍ الظاهرى (لا يحِلُّ الوطءُ في الدُّبُرِ أصلًا، لا في امرَأةٍ ولا في غَيرِها).

وقال الكاسانيُّ الحنفى (لا يحِلُّ إتيانُ الزَّوجةِ في دُبُرِها؛ لأنَّ اللهَ تعالى عَزَّ شَأنُه نهى عن قِربانِ الحائِضِ، ونَبَّهَ على المَعنى، وهو كونُ المَحيضِ أذًى، والأذى في ذلك المَحَلِّ أفحَشُ وأذَمُّ، فكان أَولى بالتَّحريمِ).

وقال ابنُ قُدامةَ المَقدِسيُّ الحنبلى (لا يجوزُ وطؤُها في الحَيضِ ولا في الدُّبُرِ... ويجوزُ الاستِمتاعُ بها فيما بَيْنَ الأليتَينِ، ووطؤُها في الفرَجِ مُقبِلةً ومُدبِرةً، وكيف شاءَ؛ لقَولِه تعالى: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ [البقرة: 223]).

وقال القَرافيُّ المالِكيُّ: (عَقدُ النِّكاحِ يُبيحُ كُلَّ استِمتاعٍ إلَّا الوطءَ في الدُّبُرِ، وقاله الأئِمَّةُ، ونِسبتُه إلى مالِكٍ كَذِبٌ، قال ابنُ وهبٍ: قُلتُ لمالكٍ: إنَّهم حَكَوا عنك حِلَّه! فقال: مَعاذَ اللهِ! أليس أنتم قَومًا عَرَبًا؟! قُلتُ: بَلى. قال: قال اللهُ تعالى: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ [البقرة: 223] ، وهَل يكونُ الحَرثُ إلَّا في مَوضِعِ الزَّرعِ أو مَوضِعِ النَّبتِ؟!).

وقال ابنُ تَيميَّةَ: (وَطءُ المَرأةِ في دُبُرِها حَرامٌ بالكِتابِ والسُّنَّةِ، وقَولُ جَماهيرِ السَّلَفِ والخَلَفِ، بل هو اللُّوطيَّةُ الصُّغرى،... قال تعالى: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ [البقرة: 223] ، والحَرثُ هو مَوضِعُ الوَلَدِ؛ فإنَّ الحَرثَ هو مَحَلُّ الغَرسِ والزَّرعِ، وكانت اليهودُ تَقولُ: إذا أتى الرَّجُلُ امرَأتَه في قُبُلِها مِن دُبُرِها جاءَ الوَلَدُ أحوَلَ؛ فأنزَل اللهُ هذه الآيةَ، وأباحَ للرَّجُلِ أن يأتيَ امرَأتَه مِن جَميعِ جِهاتِها لكِنْ في الفَرجِ خاصَّةً، ومتى وطِئَها في الدُّبُرِ وطاوعَته عُزِّرا جَميعًا، فإنْ لم ينتَهِيا فُرِّقَ بَينَهما كما يُفرَّقُ بَيْنَ الفاجِرِ ومَن يَفجُرُ به) . وقد عَدَّ العُلماءُ إتيانَ المَرأةِ في دُبُرِها مِن كبائِرِ الذُّنوبِ)

فإتيان المرأة في دبرها كبيرة من كبائر الذنوب وهي من المسائل التي لا يسوغ الخلاف فيها، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عما يجب على من وطئ زوجته في دبرها؟ وهل أباحه أحد من العلماء؟ فأجاب:الحمد الله رب العالمين "الوطء في الدبر" حرام في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك عامة أئمة المسلمين، من الصحابة والتابعين وغيرهم، فإن الله تعالى قال في كتابه:نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُم [البقرة:223].

وقد ثبت في الصحيح، أن اليهود كانوا يقولون إذا أتى الرجل امرأته في قبلها من دبرها جاء الولد أحول، فسأل المسلمون عن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُم [البقرة:223].

و"الحرث" موضع الزرع، والولد إنما يزرع في الفرج لا في الدبر، "فأتوا حرثكم" وهو موضع الولد "أنى شئتم" أي من أين شئتم، من قبلها ومن دبرها وعن يمينها وعن شمالها، فالله تعالى سمى النساء حرثاً، وإنما رخص في إتيان الحروث، والحرث إنما يكون في الفرج، وقد جاء في غير أثر: أن الوطء في الدبر هو اللوطية الصغرى، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله لا يستحيي من الحق.. لا تأتوا النساء في حشوشهن. و"الحش" هو الدبر وهو موضع القذر، والله سبحانه حرم إتيان الحائض مع أن النجاسة عارضة في فرجها، فكيف بالموضع الذي تكون فيه النجاسة المغلظة؟! و"أيضاً" فهذا من جنس اللواط، ومذهب أبي حنيفة وأصحاب الشافعي وأحمد وأصحابه أن ذلك حرام لا نزاع بينهم، وهذا هو الظاهر من مذهب مالك وأصحابه، ولكن حكى بعض الناس عنهم رواية أخرى بخلاف ذلك، ومنهم من أنكر هذه الرواية وطعن فيها، وأصل ذلك ما نقل عن نافع أنه نقله عن ابن عمر، وقد كان سالم بن عبد الله يكذب نافعاً في ذلك.

فإما أن يكون نافع غلط أو غلط من هو فوقه، فإذا غلط بعض الناس غلطة لم يكن هذا مما يسوغ خلاف الكتاب والسنة.. كما أن طائفة غلطوا في إباحة الدرهم بالدرهمين، واتفق الأئمة على تحريم ذلك لما جاء في ذلك من الأحاديث الصحيحة، وكذلك طائفة غلطوا في أنواع من الأشربة، ولما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كل مسكر خمر، وكل خمر حرام.

وأنه سئل عن أنواع من الأنبذة؟ فقال: كل مسكر حرام. ما أسكر كثيره فقليله حرام. وجب اتباع هذه السنن الثابتة. ولهذا نظائر في الشريعة.

ومن وطئ امرأته في دبرها وجب أن يعاقبا على ذلك عقوبة تزجرهما، فإن علم أنهما لا ينزجران فإنه يجب التفريق بينهما. انتهى

ليس هناك مذهب معتبر يبيح هذا العمل القبيح المنكر ، وما نقل عن بعض السلف في ذلك إما أنه كذب أو غلط من ناقله.

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره (93/3) : " وممن نسب إليه هذا القول : سعيد بن المسيب ونافع وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وعبدالملك بن الماجشون ، وحكي ذلك عن مالك في كتاب له يسمى "كتاب السر". وحذاق أصحاب مالك ومشايخهم ينكرون ذلك الكتاب ، ومالك أجل من أن يكون له "كتاب سر". ووقع هذا القول في العتبية. وذكر ابن العربي أن ابن شعبان أسند جواز هذا القول إلى زمرة كبيرة من الصحابة والتابعين ، وإلى مالك من روايات كثيرة في كتاب "جماع النسوان وأحكام القرآن"... وما نسب إلى مالك وأصحابه من هذا باطل وهم مبرؤون من ذلك ... وقد روي عن ابن عمر خلاف هذا ، وتكفير من فعله ، وهذا هو اللائق به

رضي الله عنه. وكذلك كَذَّب نافع من أخبر عنه بذلك ، كما ذكر النسائي . وأنكر ذلك مالك واستعظمه ، وكذب من نسب ذلك إليه " انتهى مختصراً.

وقال ابن القيم رحمه الله : "وأما الدُّبرُ: فلم يُبَحْ قَطُّ على لسان نبيٍّ من الأنبياء ، ومَن نسب إلى بعض السَّلَف إباحة وطء الزوجة فى دُبُرها ، فقد غلط عليه" انتهى من "زاد المعاد. (4/257) "

وقال أيضاً "ومن هاهنا نشأ الغلط على من نُقل عنه الإباحة من السلف والأئمة ، فإنهم أباحوا أن يكون الدُّبر طريقاً إلى الوطء في الفرج ، فيطأ من الدبر لا في الدبر، فاشتبه على السامع "مِنْ" بـ "في" ولم يظن بينهما فرقاً ، فهذا الذي أباحه السلف والأئمة ، فغلط عليهم الغالط أقبح الغلط وأفحشه" انتهى.

وقال شيخ الإسلام الوطء في الدبر حرام في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى ذلك عامة أئمة المسلمين ، من الصحابة ، والتابعين ، وغيرهم

وقال أيضا : "وطء المرأة في دبرها حرام في قول جماهير العلماء ، ومتى وطئها في الدبر وطاوعته عُزرا فإن لم ينتهيا فرّق بينهما "

الحكمة من تحريم الشريعة لجريمة وطء وجماع المرأة في الدبر

وإذا كان الله حرم الوطء في الفرج لأجل الأذى العارض ، فما الظن بالحُشّ الذي هو محل الأذى اللازم مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل والذريعة القريبة جداً من أدبار النساء إلى أدبار الصبيان.

وأيضاً : فللمرأة حق على الزوج في الوطء ، ووطؤها في دبرها يفوّت حقها ، ولا يقضي وطرها ، ولا يُحصّل مقصودها.

وأيضا : فإن الدبر لم يتهيأ لهذا العمل ، ولم يخلق له ، وإنما الذي هيئ له الفرج ، فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعاً.

وأيضاً : فإن ذلك مضر بالرجل ، ولهذا ينهى عنه عُقلاء الأطباء ، لأن للفرج خاصية في اجتذاب الماء المحتقن وراحة الرجل منه ، والوطء في الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء ، ولا يخرج كل المحتقن لمخالفته للأمر الطبيعي.

وأيضاً : يضر من وجه آخر ، وهو إحواجه إلى حركات متعبة جداً لمخالفته للطبيعة.

وأيضاً : فإنه محل القذر والنجاسة ، فيستقبله الرجل بوجهه ، ويلابسه.

وأيضاً : فإنه يضر بالمرأة جداً ، لأنه وارد غريب بعيد عن الطباع ، منافر لها غاية المنافرة.

وأيضاً : فإنه يُفسد حال الفاعل والمفعول فساداً لا يكاد يُرجى بعده صلاح ، إلا أن يشاء الله بالتوبة.

وأيضاً : فإنه من أكبر أسباب زوال النعم ، وحلول النقم ، فإنه يوجب اللعنة والمقت من الله ، وإعراضه عن فاعله ، وعدم نظره إليه ، فأي خير يرجوه بعد هذا ، وأي شر يأمنه ، وكيف تكون حياة عبد قد حلت عليه لعنة الله ومقته ، وأعرض عنه بوجهه ، ولم ينظر إليه.

وأيضاً : فإنه يذهب بالحياء جملة ، والحياء هو حياة القلوب ، فإذا فقدها القلب ، استحسن القبيح ، واستقبح الحسن ، وحينئذ فقد استحكم فساده.

وأيضاً : فإنه يحيل الطباع عما ركبها الله ، ويخرج الإنسان عن طبعه إلى طبع لم يركّب الله عليه شيئاً من الحيوان ، بل هو طبع منكوس ، وإذا نُكس الطبع انتكس القلب ، والعمل ، والهدى ، فيستطيب حينئذ الخبيث من الأعمال والهيئات..

وأيضاً : فإنه يورث من الوقاحة والجرأة ما لا يورثه سواه.

فصلاة الله وسلامه على من سعادة الدنيا والآخرة في هديه واتباع ما جاء به ، وهلاك الدنيا والآخرة في مخالفة هديه وما جاء به

شبهة والجواب عنها

يتوهم بعض الناس جواز إتيان المرأة في دبرها ، ويفهمون من قول الله تعالى : (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) البقرة/223 ، أن الله سبحانه أباح في هذه الآية كل شيء ، حتى الوطء في الدبر ، وقد يتأكد هذا الوهم عندهم إذا قرؤوا الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه -- والذي فيه : عن جابر رضي الله عنه قال : كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ : إِذَا جَامَعَهَا مِن وَرَائِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَل فنزلت (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ).

وهذا فهم خاطئ للآية ، فإن قوله تعالى : (فأتوا حرثكم أنى شئتم) يعني إباحة أحوال وأوضاع الجماع المختلفة ، إذا كانت في موضع الحرث : وهو الفرج ، وليس الدبر ، فيجوز أن يأتي الرجل زوجته من الخلف أو الأمام أو على جنب إذا كان ذلك في موضع الحرث ، وليس الدبر.

ودليل ذلك أن رواية مسلم برقم لحديث جابر السابق في سبب نزول الآية فيها : (إِنْ شَاءَ مُجَبِّيَةً ، وَإِنْ شَاءَ غَيْرَ مُجَبِّيَةٍ ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي صِمَامٍ وَاحِدٍ).

(مُجَبِّيَةً) : أي : منكبة على وجهها ، كهيئة السجود.

(في صمام واحد) : هو القبل.

وفي رواية أبي داود للحديث نفسه برقم عن محمد بن المنكدر قَالَ : سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ : إِنَّ الْيَهُودَ يَقُولُونَ إِذَا جَامَعَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ فِي فَرْجِهَا مِنْ وَرَائِهَا كَانَ وَلَدُهُ أَحْوَلَ ،فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ).

وفي سنن الترمذي وحسنه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : جَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَلَكْتُ . قَالَ : وَمَا أَهْلَكَكَ ؟! قَالَ : حَوَّلْتُ رَحْلِي اللَّيْلَةَ .

قَالَ : فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا ، قَالَ : فَأُنْزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ ، وَاتَّقِ الدُّبُرَ وَالْحَيْضَةَ . حسنه الألباني في صحيح الترمذي.

فهذه الأحاديث والروايات توضح المقصود من الآية ، فلا يجوز لمسلم أن يتجاوز ذلك إلى فهمه الذي لا يدل عليه الأثر ولا اللغة.

قال ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد :"وقد دلت الآية على تحريم الوطء في دبرها من وجهين **: أحدهما** أنه أباح إتيانها في الحرث ، وهو موضع الولد، لا في الحُش الذي هو موضع الأذى ، وموضع الحرث هو المراد من قوله : (من حيث أمركم الله)

الوجه الثاني : أنه قال : (أنى شئتم) أي : من أين شئتم : من أمام أو من خلف . قال ابن عباس : (فأتوا حرثكم) يعني : الفرج " انتهى بتصرف.

ثالثاً: أيضا ما رواه البخاري عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما : (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) قال : يأتيها في. . . قال ابن حجر في "فتح الباري هكذا وقع في جميع النسخ ، لم يذكر ما بعد الظرف وهو المجرور " انتهى.

ثم ذكر ما جاء من بعض الروايات خارج صحيح البخاري أن ابن عمر قال : يأتيها في دبرها.

وقد أجاب عن ذلك أهل العلم بجوابين:

الأول:

أنه حصل خطأ من بعض الرواة عن ابن عمر ، وأنهم فهموا منه جواز إتيان الدبر ، وهو إنما كان يحكي جواز إتيان المرأة في قبلها من خلفها ، بدليل ما جاء من طرق صحيحة عنه أنه كان يرى حرمة إتيان الزوجة في دبرها ، فقد روى النسائي في "السنن الكبرى" بسند صحيح أن ابن عمر سئل عنه فقال : أو يفعل ذلك مسلم ؟!

قال ابن القيم رحمه الله في "تهذيب السنن : (6/142) "فقد صح عن ابن عمر أنه فسر الآية بالإتيان في الفرج من ناحية الدبر ،وهو الذي رواه عنه نافع ، وأخطأ من أخطأ على نافع فتوهم أن الدبر محل للوطء لا طريق إلى وطء الفرج ، فوقع الاشتباه في كون الدبر طريقا إلى موضع الوطء أو هو مأتى ، واشتبه على من اشتبه عليه معنى (من) بمعنى (في) فوقع الوهم " انتهى.

الجواب الثاني:

أنه اجتهاد من ابن عمر رضي الله عنهما في فهم الآية ، وقد دلت السنة ، وأقوال سائر الصحابة ، أنه اجتهاد مجانب للصواب ، وقد روى أبو داود عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ ابْنَ عُمَرَ - وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ - أَوْهَمَ ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ - وَهُمْ أَهْلُ وَثَنٍ - مَعَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ يَهُودَ - وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ - ، وَكَانُوا يَرَوْنَ لَهُمْ فَضْلًا عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ ، فَكَانُوا يَقْتَدُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ فِعْلِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ

أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَأْتُوا النِّسَاءَ إِلَّا عَلَى حَرْفٍ ، وَذَلِكَ أَسْتَرُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ ، فَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ قَدْ أَخَذُوا بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ ، وَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ يَشْرَحُونَ النِّسَاءَ شَرْحًا مُنْكَرًا ، وَيَتَلَذَّذُونَ مِنْهُنَّ مُقْبِلَاتٍ وَمُدْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ ،فَذَهَبَ يَصْنَعُ بِهَا ذَلِكَ فَأَنْكَرَتْهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : إِنَّمَا كُنَّا نُؤْتَى عَلَى حَرْفٍ ، فَاصْنَعْ ذَلِكَ وَإِلَّا فَاجْتَنِبْنِي . حَتَّى شَرِيَ أَمْرُهُمَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) أَيْ : مُقْبِلَاتٍ وَمُدْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ ، يَعْنِي بِذَلِكَ مَوْضِعَ الْوَلَدِ.

وهذا **قد** يؤيد أن ابن عمر كان يقول بجواز الإتيان في الدبر ، فلعله رجع إلى الصواب ، بعد أن بَيَّن له ابن عباس أو غيره سبب نزول الآية ومعناها الصحيح ، ولذلك ثبت عنه – كما تقدم – أنه كان يقول بتحريمه ، ويقول : أو يفعل ذلك مسلم!!

والحاصل أن شريعتنا جاءت بتحريم هذا الفعل ، وليس فيها شيء يدل على جوازه ، ومن ظن في شيء من الكتاب أو السنة ما يدل عليه فقد أخطأ وأوهم .

والواجب على من فعل ذلك البدار بالتوبة النصوح، وهي الإقلاع عن الذنب، وتركه تعظيما لله، وحذرا من عقابه، والندم على ما قد وقع فيه من ذلك، والعزيمة الصادقة على ألا يعود إلى ذلك، مع الاجتهاد في الأعمال الصالحة، ومن تاب توبة صادقة تاب الله عليه وغفر ذنبه.

كما قال تعالى(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)

وقال عز وجل(وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝ إلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)

. وأيضاً فالأطباء يحذرون منه طبياً لمخاطره وضرره الشديد

هناك العديد من المشاكل الصحية الأخرى التي قد تصاحب إتيان المرأة من الدبر، ومنها الآتي:

الإصابة ببعض أنواع العدوى البكتيرية، وذلك نتيجة حدوث تمزقات في أنسجة الشرج والمستقيم، وتكون هذه العدوى ناجمة عن نفس البكتيريا المتواجدة في الشرج بشكل طبيعي.

ارتفاع خطر الإصابة بالبواسير والشق الشرجي.

حدوث ثقب في المستقيم في بعض الحالات النادرة.

النزيف الشرجي.

سلس البراز والريح نتيجة ضعف عضلة المصرة الشرجية.

زيادة فرصة انتقال الأمراض المنقولة جنسياً كانتقال فيروس الورم الحليمي البشري

والايدز مرض نقص المناعة هذا المرض الخبيث ناتج عن الممارسات الجنسية الخاطئة

وفيروس التهاب الكبد ج

الاصابة بالتهابات القناة البولية التناسلية

السرطان الشرجى

- التهاب فتحة الشرج

وينصح الأطباء بتجنب هذا النوع من الممارسات الجنسية بسبب ارتباطه بعدد من المخاطر الصحية والتي قد تتطلب العلاج لفترات طويلة من الزمن أو قد تترك آثارًا سلبية طويلة الأمد حتى في حال التوقف عن ممارسة الجنس الشرجي. -.

وقد أثبَتَ الطِّبُّ الحَديثُ انتِقالَ عَدَدٍ كبيرٍ مِنَ الأمراضِ الجِنسيَّةِ الخَطيرةِ، عن طَريقِ الوَطءِ في الدُّبُرِ، وقد فصلت ذلك قديما في كتاب (إعلام الرجال الأطهار بحرمة إتيان الأدبار) لما ابتلى بعض الطلبة بذلك ،نسأل الله العافية والستر وحسن الخاتمة

.فيكفى العاقل ماتقدم من دلائل وبراهين على حرمة هذا الفعل اللعين المشين ،وأن يرتفع المسلم عن حياة الكفار والشياطين فقد كرمه الله وأكرمه بهذا الدين العظيم فليطهر نفسه ويستغفر ويتوب إلى ربه فالله هو الغفور الرحيم الذى يفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه ولا ييأس من رحمة الله ،ويقطعه الشيطان عن التوبة ،فمهما بلغت ذنوبك فإن الله يغفرها لمن تاب.

وبعد هذا الاستطراد الذى كان لابد منه نرجع إلى الفقرة التالية من السنة للبربهارى .نعم

٧٢ - واعرف لبني هاشم فضلهم لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه و سلم واعرف فضل قريش والعرب وجميع الأفخاذ فاعرف قدرهم وحقوقهم في الإسلام

فيه تفاضل الناس ، وفيه فضل بنى هاشم لفضل رسول الله ومنزلته ، وفيه العبرة بالتقوى وهى الأصل كما قال تعالى((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) " قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد ، فإن في غير العرب خلقا كثيرا خيرا من أكثر العرب ، وفي غير قريش من المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش ، وفي غير بني هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بني هاشم) فتفضيل العروبة هو تفضيل جنس وليس تفضيل أفراد ، فالعجمي المتقي الصالح خير من العربي المقصر في

حق الله تعالى ، وتفضيل العروبة إنما هو اختيار من الله تعالى ، قد تظهر حكمته جلية ، وقد لا تكون ظاهرة لنا ، إلا أن في العرب من الصفات والخلال ما يشير إلى وجه هذا التفضيل .وفيه عظم الحقوق وترتيبها وأولى الحقوق حق الله وحق رسوله وآل بيته من المسلمين فلا عبرة بالمشركين

يقول شيخ الإسلام رحمه الله (" الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم : عبرانيهم ، وسريانيهم ، رومهم ، وفرسهم ، وغيرهم .

وأن قريشا أفضل العرب ، وأن بني هاشم أفضل قريش ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل بني هاشم ، فهو أفضل الخلق نفسا ، وأفضلهم نسبا .

وليس فضل العرب ، ثم قريش ، ثم بني هاشم ، بمجرد كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم - وإن كان هذا من الفضل - بل هم في أنفسهم أفضل ، وبذلك ثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أفضل نفسا ونسبا)وفيه اثبات حق المسلم على أخيه المسلم ،عربياً كان أو أعجمياً ،فالإسلام يجمع الأمة ولا يتفاضل الناس إلا بالتقوى كما سبق

٧٣ - ومولى القوم منهم واعرف فضل الأنصار ووصية رسول الله صلى الله عليه و سلم فيهم وآل الرسول فلا تسبهم واعرف فضلهم وجيرانه من أهل المدينة فاعرف فضلهم

المولى يطلق ويراد به الرقيق والعبد ،أو يراد بالمولى الحلف والأحلاف التي تكون بين القبائل ،وفيه فضل الأنصار وهم الذين أووا ونصروا رسول الله صلى الله عليهم وسلم ،وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (استوصوا بالأنصار خيرا)وقد تقدم ثناء الله على الصحابة من المهاجرين والأنصار وأنهم أفضل الأمة على الاطلاق بعد نبيها صلى الله عليه وسلم وهم تلامذته وحملة شريعته وهم أفضل هذه الأمة ، بل أفضل البشر عموماً بعد الأنبياء والرسل.

امتلأت قلوبهم بمحبة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه ، والإيمان به ، وأحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من أنفسهم ، كانوا صادقين في ذلك أعلى درجات الصدق ، فبذلوا أنفسهم وأموالهم وكل ما يملكون من أجل نصرة هذا الدين والدفاع عنه ونشره وهداية الخلق به, لم يوجد ولن يوجد في البشر من هم أكمل منهم إيمانا ولا أحسن عبادة وأخلاقا.

استحقوا أن يثني الله عليهم في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، وأن يثني عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة.

حتى جعل الرسول صلى الله عليه وسلم محبتهم من الإيمان ، وجعل بغضهم من النفاق ، لأن من نظر في سيرتهم وإيمانهم وأخلاقهم وتفانيهم في نصرة هذا الدين فلا بد أن يحبهم إن كان مؤمنا محبا لهذا الدين ، فإن أبغضهم كان منافقا كارها لهذا الدين ولنشره والتمسك به.

أما المهاجرون فهم الذي أسلموا قبل فتح مكة وهاجروا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة واستوطنوها ، وتركوا بلادهم وأموالهم وأهليهم ، رغبة فيما عند الله ، وابتغاء مرضاته ، ونصرة لهذا الدين.

وأما الأنصار فهم أهل المدينة النبوية الذي استقبلوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرين ، وآووهم في المدينة وقاسموهم أموالهم ولم يبخلوا عليهم بشيء ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

من الآيات التي أثنى الله فيها على المهاجرين : قول تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) الحشر/8.

وهذه شهادة من الله عز وجل لهم بطهارة قلوبهم ، وأنهم ما خرجوا من ديارهم وأموالهم من أجل دنيا يصيبونها ، وإنما خرجوا طلبا فيما عند الله ، ونصرة لدينه ، وكانوا صادقين في إيمانهم وأعمالهم وأقوالهم.

ثم أثنى الله تعالى على الأنصار فقال : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الحشر

أي : الذين سكونا المدينة النبوية قبل المهاجرين ، وآمنوا قبل كثير من المهاجرين ، فهؤلاء الأنصار أحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرين محبة صادقة : (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) ولم يحسدوا المهاجرين على ما أعطاهم الله عز وجل من الفضل والشرف ، [لأن المهاجرين أفضل من الأنصار ، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ) رواه البخاري)

وهؤلاء الأنصار كانوا كرماء مع المهاجرين ، أعطوهم أموالهم رغم حاجتهم إليها (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) ثم شهد الله تعالى لهم بالفلاح جزاء لهم على هذه الأعمال الجليلة.

وقال الله تعالى : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التوبة/ 100.

فأخبرنا الله تعالى أنه رضي عن المهاجرين والأنصار ، وأخبرنا أنهم من أهل الجنة ، وأن الجنة قد أعدت لهم.

وأما أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيكفي منها قوله صلى الله عليه وسلم : (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) رواه البخاري ، ومسلم

وعدد الصحابة رضي الله عنهم تجاوز المائة ألف ، عرفنا منهم عدة آلاف ، واشتهر منهم عدة مئات.

أفضلهم : أبو بكر الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب ، ثم الزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد

رضي الله عنهم أجمعين ، وهؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة ، وكلهم من المهاجرين

أما الأنصار فمن أفضلهم : سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وأبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأسيد بن حضير ، والبراء بن معرور ، وأسعد بن زرارة ، وأنس بن النضر ، وأنس بن مالك ، وحسان بن ثابت ، وعبد الله بن عمرو بن حرام وابنه جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهم أجمعين .
وأما آل النبى فيدخل فيهم بالعموم كل من أمن به والخصوص هم بنو هاشم وبنو المطلب وزوجاته صلى الله عليه وسلم.
فأما بنو هاشم وبنو عبد المطلب لقول النبي صلى الله عليه وسلم، الذي رواه البخاري(إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد.)
وأما زوجاته فللآية 33 سورة الأحزاب(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)الأحزاب:33، وهذا نص في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً .

٧٤ – واعلم أن أهل العلم لم يزالوا يردون قول الجهمية حتى كان في خلافة بني العباس تكلمت الرويبضة في أمر العامة وطعنوا على آثار رسول الله صلى الله عليه و سلم وأخذوا بالقياس والرأي وكفروا من خالفهم فدخل في قولهم الجاهل والمغفل والذي لا علم له حتى كفروا من حيث لا يعلمون فهلكت الأمة من وجوه وكفرت من وجوه وتزندقت من وجوه وضلت من وجوه وابتدعت من وجوه إلا من ثبت على قول رسول الله صلى الله عليه و سلم وأمره ونهيه وأصحابه ولم يتخطى أحدا منهم ولم يجاوز أمرهم ووسعه ما وسعهم ولم يرغب عن طريقتهم ومذهبهم وعلم أنهم كانوا على الإسلام الصحيح والإيمان الصحيح فقلدهم دينه واستراح

فيه وجوب الرد على اهل البدع وبيان الحق ورد بدعتهم بعلم نصحا للخلق وفيه ذكر الجهمية باسمهم لخطورة بدعتهم وشناعة قولهم في الدين وأسماء وصفات رب العالمين ،فقد أنكروا الصفات وجحدوها بالقياس الفاسد والرأى الناقص ،ومعلوم أن الجهمية تنسب إلى الجهم بن صفوان

المقتول سنة 128 بسبب ضلاله وكفرة يقول الذهبي رحمه الله :الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمت أنه روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً.

إذاً :هو ليس من أهل الرواية، وليس من المشتغلين بالعلم الشرعي، وليس من طلاب العلم الذين يبحثون عنه ثم حصل عنده زيغ، فالقضية أن هذا الرجل كان عامياً من العوام، دخل مع مجموعة من الفلاسفة والضالين وتأثر بهم، فصارت هذه المقالة التي ظهرت عنده والجهم بن صفوان قبحه الله اشتهر بأربع عقائد

العقيدة الأولى: عقيدة نفي الأسماء والصفات، وورثها عنه المعطلة من المعتزلة وغيرهم بعد الجهمية.

العقيدة الثانية :عقيدة الإرجاء، وهو القول بأن الإيمان هو مجرد معرفة الرب بالقلب فقط، والكفر هو مجرد جهل الرب بالقلب، وأما الأعمال فليست من الإيمان، بل تكفي هذه المعرفة، فإذا عرف الإنسان ربه بقلبه فهو مؤمن، وإذا جهل ربه بقلبه فهو كافر، وورثها عنه المرجئة، ويلزم على هذه العقيدة أن يكون إبليس مؤمناً؛ لأنه عرف ربه، قال الله تعالى عنه} :قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ] الحجر:٣٦

ويلزم على ذلك أيضاً أن يكون فرعون مؤمناً؛ لأن فرعون عرف ربه بقلبه، قال الله تعالى عنه وعن ملئه(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا] {النمل:١٤

ويلزم على هذه العقيدة أن يكون اليهود مؤمنين؛ لأن الله تعالى قال عنهم(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ] {البقرة:١٤٦ [يعني: يعرفون الرسول عليه الصلاة والسلام.

وكذلك يلزم على هذه العقيدة أن يكون أبو طالب الذي دل الحديث الصحيح على أنه مات على الكفر مؤمناً؛ لأن أبا طالب يعرف صدق الرسول، ويعرف أن الدين حق، ولهذا يقول في قصيدته المشهورة :ولقد علمت بأن

دين محمد من خير أديان البرية دينا لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً فيكون مؤمناً على مذهب الجهم، وقد ثبت في صحيح البخاري أن أبا طالب مات على الشرك، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة جاءه وأمره بأن يتشهد شهادة الحق، وكان عنده عبد الله بن أمية وأبو جهل بن هشام، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم) :يا عم! قل: (لا إله إلا الله (كلمة أحاج لك بها عند الله) لكن كان عنده قرينا السوء فلقناه الحجة الملعونة، وهي اتباع الأباطيل، فقالوا :أترغب عن ملة عبد المطلب؟ !أي :أترغب عن ملة أبيك عبد المطلب؟! وهذا من أضرار قرناء السوء والعياذ بالله، فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأعاد عليه أصحاب الحجة الملعونة قولهم :تترك ملة آبائك وأجدادك؟ فكان آخر ما قال :هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول :لا إله إلا الله، ومات على الشرك، نسأل الله السلامة والعافية، لكنه عند الجهم مؤمن؛ لأنه عرف أن الإسلام حق ولو لم يدخل فيه، نسأل الله السلامة والعافية.

العقيدة الثالثة :عقيدة الجبر، وهو القول بأن الإنسان ليس له أفعال، وإنما أفعاله هي أفعال الله، وتنسب إليه على سبيل المجاز، فالصلاة والصيام، والسرقة وغيرها كلها أفعال لله، والعياذ بالله، فالأفعال أفعال الله، والإنسان وعاء لها فقط، وإنما تمر عليه مروراً كالماء الذي يصب في الكوب، فهم يقولون :بنوا آدم كأنهم كأس، والله كصاب للماء فيه، فالأفعال أفعاله، وهذه هي عقيدة الجبر، وأول من قال بها وابتدعها الجهم، وورثها عنه الجبرية.

العقيدة الرابعة :القول بفناء الجنة والنار، أي أن الجنة والنار تفنيان.

وهنا يشار إلى مسألة وهي: أن (الجهمية) في كلام المتقدمين من أئمة الحديث لا يعنى به ضرورةً أتباع الجهم على سائر أصوله، وإنما يعنى به كل من نفى الصفات، سواء كان جهمياً من حيث الأصول أو لم يكن كذلك؛ ولهذا في فتنة خلق القرآن في زمن المأمون والمعتصم سمى السلف المخالفين لهم: (جهمية)، وسموا الرد عليهم: (الرد على الجهمية)، ومرادهم بالجهمية هنا: نفاة الصفات، سواء كانوا من أتباع الجهم أو من المعتزلة، ذلك أن المعتزلة تشارك الجهم في نفي الصفات، ولكن من

المعلوم أن علماء المعتزلة يكفرون الجهم بن صفوان، ليس من جهة نفيه للصفات بل من جهة مسائل أخرى، فإن بين الجهم بن صفوان وأتباعه المختصين به وبين المعتزلة فروقاً في الأصول، وعلى سبيل المثال: الفرق بين المعتزلة والجهمية

1- المعتزلة وعيدية في مسائل الإيمان والأسماء والأحكام، والجهم بن صفوان على النقيض من ذلك، فهو على مذهب المرجئة الغلاة.

2 - المعتزلة تزعم أن مرتكب الكبيرة يفقد الإيمان، وأنه مخلد في النار، في حين أن الجهم بن صفوان يرى أن الإيمان هو محض المعرفة، وأنه لا يضر مع الإيمان ذنب.

3 - **مسألة القدر**: فإن الجهم من غلاة الجبرية -أي: أن العبد مجبور على فعله- في حين أن المعتزلة قدرية، يقولون: إن الله لم يخلق أفعال العباد، بل العبد مستقل بفعله.

4 - بينهم في مسألة الأسماء والصفات اشتراك وافتراق، فإن المعتزلة تقر بأصل الأسماء، في حين أن الجهم بن صفوان لا يقر بالأسماء ولا بالصفات؛ ولهذا فإن المعتزلة في الجملة دون الجهم بن صفوان من هذا الوجه، ولا نقول إنهم يثبتون الأسماء، لأنهم لا يلتزمون أن يسمى الرب سبحانه وتعالى بسائر ما سمى به نفسه أو سماه به رسوله، ولكن أصل الأسماء عندهم ثابت، والذي يتفقون عليه هو: أنه حي عليم قدير، وزاد بعض طوائفهم: أنه سميع بصير، فهذه الأسماء الخمسة هي مدار الإثبات عند المعتزلة.

الشاهد أن لفظ الجهمية يطلق على كل من خالف في باب الأسماء والصفات وإن دخل فيه المعتزلة والاشاعرة والماتريدية وغيرهم من المأولة فيطلق عليهم جميعاً بالعموم جهمية ، لكن عند التحقيق يجب التفصيل

٧٥ - واعلم أن الدين إنما هو التقليد والتقليد لأصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم

يريد الاتباع للصحابة والسلف على هدى وبصيرة كما قال الله(قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)، لا التقليد الأعمى على غير علم ولا نور) فيه الحث على اتباع السنة والتمسك بها، وكذلك التمسك بآثار السلف الصالح وسلوك منهجهم وطريقهم المستقيم. فلا يجوز لأحد الخروج عما جاءت به السنة وما كان عليه السلف الصالح، بل يسعه ما وسعهم، وإلا فهو مضاه لهذه الشريعة، مُحْدث في الدين ما ليس منه.

وقد دلت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة المطهرة على وجوب التمسك بالسنة ومنهج السلف الصالح.

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59].

قال ميمون بن مهران: "الرد إلى الله الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول -إذا قبض- إلى سنته". أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص 260).

وقال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65]. وقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7]. وقال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103]. وقال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115].

فقد توعد الله تعالى في هذه الآية كل من خرج عن سبيل المؤمنين -وهم الصحابة- بأن يصليه جهنم وساءت مصيرا.

قال ابن قدامة في ذم التأويل (ص 26): "فتوعد على اتباع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد متبعَهم بالرضوان والجنة".

ومن السنة: ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه". أخرجه مالك في الموطأ والدارقطني في سننه

٧٦ - ومن قال لفظه بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن سكت ولم يقل مخلوق ولا غير مخلوق فهو جهمي هكذا قال أحمد بن حنبل وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ

كل ذلك في فضل الاتباع وترك الابتداع والوقوف حيث وقف السلف وعدم إحداث شيء في الدين بعدهم ،وقد سبق الكلام علي مسألة القرأن وأنه كلام الله غير مخلوق ،تكلم به سبحانه بحرف وصوت فهو ليس كلاماً نفسياً لا هو مخلوق ، وفيه الرد على اللفظية الذين يقولون لفظي بالقرأن مخلوق ،أو الذين يتوقفون فيه ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق ،لأن التوقف شك وهو كفر في التوحيد والرسالة وجحد وانكار وتكذيب لصفات الرب سبحانه ولذلك كفر السلف الجهمية لبدعتهم في الأسماء والصفات ،وقد سبق الكلام على اللفظية والرد عليهم في شرح السنة

٧٧ - واعلم أنه إنما جاء هلاك الجهمية من أنهم فكروا في الرب عز و جل فأدخلوا لم وكيف وتركوا الأثر ووضعوا القياس وقاسوا الدين على رأيهم فجاءوا بالكفر عيانا لا يخفي ف كفروا وكفروا الخلق واضطرهم الأمر إلى أن قالوا بالتعطيل

مر معنا أن الأصل هو التفكر فى أيات الله ومخلوقاته وليس التفكر في ذات الله وكيفية صفاته ،وهذا سبب الضلال إعمال العقل والقياس في الله تعالى وصفاته ،فسبب الضلال عندهم هو التعليل ، لماذا هذا وكيف هذا ، فعللوا الشرع بالعقل،والدين على التسليم والانقياد والقبول للنص وطرح التأويل العقلى

٧٨ - قال بعض العلماء منهم أحمد بن حنبل ،الجهمي كافر ليس من أهل القبلة حلال الدم لا يرث ولا يورث لأنه قال لا جمعة ولا جماعة ولا

عيدين ولا صدقة وقالوا من لم يقل القرآن مخلوق فهو كافر واستحلوا السيف على أمة محمد صلى الله عليه و سلم وخالفوا من كان قبلهم وامتحنوا الناس بشيء لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا أحد من أصحابه وأرادوا تعطيل المساجد والجوامع وأوهنوا الإسلام وعطلوا الجهاد وعملوا في الفرقة وخالفوا الآثار وتكلموا بالمنسوخ واحتجوا بالمتشابه فشككوا الناس في أديانهم واختصموا في ربهم وقالوا ليس هناك عذاب قبر ولا حوضا ولا شفاعة والجنة والنار لم يخلقا وأنكروا كثيرا مما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فاستحل من استحل تكفيرهم ودمائهم من هذا الوجه لأنه من رد آية من كتاب الله فقد رد الكتاب كله ومن رد حديثا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد رد الأثر كله وهو كافر بالله العظيم فدامت لهم المدة ووجدوا من السلطان معونة على ذلك ووضعوا السيف والسوط على من دون ذلك فدرس علم السنة والجماعة وأوهنوها فصاروا مكتومين لإظهار البدع والكلام فيها ولكثرتهم فاتخذوا المجالس وأظهروا آراءهم ووضعوا فيها الكتب وأطمعوا الناس وطلبوا لهم الرياسة فكانت فتنة عظيمة لم ينج منها إلا من عصم الله فأدنى ما كان يصيب الرجل من مجالستهم أن يشك في دينه أو يتابعهم أو يرى رأيهم على الحق ولا يدري أنهم على حق أو على باطل فصار شاكا فهلك الخلق حتى كانت أيام جعفر الذي يقال له المتوكل فأطفأ الله به البدع وأظهر به الحق وأظهر به أهل السنة وطالت ألسنتهم مع قلتهم وكثرة أهل البدع إلى يومنا هذا فالرسم والبدع وأهل الضلالة قد بقي منهم قوم يعملون بها ويدعون إليها لا مانع يمنعهم ولا حاجز يحجزهم عما يقولون ويعملون

وهذا مشهور عن كثير من العلماء أنهم كفروا الجهمية، وقد كفرهم خمسمائة عالم، حتى قال ابن القيم في الكافية الشافية: ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان واللالكائي الإمام قد حكاه وحكاه عنه قبله الطبراني وقوله: خمسين في عشرة، أي: خمسمائة، ومن العلماء من كفر الغلاة والدعاة وعلماءهم، وفسق عامتهم، ومن العلماء من كفرهم جميعاً ومنهم من بدعهم جميعاً؛ وذلك لخبث معتقدهم وفساد قولهم؛ ولأنهم قالوا: إن الرب ليس له صفات ولا أسماء،وهم كما تقدم الجهمية المحضة

نفاة الأسماء والصفات منكرى السنة وجاحديها فهؤلاء كفرهم السلف ،ومنهم المؤولة من المعتزلة والأشاعرة فهؤلاء بدعهم السلف وأغلظوا لهم القول وحذروا منهم وأطلقوا القول بتكفير من قال بخلق القرأن تحذيراً وتغليظاً،والمصنف رحمه الله يشير إلى الفتنة التي حدث في أواسط خلافة بنى العباس في عهد المأمون والمعتصم والواثق الذين امتحنوا الناس بمسألة خلق القرأن وعمت فتنتهم المسلمين جميعاً وكانت فتنة عظيمة ثبت فيها الإمام أحمد رحمه الله هو وقلة معه ونصر الله بهم السنة ،حتى جاء الخليفة جعفر المتوكل ورفع المحنة وأظهر السنة وقمع الله به البدعة

٧٩ - واعلم أنه لم تجئ زندقة قط إلا من الهمج الرعاع واتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح فمن كان هكذا فلا دين له قال الله عز و جل (فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) وهم علماء السوء أصحاب الطمع

الزندقة هي النفاق وعدم الثبات والتلون في الدين ، والهمج عرفه بن قتيبة في غريب الحديث أن أصله البعوض واحدها همجة، فشبه به رذال الناس ،والرعاع هم العامة الذين لا علم لهم ولا رأى يتبعون كل ناعق وكل مبتدع ،لا يدرون حقيقة ما ينعق به وينادى ،فهم يتبعونه على غير هدى لقلة عقلهم وعدم فهمهم ،لذلك لا دين لهم يثبت فهم ينقلبون ويتغيرون ولا يثبتون على الحق ،فتراهم كل يوم على دين ، يغيرون دينهم ولا يثبتون ،وهكذا هم أهل البدع قديماً وحديثاً يدخلون على الناس من هذا الباب ،باب الزهد والورع والتقشف ،والحرص على مصالح الناس وما ينفعهم ،فإذا تمكنوا منهم بثوا بدعتهم فيهم ،وهؤلاء الدهماء والهمج الرعاع الذين يسارعون في الفتن ذكرهم بن عساكر في تاريخ دمشق من حديث على بن أبي طالب رضى الله عنه لكميل بن زياد قال(أَخَذَ بيدي أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبِ بالكوفةِ، فخرَجْنا حتى انتَهَيْنا إلى الجبانِ، فلمّا أصحَرَ تنفَّسَ صُعَداءَ، ثمَّ قال لي: يا كُمَيلُ بنَ زيادٍ، إنَّ هذه القلوبَ أَوْعيةٌ، وخيرَها أَوْعاها للعلمِ، احفَظْ عنِّي ما أقولُ لكَ، الناسُ ثلاثةٌ: عالمٌ رَبّانيٌّ، ومتعلِّمٌ على سبيلِ نجاةٍ، **وهمَجٌ رَعاعٌ أتباعُ كلِّ ناعقٍ، يميلونَ مع كلِّ ريحٍ، لم يستضيئوا بنورِ العلمِ، ولم يَلْجؤوا إلى ركنٍ وثيقٍ**، يا كُمَيلُ بنَ زيادٍ، العلمُ خيرٌ مِن المالِ،

العلمُ يحرُسُكَ، وأنتَ تحرُسُ المالَ، المالُ يُنقِصُه النفقةُ، والعلمُ يزكو على الإنفاقِ، يا كُمَيلُ بنَ زيادٍ، محبةُ العالِمِ دِينٌ يُدانُ، تُكسِبُه الطاعةَ في حياتِه، وجميلَ الأُحْدوثةِ بعدَ وفاتِه، ومنفعةُ المالِ تزولُ بزوالِه، العلمُ حاكمٌ، والمالُ محكومٌ عليه، يا كُمَيلُ، مات خُزّانُ المالِ وهم أحياءٌ، والعلماءُ باقونَ ما بقِيَ الدهرُ، أَعْيانُهم مفقودةٌ، وأمثالُهم في القلوبِ موجودةٌ، وإنَّ ههنا -وأشارَ إلى صَدرِه- لعلمًا جَمًّا لو أصَبتُ حَمَلةً، بلى أصَبتُ لَقِنًا غيرَ مأمونٍ، يَستعمِلُ آلةَ الدِّينِ بالدُّنْيا ، ويَستظهِرُ بحججِ اللهِ على أوليائِه، وبنعمِه على عبادِه، أو منقادًا لأهلِ الحقِّ لا بصيرةَ له في أحنائه، يَنْقدِحُ الشكُّ في قلبِه بأولِ عارضٍ من شبهةٍ، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء أو منهومًا باللذّات، سلسَ القياد للشهواتِ، أو مغرمًا بجمع الأموال والادِّخار، ليسَا من دعاة الدينِ في شيءٍ، أقربُ شبهًا بهما الأنعامُ السائمةُ، كذلك يموتُ العلم بموتِ حامليه

ثم قال: اللهم بلَى، لا تخلو الأرضُ من قائمٍ للهِ بحجةٍ إما ظاهرًا مشهورًا، وإما خائفًا مغمورًا؛ لئلا تبطُلَ حججُ اللهِ وبيّناتُه، وكم وأين أولئك؟! أولئك واللهِ هم الأقلُّون عددًا، والأعظمون عند الله قدرًا، بهم يدفع اللهُ عن حججِه؛ حتى يؤدوها إلى نظرائِهم؛ ويزرعوها في قلوب أشباهِهم، هجَم بهم العلمُ على حقيقةِ الأمرِ فباشروا روحَ اليقين، فاستسهلوا ما استَوْعَرَ منه المُتْرفُون، وأَنِسُوا بما استَوْحَشَ منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلَّقة بالمنظرِ الأعلى.

يا كميلُ، أولئك خلفاءُ اللهِ في أرضِه، ودعاتُه إلى دينِه، هَاهْ، هَاه شوقًا إلى رؤيتِهم، وأستغفِرُ اللهَ لي ولك، إذا شئت فقُمْ."

وهذه وصيةٌ نافعةٌ ماتعةٌ، قال الخطيبُ البغدادى في كتابه الفقيه والمتفقه : "هذا الحديث من أحسنِ الأحاديث معنًى، وأشرفِها لفظًا، وتقسيمُ أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالبِ الناسَ في أولِه تقسيمٌ في غايةِ الصحة ونهاية السَّدادِ؛ لأن الإنسانَ لا يخلو من أحدِ الأقسامِ الثلاثة التي ذكَرَها مع كمالِ العقلِ، وإزاحةِ العِللِ، إما أن يكونَ عالمًا، أو متعلِّمًا أو مُغفلًا للعلمِ وطلبِه، ليس بعالمٍ ولا بطالبٍ له

وقال ابنُ عبدِ البرِّ في كتابه جامع بيان العلم وفضله : "وهو حديثٌ مشهورٌ عندَ أهلِ العلمِ، يَستغْنِي عن الإسنادِ؛ لشهرتِه عندَهم"، ونقَلَ قولَه ابنُ القيم في كتابه إعلام الموقعين ، والشنقيطيُّ في تفسيره أضواء البيان كالمُقرِّين له.

وقد شرح هذا الأثرَ وعلَّق عليه شيخ الإسلام ابنُ تيميةَ في "جواب الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية" وابنُ القيِّم في كتابه "مفتاح دار السعادة" وابنُ رجب الحنبليُّ في رسالته "كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة." على أن بعضَ أهل العلم قد حكم بضعفِه

الشاهد أن هؤلاء الهمج الرعاع من أظهر ما يميزهم أنهم مثيروا الفتن يستخدمهم المبتدعة وأعداء الدين لنشر بدعتهم ،وتحقيق مصالحهم الشخصية مستغلين جهلهم وقلة علمهم وبصيرتهم ،وعلماء السوء هم بلية كل عصر وأصل كل فتنة ،وليسوا فقط علماء السلطان ،بل كل مبتدع صاحب هوى يستخدم فصاحته وبلاغته وعلمه بالدين في غير محله ،وهكذا هم رؤوس البدع قديماً وحديثا.

٨٠ - واعلم أنه لا يزال الناس في عصابة من أهل الحق والسنة يهديهم الله ويهدي بهم غيرهم ويحيي بهم السنن وهم الذين وصفهم الله تعالى مع قلتهم عند الاختلاف فقال(وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جآءتهم البينات بغيا بينهم) ثم استثناهم فقال (فهدى الله الذين ءامنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (لا تزال عصبة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون)

وهذا مناسب لما سبق ،وهو من المقابلة ،فبعد أن ذكر المصنف رحمه الله انتشار البدع وأهل الضلال والانحراف وكثرتهم وفتنة الناس بهم ، ذكر بعدها أن مع كثرة الفتن والتلون في دين الله توجد عصبة مؤمنة وطائفة منصورة وفرقة ناجية ظاهرة متمسكة بدينها لا تتلون ولا تتبدل ولا تتغير ، متمسكة بالكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم والقرون الثلاثة الأولى ،ثابتين على الحق مظهرين له مدافعين عنه ،لا يضرهم من خذلهم ،هداهم الله للحق لما علم طهارة قلوبهم وصدق نيتهم وإخلاصهم وتجردهم في قبول الحق ،وجعلهم منارة للسالكين ،هداة مهتدين ،قدوات

صالحة للناس ودعاة صامتون يدلون على الحق والسنة بفعالهم أكثر من كلامهم ،وقد وصفهم الله بالقلة الثابتة مقابلة مع الكثرة المتحيرة الشاكة التي لاتثبت على دين ،وتلك العصابة المؤمنة المنصورة زكاها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ(لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ) وفي رواية لمسلم (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ.)فهى باقية لا يخلوا منها زمان ولا محصورة في مكان ،فتكون تارة في الشام ،وتارة في أكناف بيت المقدس ، وتكون تارة في الشيشان وأفغانستان ،وتارة في العراق ،وتارة في اليمن ومصر حتى تقوم الساعة وهم على ذلك

وقد تكلم العلماء رحمهم الله عن صفات وخصائص الطائفة المنصورة وشرحوها وبينوها ،ومن أهم خصائصهم وأظهر صفاتهم أنها متمسكة بالحق القرأن والسنة بفهم الصحابة ،وأنها طائفة مقاتلة مجاهدة وهذا أهم ما يميزها في زمان ترك الناس فيه الجهاد ،فمن أهم خصائص الطائفة المنصورة والفرقة الناجية أنها مجاهدة مقاتلة في سبيل الله بالعلم والبيان والسيف والسنان ،وقد وردت عدة أحاديث صحيحة بروايات متعددة تبين خصائص وصفات هذه الطائفة منها

وفى صحيح البخارى عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول(لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة.)

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من أمتي قوم ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله.)

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال)المسند وأبو داوود.

ويؤخذ من هذه الأحاديث عدة أمور:

قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي. فيه دليل على أنّها فئة من الأمّة وليست كل الأمّة، وفيه إيماءة إلى أن هناك فئات أخرى، وطوائف أخرى.

قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يضرهم من خالفهم. يدلّ على أن هناك فرقاً أخرى تخالف الطائفة المنصورة فيما هم عليه من أمر الدين، وهذا كذلك يوافق مدلول حديث الافتراق حيث إن الفرق الثنتين والسبعين تخالف الفرقة الناجية فيما هم عليه من الحق.

كلا الحديثين يحمل البشرى لأهل الحق، فحديث الطائفة المنصورة يبشّرهم بالظفر والنصر والظهور في الدنيا.

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم حتى يأتي أمر الله أي الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة.

يؤخذ من مجموع الأحاديث المتقدمة والروايات الأخرى الصفات التالية للطائفة المنصورة

أنها على حق :

فجاء الحديث بأنهم (على حق).

وأنهم (على أمر الله).

وأنهم (على هذا الأمر).

وأنهم (على الدين).

وهذه الألفاظ تجتمع في الدلالة على استقامتهم على الدين الصحيح الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم.

أنها قائمة بأمر الله:

وقيامهم بأمر الله يعني:

أ ـ أنهم تميزوا عن سائر الناس بحمل راية الدعوة إلى الله.

ب ـ وأنهم قائمون بمهمة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

أنها ظاهرة إلى قيام الساعة

وقد وصفت الأحاديث هذه الطائفة بكونهم :لا يزالون ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون.

وبكونهم (ظاهرين على الحق) أو (على الحق ظاهرين).

أو (ظاهرين إلى يوم القيامة).

أو (ظاهرين على من ناوأهم).

وهذا الظهور يشمل

.: الوضوح والبيان وعدم الاستتار فهم معرفون بارزون مستعلون.

ثباتهم على ما هم عليه من الحق والدين والاستقامة والقيام بأمر الله وجهاد أعدائه.

الظهور بمعنى الغلبة

أنها صابرة مصابرة:

وفى جامع الترمذى عن أبي ثعلبة الخشني - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم – قال(إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على

الجمر)،فكما ترى أن من أبرز الخصائص للفرقة الناجية هي التمسك بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة هذه الأمور الأربعة تجد الفرقة الناجية بارزة فيها:

ففي العقيدة تجدها متمسكة بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم , من التوحيد الخالص في ألوهية الله , وربوبيته , وأسمائه وصفاته.

وفي العبادات تجد هذه الفرقة متميزة في تمسكها التام وتطبيقها لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم , في العبادات في أجناسها , وصفاتها وأقدارها وأزمنتها وأمكنتها وأسبابها , فلا تجد عندهم ابتداعاً في دين الله , بل هم متأدبون غاية الأدب مع الله ورسوله لا يتقدمون بين يدي الله ورسوله في إدخال شيء من العبادات لم يأذن به الله.

وفي الأخلاق تجدهم كذلك متميزين عن غيرهم بحسن الأخلاق كمحبة الخير للمسلمين , وانشراح الصدر , وطلاقة الوجه , وحسن المنطق والكرم, والشجاعة إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق ومحاسنها.

وفي المعاملات تجدهم يعاملون الناس بالصدق , والبيان اللذين أشار إليهما النبي صلى الله عليه وسلم, في قوله (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما , وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما)

والنقص من هذه الخصائص لا يخرج الإنسان عن كونه من الفرقة الناجية لكن لكل درجات مما عملوا , والنقص في جانب التوحيد ربما يخرجه عن الفرقة الناجية مثل الإخلال بالإخلاص, وكذلك في البدع ربما يأتي ببدع تخرجه عن كونه من الفرقة الناجية ،وقد ضربنا مثالاُ لذلك بالدوائر الثلاث وقلنا أن الدائرة الكبيرة هي لكل من ينتمي إلى الإسلام ،والدائرة الوسط هي فرق داخلة في الإسلام خارجة عن أهل السنة ،وفرق منتمية للإسلام خارجة عنه بنواقض وقعت فيها ،كالرافضة والباطنية والاسماعيلية والجهمية المحضة ،والصوفية الشركية القبورية ،نسأل الله أن يجعلنا من الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .

٨١ - واعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب ولكن العالم من اتبع الكتاب والسنة وإن كان قليل العلم والكتب ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير الرواية والكتب

وهنا أصل مهم جداً وهو الضابط في الحكم على العالم ،فليس كثرة العلم والمحفوظات دليل على صحة ،فقد رأينا من يحفظ القرأن والكتب الستة والمتون ،وعنده مكتبة ضخمة كبيرة فيها ألاف الكتب ،وهو كالحمار يحمل أسفارا ،تراه مبتدعاُ ضالاً يأتي بالأعاجيب والغرائب ،فتراه مؤولاً للصفات ،ويدعوا الأموات ويطلب منهم ، وتراه ممجداً للعقل ومقدماً له على النص ،وتراه مناصراً للحكام المبدلين للدين المحكمين للقوانين العلمانية المخالفة للشريعة ، وتراه كارها للسن تاركاً لها ،فلا تظهر عليه ،فتراه يحلق لحيته ويسبل ثيابه ،ومنهم من يسمع الموسيقى ويشرب الدخان ،ويختلط بأهل الفسق والفجور والمجون ،ومنهم من يحارب العفة والطهارة والحجاب ،عنده علم لكنه لم ينتفع ولم يعمل به ،فالعالم ليس بتزكية فلان له أو بتصنيف فلان ، بل العالم هو الذى يدل عليه علمه وعمله بالعلم ،فالعالم الذى يعمل بعلمه متبعاً الأصول الثلاثة المعصومة القران والسنة وفهم الصحابة ،ويكون قدوة في الخير فهو العالم الحق وأن كان قليل العلم والكتب ،ومن خالف الكتاب والسنة وفهم الصحابة فهو الضال المبتدع وإن كان كثير العلم والكتب نسأل الله العلم النافع والعمل الصالح والستر والعافية وحسن الخاتمة

٨٢ - واعلم أنه من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأوله من غير حجة من السنة والجماعة فقد قال على الله ما لا يعلم ومن قال على الله مالا يعلم فهو من المتكلفين والحق ما جاء من عند الله عز و جل والسنة ما سنه رسول الله صلى الله عليه و سلم والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ومن اقتصر على سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم وما كان عليه الجماعة فلج على أهل البدعة كلهم واستراح بدنه وسلم له دينه إن شاء الله لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ستفترق أمتي وبين لنا رسول الله

صلى الله عليه و سلم الفرقة الناجية منها فقال ما أنا عليه وأصحابي فهذا هو الشفاء والبيان والأمر الواضح والمنار المستقيم وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم إياكم والتنطع وإياكم والتعمق وعليكم بدينكم العتيق

وهذا فيه بيان خطورة الرأي والقياس الفاسد والتأويل المخالف للكتاب والسنة من غير دليل ولا برهان مخالفاً ما عليه أهل السنة والجماعة وما اجتمعوا عليه ،وفيه خطورة التقول على الله وفى دينه بغير علم ،وتكلف ما ليس من دين الله ولم يأتي به الخبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وفيه بيان الحق ،وهو ماجاء عن الله ،وبيان السنة ،وهى ماثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وفيه بيان الجماعة وهى ما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفتن التي ظهرت بعد مقتل الفاروق عمر رضى الله عنه ،فمن تمسك بالحق والسنة والجماعة فقد فلج ،أي غلب وظهر وانتصر وقوية حجته على أهل البدع وفارقهم واستراح قلبه لأنه متمسك بأًل ثابت ،وسلم له دينه باتباعه الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة وهذا فيه الشفاء والراحة والثبات بيقين ،وفيه بيان خطورة التنطع في الدين ،وهو الغلو والتشدد والتكلف فيه ،فهو سبب هلكة معظم الفرق الضالة ،وما ضلت الخوارج وأهل الغلو إلا بسبب التنطع والغلو والتشدد في الدين ،والتعمق فيما وراء النصوص وعدم الوقوف حيث وقف الصحابة ،كما فعلت المعتزلة وأصحاب علم الكلام الذى لم يسعهم ما وسع الصحابة والسلف الصالح ولم يقفوا حيث وقف القوم ،ولم يتمسكوا بالأمر العتيق الذى كان عليه الأمر الأول كما قال بن مسعود رضى الله عنه ،عليكم بالأمر الأول العتيق ،وهو ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام (ما أنا عليه اليوم وأصحابي)وقد كثر في زماننا التكلف والتقول على الله وفى دينه بغير علم ولا هدى ولا اتباع ،فتجرأ كثير ممن ينتسبون إلى العلم وطلابه على الكلام والفتيا استقلالاً عن العلماء وخاضوا في الحكم على الناس تكفيراً وتبديعاً وتفسيقاً ،ومع هذه الجرأة في دين الله تجدهم جبناء لا يتقدون في الكلام في العلوم التجريبية كالطب والهندسة والصناعات وغير ذلك حتى لا يحكم عليهم بالجهل والخرف من أصحابها !!والكلام في دين الله بغير علم اصبح ظاهرة في زماننا يجب على طلبة العلم والدعاة والعلماء التنبيه عليها فهى سبب الفرقة والتحزب والتعصب

٨٣ - واعلم أن الدين العتيق ما كان من وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان قتله أول الفرقة وأول الاختلاف فتحاربت الأمة وافترقت واتبعت الطمع والهوى والميل إلى الدنيا

وهذا فيه التمسك بالجماعة وما كانت عليه قبل الاختلاف والافتراق ، وليس هذا حصراً للجماعة في زمن معين ،بل الجماعة أن وافقت الحق وإن كنت وحدك ،وهى من تمسك بمصادر التلقى الثلاثة إلى يوم الدين ،وفيه إشارة إلى الفتنة التي سببها الخوارج والسبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى في تمزق الأمة بعد أن كانت مجتمعة متحدة حتى مقتل الخليفة الراشد ذو النورين عثمان رضى الله عنه

٨٤ - وليس لأحد رخصة في شيء أخذ به مما لم يكن عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أو يكون رجل يدعو إلى شيء أحدثه من قبله من أهل البدع فهو كمن أحدثه فمن زعم ذلك أو قال به فقد رد السنة وخالف الحق والجماعة وأباح الهوى وهو أشر على هذه الأمة من إبليس ومن عرف ما ترك أهل البدع من السنة وما فارقوا منها فتمسك به فهو صاحب سنة وصاحب جماعة وحقيق أن يتبع وأن يعاون وأن يحفظ وهو ممن أوصى به رسول الله صلى الله عليه و سلم

يعنى ليس لأحد عذر في شيئ أحدثه في الدين لم يفعله الصحابة رضى الله عنهم ولم يكن عليه الصحابة رضى الله عنهم ،وهذا فيه شدة التمسك بما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم ،فمن أحدث شيئاً في الدين لم يكن على عهد الصحابة ولم يعرفوه فهو مردود عليه غير مقبول، وكذلك من جاء ببدعة من عند نفسه فقد ترك السنة وفارق الحق باتباعه هواه ، وهو أشر على هذه الأمة من اليهود والنصارى ، أما قول المؤلف أن المبتدع أشر على الأمة من إبليس **فهذا إطلاق لا يسلم له** ،لأن إبليس شر الخلق ويدعوا الناس إلى الكفر والشرك والإلحاد ،ربما يكون شراً من وجه وليس من كل الوجوه

٨٥ - واعلم أن أصول البدع أربعة أبواب يتشعب من هذه الأربعة اثنان وسبعون هوى ثم يصير كل واحد من البدع يتشعب حتى تصير كلها إلى

ألفين وثمان مائة كلها ضلالة وكلها في النار إلا واحدة وهو من آمن بما في هذا الكتاب واعتقده من غير ريبة في قلبه ولا شكوك فهو صاحب سنة وهو الناجي إن شاء الله

القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج وبعضهم زاد الجهمية فهذه أصول الفرق ومنها تشعبت الفرق وتولدت ،وهذا هو حال أهل البدع والأهواء والافتراق يختلفون ويفترقون ،حتى تفترق الفرقة الواحدة عشرات الفرق ،والناظر في كتب الفرق مثل ،مقالات الإسلاميين لأبى الحسن الأشعرى ،والفرق بين الفرق للبغدادى ،والملل والنحل للشهرستانى ،والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبى الحسين المالطى وهو أفضلهم ،يجد أن هذه الفرق تنتشر وتنشطر فكل من يخالفها يفارقها ويؤسس فرقة لنفسه على حسب هواه مما يدلك أنهم ليسوا على شيء نسأل الله النجاة من الفتن والاعتصام بالكتاب والسنة وعمل الصحابة

وهنا يجب التنبيه على أن تحديد المصنف رحمه الله عدد الفرق وأهل الأهواء بألفين وثمان مئة تحديد ليس عليه دليل وهو من باب الزجر والتحذير من الافتراق أما حصر الفرق بعدد معين فلا يمكن لأن البدع والأهواء لا تنحصر ولا ينضبط عددها بل هي تزيد في كل عصر ومصر ،وهو من المؤلف من باب التقريب والظن وليس الجزم والقطع ،وقد مر معنا الكلام عن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ،وأن الفرق النارية هذه على حسب اعتقادها ودينها ،فإن كانت لا تخرم الأصل ولم تنقض توحيدها وكانت بدعتها في الواجب فهى فالنار مؤقتة وليست مؤبدة وإمن كانت خرجة عن الإسلام بناقض تدعوا إليه فهى خالدة مؤبدة وعلى ذلك أعيان المنتمين إليها ،وأما قول المؤلف عن كتابه (من آمن بما في هذا الكتاب واعتقده من غير ريبة في قلبه ولا شكوك فهو صاحب سنة وهو الناجي إن شاء الله)هو يقصد ما فيه من مسائل اعتقادية قطعية كأركان الإيمان وأركان الإسلام والتمسك بما كان عليه الصحابة والسلف الصالح رحمهم الله ،فهذا حق ، ولا يقصد كل ما قاله في الكتاب ، فهناك أشياء ليست من الأصول ،وأشياء مختلف فيها ، وأشياء لا تثبت بحال ،واشياء من اجتهاداته رحمه الله ، وإن ظاهر كلام المصنف التزكية لكتابه وما كتب ،إلا أننا نحمل كلامه على أحسن المحامل وهذا من باب إحسان الظن بالعلماء

،فإن كان إحسان الظن بالمسلمين واجب ،فهو في أهل العلم أوجب وأوكد ،فنحمل كلام المصنف على مافى كتابه من القرأن والسنة وعمل الصحابة رضى الله عنهم ،ومن تمسك بهذه الأصول الثلاثة وعمل بها متيقناً بها غير شاك فيها فهو ناج بلا شك ونرجو له السلامة والفوز بالجنة

٨٦ -واعلم أن الناس لو وقفوا عند محدثات الأمور ولم يجاوزوها بشيء ولم يولدوا كلاما مما لم يجيء فيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا عن أصحابه لم تكن بدعة

لأن الأصل التسليم والانقياد والاتباع والوقوف على النص وعدم الزيادة والنقصان في الدين، والتمسك بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم والعمل بالقرأن والسنة وفهم الصحابة (ما أنا اليوم عليه وأصحابي) (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى) ،فمن فعل ذلك يكون متبعاً متسنناً قد نجى من البدعة ومن الوقوع فيها

٨٧ - واعلم أنه ليس بين العبد وبين أن يكون مؤمنا حتى يصير كافرا إلا أن يجحد شيئا مما أنزل الله أو يزيد في كلام الله أو ينقص أو ينكر شيئا مما قال الله عز و جل أو شيئا مما تكلم به رسول الله صلى الله عليه و سلم فاتق الله وانظر لنفسك وإياك والغلو في الدين فإنه ليس من طريق الحق في شيء

الظاهر من قول المصنف رحمه الله أن يحصر الكفر والخروج من الإسلام إلى الكفر بالجحود وهذا ليس على ظاهره لأن المؤلف على مذهب أهل السنة والجماعة في باب الإيمان والكفر ولكن بعض السلف الصالح يطلق معنى الجحود ويراد به التكذيب المنافي للتصديق، كما يراد به الامتناع والرد والإباء، فليس الجحود محصوراً في التكذيب كما ظن المرجئة والزيادة في القرأن والنقصان منه كفر ،أو إنكار شيئاً منه زندقة وكفر ،وكذلك الزيادة في السنة بدعة وهى بحسبها إما مكفرة أو غير مكفرة ،وهذا من الغلو ومجاوزة الحد والطغيان في دين الله الذى هو ينافى التقوى التي هي مخافة الله والاستقامة على شرعه فإن الغلو باطل كله وهلكة

٨٨ - وجميع ما وصفت لك في هذا الكتاب فهو عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه و سلم وعن التابعين وعن القرن الثالث إلى القرن الرابع فاتق الله يا عبد الله وعليك بالتصديق والتسليم والتفويض والرضى بما في هذا الكتاب ولا تكتم هذا الكتاب أحدا من أهل القبلة فعسى الله أن يرد به حيرانا من حيرته أو صاحب بدعة من بدعته أو ضالا عن ضلالته فينجو به فاتق الله وعليك بالأمر الأول العتيق وهو ما وصفت لك في هذا الكتاب فرحم الله عبدا ورحم والديه قرأ هذا الكتاب وبثه وعمل به ودعا إليه واحتج به فإنه دين الله ودين رسوله وأنه من استحل شيئا خلافا لما في هذا الكتاب فإنه ليس يدين الله بدين وقد رده كله كما لو أن عبدا آمن بجميع ما قال الله عز و جل إلا أنه شك في حرف فقد جميع ما قال الله وهو كافر كما أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صاحبها إلا بصدق النية وخالص اليقين وكذلك لا يقبل الله شيئا من السنة في ترك بعض ومن خالف ورد من السنة شيئا فقد رد السنة كلها فعليك بالقبول ودع المحال واللجاجة فإنه ليس من دين الله في شيء وزمانك خاصة زمان سوء فاتق الله

يعنى أن كل مافى هذا الكتاب مأخوذ من القرأن والسنة وأقوال الصحابة رضى الله عنهم وما كان عليه أصحاب القرون الثلاثة الأولى ،وهذا على الغلبة ،فيعمل بما فيه ويقف حيث وقف القوم ولا يبتدع في دين الله ،والمؤلف يدعوا لمن نشر مافى هذا الكتاب، وعمل بما فيه ، لأنه دين الله ،ومن رد مافى الكتاب مما هو وحى فقد رد القران والسنة ، ولا يقصد رد ما فيه من كلام البشر ،فإن هذا غير مراد ،ومن رد شيئا من دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد رد الدين كله،ومن ترك السنة في زمن الفتن يوشك ألا يعود إليها

٨٩ – فإذا وقعت الفتنة فالزم جوف بيتك وفر من جوار الفتنة وإياك والعصبية وكل ما كان من قتال بين المسلمين على الدنيا فهو فتنة فاتق الله وحده لا شريك له ولا تخرج فيها ولا تقاتل فيها ولا تهوى ولا تشايع ولا تمايل ولا تحب شيئا من أمورهم فإنه يقال من أحب فعال قوم خيرا كان أو شرا كان كمن عمله وفقنا الله وإياكم لمرضاته وجنبنا وإياكم معاصيه

الفتنة لها معانى كثيرة في القرآن ،وقد حملها المصنف رحمه الله هنا على القتال بين المؤمنين ، والفتنة أعم وأشمل من ذلك ،فقد تأتى بمعنى
= الابتلاء والاختبار : كما في قوله تعالى : (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) أي وهم لا يبتلون كما قال الطبرى

= الصد عن السبيل والرد : كما في قوله تعالى (وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْك) قال القرطبي : معناه : يصدوك ويردوك.

= العذاب : كما في قوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) فتنوا : أي عذبوا.

=الشرك ،والكفر : كما في قوله تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ)

=الوقوع في المعاصي والنفاق : كما في قوله تعالى في حق المنافقين (وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِي) قال البغوي :أي أوقعتموها في النفاق وأهلكتموها باستعمال المعاصي والشهوات.

=اشتباه الحق بالباطل : كما في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)قال الطبرى إلا يوالى المؤمن من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به أي شبهة في الحق والباطل

=الإضلال : كما في قوله تعالى : (ومن يرد الله فتنته)أي إضلاله

=القتل والأسر : ومنه قوله تعالى : (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) والمراد : حمل الكفار على المؤمنين وهم في صلاتهم ساجدون حتى يقتلوهم أو يأسروهم . كما عند ابن جرير.

=اختلاف الناس وعدم اجتماع قلوبهم : كما في قوله تعالى : (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) أي يوقعوا الخلاف بينكم

=الجنون كما في قوله تعالى (بأيِّكم المفتون) .فالمفتون بمعنى المجنون.

=الإحراق بالنار : لقوله تعالى : (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات)

وهذه المعانى تعرف بالسياق والقرائن

قال ابن القيم رحمه الله فى الزاد : " وأما الفتنة التي يضيفها الله سبحانه إلى نفسه أو يضيفها رسوله إليه كقوله: (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) وقول موسى : (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) فتلك بمعنى آخر وهي بمعنى الامتحان والاختبار والابتلاء من الله لعباده بالخير والشر بالنعم والمصائب فهذه لون وفتنة المشركين لون ، وفتنة المؤمن في ماله وولده وجاره لون آخر ، والفتنة التي يوقعها بين أهل الإسلام كالفتنة التي أوقعها بين أصحاب علي ومعاوية وبين أهل الجمل ، وبين المسلمين حتى يتقاتلوا و يتهاجروا لون آخر.

وهذا فيه الحث على مجانبة الفتن واعتزالها وعدم المشاركة فيها فهذا أسلم لدينه ،ولا يحابى أحداً ،ولا يناصر فريقاً على فريق ، لأن كلهم أخوة والله أمرنا بالإصلاح بينهم عند القتال والفتن ،وإلا فإن اعتزال الفتن هو الأصوب والأسلم لدين المرء وأدعى للسلامة وحسن الخاتمة ،والفتنة هي كل ما يسبب فرقة بين المسلمين ،وليس معنى الفتنة القتال ،لا ، الفتنة هي كل ما يمزق المسلمين ويفرقهم ويشتتهم ويجعل العداوة والبغضاء بينهم

٩٠ – وأقل من النظر في النجوم إلا بما تستعين به على مواقيت الصلاة واله عما سوى ذلك فإنه يدعو إلى الزندقة

النجوم جعل الله لها فوائد ووظائف ،كما جاء في القران الكريم (رجوماً للشياطين) وعلامات في البر والبحر (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)وزينة للسماء الدنيا (زينا السماء الدنيا بمصابيح)ويعرف بها مواقيت الصلاة ،ومواعيد الزرع والسقى والحرث وما يخص الفلاحين مما هو من علم التسيير وغير ذلك فهو جائز لا حرج فيه ، أما من استعمل الكواكب والنجوم في أعمال الدجل والكهانة أو أنها مؤثرة في الحوادث والحروب والحالة النفسية للناس والمشاكل والطلاق وغير ذلك فهذا اعتقاد مكفر وادعاء لعلم الغيب أو الدجل على الناس فكل ذلك مخالف للعقيدة الصحيحة

٩١ – وإياك والنظر في الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام وعليك بالآثار وأهل الآثار وإياهم فاسأل ومعهم فاجلس ومنهم فاقتبس

وهذا فيه هجران أهل البدع ، من هجر مجالسهم وكتبهم وكلامهم ،فالجلوس معهم من غير نكير فتنة وفساد يخشى على صاحبه ، وفيه الترغيب في الجلوس مع أهل السنة والأثر والسماع لهم وقراءة كتبهم ،وسؤالهم ،فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم

٩٢ – واعلم أنه ما عبد الله بمثل الخوف من الله وطريق الخوف والحذر والشفقات والحياء من الله تبارك وتعالى واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة ويخلو مع النساء وطريق المذهب فإن هؤلاء كلهم في ضلالة

فيه بيان المذهب الصحيح في السلوك والتزكية وأن الله يعبد بالخوف والرجاء كل في مناطة ووقته كما فصلنا ذلك ،فيه التحذير من طريقة المبتدعة والمتصوفة المنحرفة الذين يجيزون المحرمات باسم الذكر والدعاء ،كالموسيقى والغناء والاختلاط بالنساء والخلوة بهن من غير محرم وغير ذلك مما نراه في بدعهم الذين يسمونها حلقات الذكر والخلوات

٩٣ - واعلم أن الله تعالى دعا الخلق كلهم إلى عبادته ومَن مِن بعد ذلك على من يشاء بالإسلام تفضلا منه

الله خلق الخلق لعبادته وتوحيده وحده لا شريك له فقال (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ودعاهم إلى عبادته في أول أمر لهم في القرأن فقال (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ) وقال سبحانه (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)وقال عز وجل (وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ)ثم هدى الله بمنه وكرمه وتفضله على من يشاء من عباده بالإسلام فذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده إلى صراطه المستقيم

٩٤ – والكف عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير رحمهم الله أجمعين ومن كان معهم لا تخاصم فيهم وكل أمرهم إلى الله تعالى فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إياكم وذكر أصحابي وأصهاري وأختاني وقال إن الله تعالى نظر إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

من مذهب أهل السنة والجماعة وعقيدتهم في الصحابة الترضى عنهم جميعاً ومحبتهم جميعاً والكف عن ما شجر بينهم ،وذكرهم بكل خير، ونفى عنهم كل شر ،ولا يطلق اللسان فيما وقع بينهم ،فهم عن اجتهاد مغفوراً لهم ،وموطن سلمك الله منه ولم تشهد ولم تحضر فأمسك لسانك وكل أمرهم وفوضه إلى الله تعالى ،فربهم أعلم بهم وقد رضى عنهم وغفر لهم ،ويشير ال المصنف رحمه الله على حديث سهل بن سعد الساعدى في مجمع الزوائد وتاريخ دمشق أنه (لمّا قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ مِن حَجَّةِ الوداع صعِد المنبرَ فحمِد اللهَ وأثنى عليه ثمَّ قال أيُّها النّاسُ إنَّ أبا بكرٍ لم يسُؤْني قطُّ فاعرِفوا ذلك له يا أيُّها النّاسُ إنِّي عن أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ وطلحةَ والزُّبَيرِ وسَعْدٍ وعبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ والمهاجرين والأنصارِ راضٍ فاعرِفوا ذلك لهم أيُّها النّاسُ احفَظوني في أصحابي وأصهاري وأَخْتاني لا يطلُبَنَّكم اللهُ بمَظلمةٍ منهم أيُّها النّاسُ ارفَعوا ألسنتَكم عنِ المسلمين وإذا مات أحَدٌ منهم فقولوا فيه خيرًا)وهو حديث ضعيف ، إنما الوارد -وهو بطريق حسن- قول النبي ﷺ: (وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا)، وكذلك أحاديث أخرى مثل: (لا تسبوا أصحابي)، وغيرها أحاديث كثيرة تنهى عن أن نقع في أشخاص أصحاب رسول الله ﷺ أو في جماعاتهم أشد النهي.أما حديث أهل بدر فقد ورد في قصة حاطب رضى الله عنه فهو في الصحيحين (وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أنْ يَكونَ قَدِ اطَّلَعَ على أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)

٩٥ - واعلم أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه وإن كان مع رجل مال حرام فقد ضمنه لا يحل لأحد أن يأخذ منه شيئا إلا بإذنه فإنه عسى أن يتوب هذا فيريد أن يرده على أربابه فأخذت حراما

المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ،(فلا يحلُّ مالُ امرئٍ إلّا بطِيبِ نفسٍ منه) فيحرم على المسلم الأخذ من مال أخيه المسلم إلا بعد أذنه إذنا واضحاً صريحاً لا لبس فيه ولا احتمال ، حتى وإن كان مع رجل مال حرام أو مصدره حرام فهو ضامن له لا يحل لأحد أن يأخذ منه شيئاً ربما يتوب فيرده لأصحابه أو ينفقه في موضعه ثواباً لهم فهو في ذمته ،فما ليس ملك لك فلا يحل لك ،وما كان لغيرك فلا يحل لك ، وبأى حق تأخذ ما ليس لك ، بعض العوام يظن أن السرقة من السارق حلال ويقولون أن السارق

سرق هذا المال فيجوز لى أن أسرقه منه !! كيف وأنت تعلم أنه مال مسروق يعنى مال حرام فكيف يحل لك المال الحرام ،السارق سرقه ووزره على نفسه ،فهذا حرام ومن أكل أموال الناس بالباطل قال تعالى (وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)وقال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)

٩٦ - والمكاسب ما بان لك صحته فهو مطلق إلا ما ظهر فساده فإن كان فاسدا يأخذ من الفاسد ممسكة نفسه ولا تقول اترك المكاسب وآخذ ما أعطوني لم يفعل هذا الصحابة ولا العلماء إلى زماننا هذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كسب فيه بعض الدنية خير من الحاجة إلى الناس

الأصل في المكاسب والمهن والحرف وطلب الرزق والسعى على المعاش الحل ما لم يكن حراما أو مشتبهاً ،فالحرام حراماً ،والمشتبه مكروه يجب تركه من باب البعد عن الشبهات ،والاستبراء للدين والعرض ،والحرص على الحلال الطيب ، إلا ما ظهر لك فساده حرمة وشبهة ، فيجب البعد عنه لحديث(الحلال بين والحرام بين) فالمكاسب مطلقة، ما بان لك صحته فهو حلال، إلا ما ظهر فساده كالربا والرشوة والغش والخداع فهى حرام

(وإن كان فاسداً يأخذ من الفاسد ممسكة نفسه)، أي :إذا لم يجد مالاً حلالاً يأخذ من الحرام، على قدر الضرورة ما يمسك به نفسه ويقيم به أوده، ولا يأخذ زيادة على ما يسد به حاجته ،كأكل الميتة عند الهلكة والضرورة تقدر بقدرها ،(يأخذ من المال الفاسد ما تقوم به نفسه عند الضرورة)

(ولا تقول اترك المكاسب وآخذ ما أعطوني)كما يفعله بعض الصوفية العالة وبعض الناس من تركهم العمل والتكسب والسعى على المعاش بحجة التفرغ للعبادة والزهد في الدنيا ويضيعون من تجب عليهم نفقتهم من الزوجة والأولاد والوالدين وغيرهم ، وهذا كان منتشراً بين المبتدعة والبطالون ، فالله جل وعلا شرع لنا الكسب وأمر بالكسب وكره البطالة والتعطل من العمل وكره المسألة أيضا إلا من عاجز مضطر يقول سبحانه: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ

رِزْقِهِ)[الملك:15]، فجعل الأرض ذلولًا مهيأة ممهدة مسهلة مذللة لكم تمشي عليها على أقدامك وعلى مركوباتك من دواب وغيرها تطلب الرزق، فهي مذللة تمشي في مناكبها لطلب الرزق، تسافر على قدميك على سيارتك على دابتك، تطلب الرزق احتشاش احتطاب صيد تجارة إلى غير ذلك، وبين I أن بعض العباد يضرب في الأرض يبتغون من فضل الله، وآخرون مرضى، وآخرون يقاتلون، كل ذلك يبين لعباده أن عليهم أن يتصرفوا ويعملوا، (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ) لطلب الرزق، والنبي عليه الصلاة والسلام قال لما سئل أي الكسب أطيب؟ قال: عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور، فعمل الرجل بيده من أطيب الكسب، يكون نجارًا خرازًا حدادًا زراعًا إلى غير ذلك، وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري في الصحيح: (ما أكل أحد طعامًا أفضل من أن يأكل من عمل يده) وكان نبي الله داود يأكل من عمل يده عليه الصلاة والسلام، وهكذا الأنبياء يأكلون من عمل أيديهم، كان نوح نجارًا، وكان زكريا نجارًا، يعملان ويكدحان، وكان داود أيضًا حدادًا يصنع الدروع ويأكل من ثمنها، هكذا بقية الصنائع: خياط، كاتب، إلى غير هذا مما يحتاجه الناس ويترتب عليه الرزق، وهكذا التجارة، وهكذا الزراعة، وهكذا أنواع المكاسب المباحة، حتى يستغني الإنسان عن الحاجة إلى الناس، أما السؤال فهو شر إلا عند الضرورة، وما قاله الله سبحانه وتعالى في السائل:(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) [الذاريات:19] هذا السائل المحتاج، أما السائل الذي قد أغناه الله ليس له أن يسأل، بل هو ظالم لنفسه في سؤاله، إلا إذا عجز لمرض أوغيره أو عدم وجود مكاسب، فحينئذ يساعده إخوانه ويواسونه حتى يجد مكسبًا، وقال عليه الصلاة والسلام:(لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجه خير له من سؤال الناس اعطوه أو منعوه،)

فينبغي للمؤمن أن يحرص على الكسب وطلب الرزق بالوسائل المباحة التي أباحها الله وأحلها وليحذر السؤال إلا من ضرورة كما بينه النبي عليه الصلاة والسلام.

٩٧ - والصلوات الخمس جائزة خلف من صليت إلا أن يكون جهميا فإنه معطل وإن صليت خلفه فأعد صلاتك وإن كان امامك يوم الجمعة جهميا وهو سلطان فصل خلفه وأعد صلاتك وإن كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سنة فصل خلفه ولا تعد صلاتك

الصلوات الخمس واجبة في مساجد المسلمين خلف الخليفة وإمام المسلمين وأمير المؤمنين أو ما ينوب عنه وشرط قبول الصلاة خلفه أن يكون مسلماً أما إن كان الإمام جهمياً خالصاً فلا تصح الصلاة خلفه وإن صلى خوفا وإكراهاً فيعيد صلاته ، أما إن كان ليس خليفة ولكن إمام المسجد فلا يصلى أصلا وعليه أن يتحرى مساجد السنة

٩٨ – والإيمان بأن أبا بكر وعمر رحمة الله عليهما في حجرة عائشة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم قد دفنا هنالك معه فإذا أتيت القبر فالتسليم عليهما بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم واجب

هذا من عقيدة أهل السنة والجماعة أن شيخى الإسلام الصديق والفاروق دفنا في الحجرة النبوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافاً للروافض فإن زرت مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليهما

٩٩ – والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إلا من خفت سيفه وعصاه والتسليم على عباد الله أجمعين

وهذا سبب خيرية الأمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بضوابطه الشرعية عند أهل السنة والجماعة خلافا للمبتدعة ، إلا إذا خفت من سيف السلطان أو عصا وسوط الأمير والوالى وهو واجب كفائى عند القدرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)وله شروط معلومة من تحقيق المصالح ودرء المفاسد وقدرة واستطاعة وعلم ، والقاء السلام على المسلم سنة إسلامية نقضها الغلاة

١٠٠ – ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذر فهو مبتدع والعذر كمرض لا طاقة له بالخروج إلى المسجد أو خوف من سلطان ظالم وما سوى ذلك فلا عذر لك ومن صلى خلف إمام فلم يقتد به فلا صلاة له

مر معنا أن صلاة الجماعة واجبة في المسجد وفى السفر ومع الأهل في البيت لعذر، وفى العمل ،فالأصل أن صلاة الجماعة واجبة وجوبًا عينيًّا على الرِّجال، وهو مذهبُ الحَنَفيَّة والحَنابِلَة، ووجهٌ عند الشافعيَّة ، وهو قولُ طائفةٍ من السَّلفِ، اختارَه البخارى ، وابنُ المنذرِ، وابن حزم ، و وابن تيمية ودليل ذلك ما ثبت في الصحيحين والمسند عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقًا سمينًا أو مَرماتين حسنتين لشهد العشاء،) وفي رواية للبخاري أيضا(ثم آخذ شعلا من نار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد) ولأحمد في المسند (ثم آمر بأناس لا يصلون معنا فتحرق عليهم بيوتهم)وله أيضًا(ثم أخرج بفتياني معهم حزم الحطب فأحرق على قوم في بيوتهم يسمعون النداء ثم لا يأتون الصلاة) قال ابن المنذر رحمه الله في الأوسط(وفي اهتمامه بأن يحرق على قوم تخلفوا عن الصلاة بيوتهم أبين البيان على وجوب فرض الجماعة؛ إذ غير جائز أن يحرق الرسول الله صلى الله عليه وسلم من تخلف عن ندب وعما ليس بفرض)، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال(أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال(يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له، فلمَّا ولَّى دعاه فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال نعم. قال: فأجب) ومنها: ما رواه أبو داود وابن ماجه، واللفظ له، وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر) والحديث رواه الحاكم وقال :صحيح على شرط الشيخين،والعذر خوف أو مرض أو مطر،وما جعل الإمام إلا ليؤتم به ،فمن خالف الأمام بطلت صلاته

١٠١ - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان والقلب بلا سيف والمستور من المسلمين من لم يظهر منه ريبة

وهذا هو المطلوب من المسلم من غير سيف ولا قتال لأن السيف من سمات أهل الأهواء والبدع فإن استعمال القتال بدعوى الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر من مناهج الخوارج ومن سلك سبيلهم، من الفرق المخالفة والمفارقة فإنها تسلك طريق الخروج على أئمة المسلمين الموحدين الحاكمين بالشريعة ، بل وعلى جماعاتهم وعامتهم، وهذا اعتقاد الخوارج والرافضة والجهمية والمعتزلة **(والمستور من المسلمين من لم يظهر منه ريبة)**لأن الأصل في المسلم السلامة في عقيدته وفي أعماله ما دام مظهرًا لشعائر الإسلام، فلا يفتش عما وراء ذلك ولا يمتحن لا في قوله ولا في اعتقاده، ولا تتبع أعماله وأفعاله ،لأنها تبنى على السلامة وحسن القصد،فلا يتقف في المسلم الذى ظهرت منه شعائر الإسلام ولم تظهر منه نواقض ولم تثبت عليه فهو باق على أصله ،وفيه رد على بدعة التوقف

١٠٢ - وكل علم إدعاه العباد من علم الباطن لم يوجد في الكتاب ولا في السنة فهو بدعة وضلالة لا ينبغي لأحد أن يعمل به ولا يدعو إليه
وهذا فيه التمسك بالوحيين ومصادر التلقى عند أهل السنة خلافا للفرق الضالة المبتدعة كالباطنية والصوفية

١٠٣ – وأي امرأة وهبت نفسها لرجل فإنها لا تحل له يعاقبان إن نال منها شيئا إلا بولي وشاهدي عدل وصداق
وهذا مر معنا في شروط الزواج والرد على الروافض وزاج المتعة أو بغير ولى وفصلنا في هذه الظاهرة التي انتشرت بين الشباب من العلاقات المحرمة دون علم الأهل ولا موافقة الولى ولهم فيها حيل تبعاً للهوى والشهوة

١٠٤ - وإذا رأيت الرجل يطعن على أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى لقول رسول صلى الله عليه و سلم إذا ذكر أصحابي فأمسكوا فقد علم النبي صلى الله عليه و سلم ما يكون منهم من الزلل بعد موته فلم يقل فيهم إلا خيرا وقال ذروا أصحابي لا تقولوا فيهم إلا خيرا ولا تحدث بشيء من زللهم ولا حربهم ولا ما غاب عنك علمه ولا تسمعه من أحد يحدث به فإنه لا يسلم لك قلبك إن سمعته
مر معنا منزلة الصحابة والامساك عما شجر بينهم

١٠٥ - وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار أو يرد الآثار أو يريد غير الآثار فاتهمه على الإسلام ولا تشك أنه صاحب هوى مبتدع
الأصل التسليم للنصوص والانقياد لما دلت عليه اعتقادا وقولا وعملا هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافا للمبتدعة الذين يؤولونها ويحرفونها كالأشاعرة والمعتزلة ،أو يشككون فيها كالرافضة ،أو يطعنون فيها كالعلمانيين ومنكرى السنة وكلها فرق ضالة مبتدعة

١٠٦ - واعلم أن جور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله التي افترضها على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم جوره على نفسه وتطوعك وبرك معه تام إن شاء الله تعالى يعني الجماعة والجمعة والجهاد معهم وكل شيء من الطاعات فشاركهم فيه فلك نيتك له
مر معنا الكلام على السلطان وشرط الولاية وأنواع الحكام الثلاثة وشرط الطاعة في المعروف ،وقلنا أن الأصل الإسلام وتحكيم الشريعة

١٠٧ – وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله يقول فضيل بن عياض لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها الا في السلطان قيل له يا أبا علي فسر لنا هذا قال إذا جعلتها في نفسي لم تعدني وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين
هذا يحمل على السلطان المسلم الذى له بيعة صحيحة المحكم للشرع ،وإن جار أو ظلم لكنه حاكم مسلم لم يبدل ولم يغير حكم الله ولم يخرج من الإسلام بنواقض مكفرة ،هذا الحاكم المسلم تدعوا له وتسمع وتطيع
١٠٨ - ولا تذكر أحدا من أمهات المؤمنين إلا بخير
وهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة الترضى عن أمهات المؤمنين زوجات سيد المرسلين وعدم تنقصهن فهذا يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفى ثناء الله عليهن ويكفى في فضلهن أنهن أزواج رسولنا الكريم في الدنيا

والأخرة، فأمهات المؤمنين: كنية كرَّم بها القرآن الكريم أزواج النبي صلَّى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: 6]، وكان الهدف من إطلاق هذه الكنية على أزواج النبي تقرير حرمة الزواج بهن بعد مفارقته صلَّى الله عليه وسلم وهو الحكم الوارد في قوله تعالى{وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُواْ أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا} [الأحزاب: 53]. وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة زوجة **هن: 1- خديجة بنت خويلد 2- سودة بنت زمعة 3- عائشة بنت أبي بكر الصديق 4- حفصة بنت عمر 5- زينب بنت خزيمة 6- أم سلمة بنت أبي أمية 7- جويرية بنت الحارث 8- زينب بنت جحش 9- أم حبيبة بنت أبي سفيان 10- ميمونة بنت الحارث 11- صفية بنت حيي بن أخطب.**رضى الله عنهن جميعاً ومات منهن اثنتين في حياته أمنا خديجة رضى الله عنها وأمنا زينب بنت خزيمة رضى الله عنها ،وقد وضعت الشريعة نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دائرة الأمومة، بمعنى أن كل امرأة تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحمل لقب "أم المؤمنين" فيقال: أم المؤمنين خديجة وأم المؤمنين أم سلمة وأم المؤمنين حفصة وأم المؤمنين صفية وأم المؤمنين عائشة ، قال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُم }

أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن؛ عشن في بيت النبوة، وخدمن النبي صلى الله عليه وسلم، ونقلن عنه أقواله وأفعاله وأحواله في خاصة بيته وأهله، وهو علم لم يصل إلينا إلا عن طريقهن، ومناقبهن كثيرة، وفضائلهن عديدة، وما اختارهن الله تعالى لبيت النبوة إلا لفضلهن ومناقبهن:

ومن فضائل أمهات المؤمنين: أن الله تعالى اختارهن زوجات لنبيه صلى الله عليه وسلم، ووصفهن بهذا الوصف في كتابه العزيز {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ} [الأحزاب: 50] {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ} [الأحزاب: 28] وناداهن بنساء النبي فقال سبحانه {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ} [الأحزاب: 30] وهذا شرف عظيم لهن حين نوه الله تعالى بذكرهن في كتاب يتلى إلى آخر الزمان، ونسبهن فيه لخاتم الأنبياء والمرسلين.

ومن فضائل أمهات المؤمنين: أن الله تعالى لما اختارهن لنبيه صلى الله عليه وسلم كنّ على قدر المسئولية، وأدركن قيمة ذلك الشرف العظيم؛ وذلك حين خيرهن النبي صلى الله عليه وسلم بين العيش معه على القلة والحرمان، وبين متاع الدنيا؛ فاخترن الله ورسوله؛ كما في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي، فَقَالَ: إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ، قَالَتْ: قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 28- 29]، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ» رواه الشيخان. وقد أدخلن السرور على النبي صلى الله عليه وسلم باختيارهن له دون الدنيا ومتاعها، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «فَسُرَّ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْجَبَهُ»، فمن أعظم مناقبهن أنهن رضي الله عنهن قد أدخلن السرور على خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم. ونتيجة لهذا الاختيار صبرن على شظف

العيش، وقلة الدنيا؛ إذ كان يمر الشهر والشهران لا يوقد في بيوتهن نار للطبخ، ويرضين بما رضي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو التمر والماء.

ومن فضائل أمهات المؤمنين: أن الله تعالى لما اختارهن لنبيه صلى الله عليه وسلم حمّلهن من المسئولية أعظم من غيرهن من النساء، وجعلهن في منزلة أعلى من منزلة غيرهن، فضاعف لهن العقوبة في حال الإساءة، كما ضاعف لهن الأجر في حال الإحسان، وقد كن محسنات، فنلن الأجر مضاعفا {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا}[الأحزاب: 30- 32]. وقد فُسِّر الرزق الكريم المعد لهن بأنه الجنة؛ فهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة كما كن زوجاته في الدنيا.

ومن فضائل أمهات المؤمنين: أن الله تعالى أكرمهن بقوله سبحانه {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ} [الأحزاب: 52]، جاء عن جمع من السلف أن «هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ مُجَازَاةً لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِضًا عَنْهُنَّ، عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِنَّ فِي اخْتِيَارِهِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ... فَلَمَّا اخْتَرْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ جَزَاؤُهُنَّ أَنَّ اللَّهَ قَصَره عَلَيْهِنَّ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِغَيْرِهِنَّ، أَوْ يَسْتَبْدِلَ بِهِنَّ أَزْوَاجًا غَيْرَهُنَّ، وَلَوْ أَعْجَبَهُ حُسْنُهُنَّ، إِلَّا الْإِمَاءَ وَالسَّرَارِيَ فَلَا حَجْرَ عَلَيْهِ فِيهِنَّ. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى رَفَعَ عَنْهُ الْحَجْرَ فِي ذَلِكَ، وَنَسَخَ حُكْمَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَأَبَاحَ لَهُ التَّزَوُّجَ، وَلَكِنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ تَزَوّج لِتَكُونَ الْمِنَّةُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ». وَبَيَّنَ حُكْمَهُنَّ عَنْ غَيْرِهِنَّ فَقَالَ سبحانه: {وما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ

تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً} [الأحزاب: 53]. فلم يحل لهن الزواج بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

ومن فضائل أمهات المؤمنين: أن الله تعالى فضلهن على عموم النساء، وخاطبهن بهذا التفضيل في كتاب يتلى إلى آخر الزمان؛ ليعلم به كل قارئ للقرآن فقال سبحانه {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ} [الأحزاب: 32]. وقد اتقين الله تعالى رضي الله عنهن وأرضاهن، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «يُرِيدُ لَيْسَ قَدْرُكُنَّ عِنْدِي مِثْلَ قَدْرِ غَيْرِكُنَّ مِنَ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ، أَنْتُنَّ أَكْرَمُ عَلِيَّ، وَثَوَابُكُنَّ أَعْظَمُ لَدَيَّ». «وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُنَّ اتَّصَلْنَ بِالنَّبِي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام اتِّصَالًا أقرب مِنْ كُلِّ اتِّصَالٍ، وَصِرْنَ أنيساته، ملازمات شؤونه، فَيَخْتَصِصْنَ بِاطِّلَاعِ مَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ غَيْرُهُنَّ مِنْ أَحْوَالِهِ وَخُلُقِهِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَه، وَيَتَخَلَّقْنَ بِخُلُقِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَقْتَبِسُ مِنْهُ غَيْرُهُنَّ، وَلِأَنَّ إِقْبَالَهُ عَلَيْهِنَّ إِقْبَالٌ خَاصٌّ«

ومن فضائل أمهات المؤمنين: أن الوحي كان يتنزل في بيوتهن؛ فمن حجرهن نبعت كثير من آيات القرآن التي نتلوها بعد قرون متتابعة من نزولها، وقد نوه الله تعالى بتلك الميزة لهن فقال سبحانه {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [الأحزاب: 34].

أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من آل بيته الذين نوه الله تعالى بهم في قوله تعالى {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: 33] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة». وعن أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رضي الله عنه أَنَّهُمْ قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا

صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» رواه الشيخان.

فحري بأهل الإيمان أن يعرفوا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم فضلهن وخصائصهن؛ فإنهن أمهاتهم بنص القرآن {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: 6] وأن يربوا نساءهم وبناتهم وأخواتهم على سيرهن رضي الله عنهن وأرضاهن، فنعم السيرة سيرهن، ونعم الأخبار أخبارهن. فهن النساء العظيمات في هذه الأمة، حفظن النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، ولم تفش واحدة منهن سرّه، واخترنه على الدنيا وزينتها، ونقلن لنا ما كان من أقواله وأفعاله وأحواله في بيته، وخاصة نسائه.وكان ولاؤهن للنبي صلى الله عليه وسلم أعظم من ولائهن لآبائهن وعشائرهن؛ فصفية بنت حيي قتل أبوها وأخوها وزوجها على أيدي المسلمين، ومع ذلك اختارت النبي صلى الله عليه وسلم حين خيرها، فأعتقها وتزوجها، فكانت نعم الزوجة له. وكذلك جويرية بنت الحارث التي قتل أبوها على الشرك، وكان ابنة سيد قومها، فاختارت النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلمت وتزوجته وكانت نعم الزوجة له. ثم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كن رضي الله عنهن القانتات العابدات، الزاهدات في الدنيا، المنفقات في سبل الخير، وأخبارهن في ذلك غزيرة. وما أجمل أن تقرأ سيرهن في البيوت وعلى النساء والبنات.(وقد فصلت ذلك في كتاب فضائل الصحابة وأمهات المؤمنين وبنات سيد المرسلين)فلا نطيل هنا ولكن ذكرها المؤلف من باب الرد على الفرق الضالة المبتدعة التي تقدح في زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الروافض وبعض الخوارج

١٠٩ - وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في جماعة مع السلطان وغيره فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة وإن كان مع السلطان فاعلم أنه صاحب هوى
من علامات أهل السنة أنهم يحرصون على أداء الجمع والجماعات في المساجد مع المسلمين ،مع السلطان وغيره ،فهم يعرفون قدر الصلاة ومنزلتها عند الله ، وأهل البدع لا يصلون في المساجد مع المسلمين ويتهاونون في الصلاة حتى وإن كانوا مع السلطان يبايعونه وله عليهم بيعه ،أو كانوا معه من حاشيته وأتباعه ،فهذا علامة أنهم قوم سوء

١١٠ – والحلال ما شهدت عليه وحلفت عليه أنه حلال وكذلك الحرام ما حاك في صدرك فهو شبهة
وهذا كما قال رسول الله في الصحيح (الحلال بين والحرام بين) وهو ما ثبت بالشرع وما أحله الله ورسوله فهو حلال إلى يوم القيامة ،وهو ما تيقنت أنه حلال وشهدت شهادة علم ويقين أنه حلال ، وكذلك الحرام ما حرمه الله ورسوله إلى يوم القيامة فهذه أحكام الله ثابتة لا تتبدل ولا تتغير خلاف الفتوى فهى تتغير بتغير الزمان والمكان والأشخاص وترجع إلى معرفة الحال ،وكذلك الحرام والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)وهذه فطرة سليمة تعرف بها مع الشرع ما يخالف دين الله

١١١ - والمستور من بان ستره والمهتوك من بان هتكه وإذا سمعت الرجل يقول فلان ناصبي فاعلم أنه رافضي وإذا سمعت الرجل يقول فلان مشبه أو فلان يتكلم بالتشبيه فاعلم أنه جهمي وإذا سمعت الرجل يقول تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد فاعلم أنه خارجي معتزلي أو يقول فلان مجبر أو يتكلم بالإجبار أو تكلم بالعدل فاعلم أنه قدري لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل البدع وقال عبد الله بن المبارك لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئا ولا عن أهل الشام في السيف شيئا ولا عن أهل البصرة في القدر شيئا ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئا ولا عن أهل مكة في الصرف ولا عن أهل المدينة في الغناء لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئا وهذا فيه أن أحكام الدنيا تجرى على الظاهر من إسلام وكفر

وفيه كذلك أن المبتدعة دائماً يلمزون أهل السنة ويصنفونهم ويحزبونهم ويجرحونهم وينفرون الناس منهم هكذا المبتدعة

١١٢ – وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة وأنس بن مالك وأسيد بن حضير فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله وإذا رأيت الرجل يحب أيوبا وابن عون ويونس بن عبيد وعبد الله بن ادريس الأودي والشعبي ومالك بن مغول ويزيد بن زريع ومعاذ بن معاذ ووهب بن جرير وحماد بن زيد وحماد بن سلمة ومالك بن أنس والأوزاعي وزائدة بن قدامة فاعلم أنه صاحب سنة وإذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل والحجاج بن المنهال وأحمد بن نصر وذكرهم بخير وقال قولهم فاعلم أنه صاحب سنة

وهذا من علامة أهل السنة أنهم يحبون صاحب السنة لتمسكه واعتصامه بالوحيين قولا وعملا ،وفيه أن أهل السنة يحبون بعضهم بعضا ويثنون على بعضهم البعض بخير وهذا من سلامة صدورهم وحبهم لله وفى الله

١١٣ – وإذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذره واعرفه فإن جلس معه بعدما علم فاتقه فإنه صاحب هوى

وفيه التحذير من البدعة وأصحابها ،وفيه التبين ممن يجلس مع أهل البدع والأهواء فربما جلس معهم وهو لا يعلم بحالهم فعرفه وانصحه وبين له حال هؤلاء المبتدعة ،فإن جلس معهم بعد علمه بحالهم فهو مبتدع

١١٤ – وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ويريد القرآن فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة فقم من عنده ودعه

لأن السنة وحى وقد تقدم الكلام على ذلك في أول الرسالة ،فمن رد السنة رد القرأن وكفر بهما جميعا مثل القرآنيون وغيرهم ممن يطعنون في السنة وحملتها من الصحابة وأهل العلم ،ومن طعن في السنة فهو زنديق منافق

١١٥ - واعلم أن الأهواء كلها ردية تدعو إلى السيف وأردؤها وأكفرها الرافضة والمعتزلة والجهمية فإنهم يريدون الناس على التعطيل والزندقة

هذا فيه ذم البدع كلها فإنها ضلال وأشدها بدعة تلك التي ترى السيف في الأمة ولا تراعى المصالح والمفاسد ولا تفرق بين الجور والظلم والأثرة وبين الكفر والردة مثل الخوارج وأهل الغلو ،وكذلك المرجئة كما حدث في فتنة بن الاشعث ،وهذا عجيب منهم ،فإن مذهبهم على التمييع والتساهل ومرضاة الحكام والسير في هواهم ،ولعل هذا منهم كان في مناط خاص ولم يتكرر ، والرافضة والمعتزلة والجهمية أهل بدعة وتأويل وهنا المصنف رحمه الله فرق بين الجهمية المحضة وبين غيرها ممن يشاركها في بعض صفاتها كالمعتزلة والأشاعرة

١١٦ – واعلم أنه من تناول أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فاعلم أنه إنما أراد محمدا صلى الله عليه و سلم وقد آذاه في قبره وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع فاحذره فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر وإذا رأيت الرجل رديء الطريق والمذهب فاسقا فاجرا صاحب معاص ظالما وهو من أهل السنة فاصحبه واجلس معه فإنه ليس تضرك معصيته وإذا رأيت الرجل عابدا مجتهدا متقشفا محترفا بالعبادة صاحب هوى فلا تجلس معه ولا تسمع كلامه ولا تمشي معه في طريق فإني لا آمن أن تستحلي طريقه فتهلك معه رأى يونس بن عبيد ابنه وقد خرج من عند صاحب هوى فقال يا بني من أين خرجت قال من عند عمرو بن عبيد قال يا بني لأن أراك خرجت من بيت خنثى أحب إلي من أن أراك خرجت من بيت فلان وفلان ولأن تلقى الله زانيا سارقا خائنا أحب إلي من أن تلقاه بقول أهل الأهواء أفلا تعلم أن يونس قد علم أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه وأن صاحب البدعة يضله حتى يكفره

وهذا فيه التحذير من البدع وهى أخطر من المعاصى ،فأهل المعاصى تصحبهم مصاحبة مضطر وليس مصاحبة منادمة وسمر ومجالسة صاحب ،فهذا ليس مراد المؤلف ولا يدعو إليه ،بل القصد أن يحذر من مصاحبة المبتدع والجلوس معه والاستماع منه ،أما صحاب المعصية فلا تؤثر فيك تأثير البدعة ،وهذا فيه الموازنة بين المفاسد وليس إقرارها جميعا ،فالدخول على الهيتى وهو الخنثى أقل ضرراً من الدخول على صاحب البدعة ،وفى كلاهما شر وخطر على دين المرء ، ولكن بعضها أشد من بعض ،وهذا فيه

هدى السلف من التحذير من المبتدعة واعتزالهم وهجرهم ،وفيه تربية الأبناء على عقيدة أهل السنة والجماعة ومجانبة المبتدعة وأهل الأهواء

١١٧ – فاحذر ثم احذر أهل زمانك خاصة وانظر من تجالس وممن تسمع ومن تصحب فإن الخلق كأنهم في ردة إلا من عصم الله منهم وإذا رأيت الرجل يذكر ابن أبي داؤد والمريسي أو ثمامة وأبا الهذيل وهشام الفوطي أو واحدا من أتباعهم وأشياعهم فاحذره فإنه صاحب بدعة وإن هؤلاء كانوا على الردة واترك هذا الرجل الذي ذكرهم بخير

هذا مثل الذى قبله من التحذير من البدعة وأهلها ورؤوس المبتدعة ، وفيه ذكر المبتدع باسمه إذا زاع صيته وانتشر شره فيجب التحذير منه ومن بدعته حتى يحذره من لا يعرفه ،وهؤلاء المبتدعة الذين ذكرهم المصنف رحمه الله كانوا مشهورين ببدعتهم وكانوا رؤوساً في الضلال فابن أبي دؤاد وهو رئيس المعتزلة وكان قاضياً في زمن المأمون، واسمه أحمد بن أبي دؤاد وهو معتزلي؛ وكذلك بشر المريسي، وهو جهمي تنسب إليه المريسيةو ثمامة بن أشرف البصري وهو من رءوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن.وأبو الهذيل ،محمد بن الهذيل العلاف البصري وهو رأس المبتدعة.وهشام الفوطى قد مر معنا ،ولكن مع ذلك كان فيهم من خصال الخير كالكرم والحلم والزهد والبلاغة وقوة الحجة والذكاء والعقل وقوة الحفظ وظهورهم وشدتهم على الملاحدة مثلا فيغتر بهم العوام الذين لا يعرفون حالهم وينخدعوا بهم وبمظهرهم فيذكرونهم بخير مما ظهر لهم من خصال حميدة فيقعوا في المحذور ويوالونهم ويدافعون عنهم بجهل حالهم ،فكان من النصح ونشر الحق ذكر المبتدعة بأسمائهم ليحذرهم من لا يعرف حالهم ، وفيه أن أنصاف أهل السنة في حكمهم على المخالفين ، وفيه أن الرجل الفاضل يخفى عليه حال المبتدع فيدافع عنه ويحسبه الجاهل على عقيدة فوجب البيان ،لأن الحكم لا يثبت إلا بعد العلم والقدرة على العمل به

١١٨ - والمحنة في الإسلام بدعة وأما اليوم فيمتحن بالسنة لقوله إن هذا العلم دين فانظروا ممن تأخذون دينكم ولا تقبلوا الحديث الا ممن

تقبلون شهادته فانظر إن كان صاحب سنة له معرفة صدوق كتبت عنه وإلا تركته

المحنة هي اختبار الناس في عقيدتهم وما هم عليهم كما امتحن المأمون الناس في مسألة خلق القرأن عندما سيطر عليه المعتزلة ومالوا به وبالدولة كلها إلى مذهب الاعتزال عندما ترجموا كتب فلاسفة اليونان فامتحن الناس في ذلك فمن وافقهم تركوه ،ومن خالفهم وتمسك بالسنة وجهر بها أخذوه وعذبوه وسجنوه وقتلوه ،فكانت فتنة شديدة ومحنة عصيبة على أهل السنة ،فامتحان الناس من عقائد أهل البدع والأهواء والغلو والتوقف والتبين ،كما هو واقعنا الأن مع المبتدعة ،وقد فصلنا ذلك في كتاب الجامع في الرد على الخوارج وأهل الغلو في التكفير والتوقف والتبين ، الشاهد أن اليوم الناس يمتحنون بالسنة والتمسك بها ،فمن ظهرت عليه السنة والعمل بها أُخذ منه وقبل قوله ،كما ثبت عن ابن سيرين قوله كما في مقدمة صحيح مسلم (**قال ابن سيرين رحمه الله إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم .)** فلا يؤخذ العلم إلا من موثوق به ، ويعرف هذا بأمور قد ذكر العلماء طرقًا يعرف بها العامي أن "فلانا" من أهل العلم الذين يجوز له أن يستفتيه ، فمن ذلك:

= أن يخبره عدل بذلك.

= أن يتصدى هذا الشخص للفتيا ولا ينكر عليه ذلك أحد من العلماء.

= أن يشتهر هذا الشخص بالعلم بين الناس، ويأخذون عنه.

قال ابن قدامة رحمه الله في روضة الناظر "ولا يستفتي العاميُّ إلا من غلب على ظنه أنه من أهل الاجتهاد، بما يراه من انتصابه للفتيا بمشهد من أعيان العلماء ، وأخذ الناس عنه ، وما يتلمحه من سمات الدين والستر، أو يخبره عدل بذلك ،والعالم يدل عليه علمه وعمله به ،والمفتى يدل عليه فقهه وورعه ومعرفته بالواقع وأحوال الناس وضبطه للفتوى بمعرفة الحال من غير نكير من أهل العلم والاستقامة فلا يعتد برأيه فالعلم رحم بين أهله ،فإن كان متسرعاً في الفتوى مستقلا برأيه معتداً به مستطيلاً على

أقرانه متبعاً لهواه فهو لا يؤتمن على أعراض الناس وأموالهم ومعاملاتهم فيترك ولا يؤخذ عنه ويبين فساد مذهبه وسوء طريقته

١١٩ - وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السنة قبلك فاحذر الكلام وأصحاب الكلام والجدال والمراء والقياس والمناظرة في الدين فإن استماعك منهم وإن لم تقبل منهم يقدح الشك في القلب وكفى به قبولا فتهلك وما كانت قط زندقة ولا بدعة ولا هوى ولا ضلالة إلا من الكلام والجدال والمراء والقياس وهي أبواب البدع والشكوك والزندقة

هذا فيه التحذير من علم الكلام وأهله وأنه سبب كل ضلال في الأمة ومنه تشعبت الأهواء وظهرت الفتن وكثرت وانتشرت البدع وقد تقدم الكلام على التحذير من الكلام وأهله والتمسك بالسنة والأثر

١٢٠ – فالله الله في نفسك وعليك بالآثار وأصحاب الأثر والتقليد فإن الدين إنما هو التقليد يعني للنبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ومن قبلنا لم يدعونا في لبس فقلدهم واسترح ولا تجاوز الأثر وأهل الأثر وقف عند متشابه القرآن والحديث ولا تقس شيئا ولا تطلب من عندك حيلة ترد بها على أهل البدع فإنك امرت بالسكوت عنهم فلا تمكنهم من نفسك أما علمت أن محمد بن سيرين مع فضله لم يجب رجلا من أهل البدع في مسألة واحدة ولا سمع منه آية من كتاب الله عز و جل فقيل له فقال أخاف أن يحرفها فيقع في قلبي شيء

هذا فيه التمسك بالسنة والأصول الثلاثة المعصومة وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام ،والأصل الاتباع وليس التقليد ، فالتقليد مذموم من غير دليل لمن تأهل لمعرفته ،فقول المصنف رحمه الله التقليد ،يقصد به اتباع الأثار والأصول الثلاثة المعصومة ،والتسليم لنصوص الوحيين ورد المتشابه الى المحكم والمجمل الى المفصل المبين،ولا يتبع المتشابه ولا يقاس بالعقل ولا يجادل بالباطل من غير علم ، ولا يعلل لم وكيف فأسماء الله توقيفية كما مر معنا ،وفيه هجران أهل البدع والفرار منهم وعدم تمكينهم من سمعك وقلبك ولا يمنعك ذلك من الرد عليهم وبيان بدعتهم من غير اجتماع بهم فربما مغمور وقول مهجور يظهر بك

١٢١ - وإذا سمعت الرجل يقول إنا نحن نعظم الله إذا سمع آثار رسول الله صلى الله عليه و سلم فاعلم أنه جهمي يريد أن يرد أثر رسول الله صلى الله عليه و سلم ويدفعه بهذه الكلمة وهو يزعم أنه يعظم الله وينزهه إذا سمع حديث الرؤية وحديث النزول وغيره أفليس قد رد أثر رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ قال إنا نحن نعظم الله أن ينزل من موضع إلى موضع فقد زعم أنه أعلم بالله من غيره فاحذر هؤلاء فإن جمهور الناس من السوقة وغيرهم على هذا الحال وحذر الناس منهم وإذا سألك الرجل عن مسألة في هذا الباب وهو مسترشد فكلمه وأرشده وإذا جاءك يناظرك فاحذره فإن في المناظرة المراء والجدال والمغالبة والخصومة والغضب وقد نهيت عن جميع هذا وهو يزيل عن طريق الحق ولم يبلغنا عن أحد من فقهائنا وعلمائنا أنه جادل أو ناظر أو خاصم قال الحسن الحكيم لا يماري ولا يداري حكمته ينشرها إن قبلت حمد الله وإن ردت حمد الله وجاء رجل إلى الحسن فقال أنا أناظرك في الدين فقال الحسن أنا قد عرفت ديني فإن كان دينك قد ضل منك فاذهب فاطلبه وسمع رسول الله صلى الله عليه و سلم قوما على باب حجرته يقول أحدهم ألم يقل الله كذا ويقول الآخر ألم يقل الله كذا فخرج مغضبا فقال أبهذا أمرتكم أم بهذا بعثت إليكم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فنهاهم عن الجدال وكان ابن عمر يكره المناظرة ومالك بن أنس ومن فوقه ومن دونه إلى يومنا هذا وقول الله عز و جل أكبر من قول الخلق قال الله تعالى وما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا وسأل رجل عمر بن الخطاب فقال ما الناشطات نشطا فقال لو كنت محلوقا لضربت عنقك وقال النبي صلى الله عليه و سلم المؤمن لا يماري ولا أشفع للمماري يوم القيامة ودعوا المراء لقلة خيره

فيه النهى عن الجدال مع أهل البدع فإنهم يردون الأثار ويكذبونها زاعمين تنزيه الرب وهكذا أهل البدع يظهرون عند التمسك بالقران والسنة ،وفيه النهى عن إجابة السائل إن كان مجادلا بالباطل فلا تجبه واهجره ،أما إن كان السائل مسترشدا يطلب الحق فجاوبه وبين له عسى الله أن يجعلك سبباً لهدايته ،والمقصود أن السلف كانوا يغلظون على أهل البدع وكان الحكام

والولاة يعزرونهم ويأدبونهم ويقطعون شرهم عن الناس ،أما الحديث الذى ذكره المصنف رحمه الله فهو حديث ضعيف ضعفه أهل العلم

١٢٢ – ولا يحل لرجل أن يقول فلان صاحب سنة حتى يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة فلا يقال له صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها قال عبد الله بن المبارك أصل اثنين وسبعين هوى أربعة أهواء فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوى القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ولم يتكلم في الباقين إلا بخير ودعا لهم فقد خرج من التشيع أوله وآخره ومن قال الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الأرجاء أوله وآخره ومن قال الصلاة خلف كل بر وفاجر والجهاد مع كل خليفة ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ودعا لهم بالصلاح فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره ومن قال المقادير كلها من الله عز و جل خيرها وشرها يضل من يشاء ويهدي من يشاء فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة

يعنى لصاحب السنة علامات وخصائص ومميزات يتميزون بها كما فصلنا ذلك في شرح معتقد وخصائص أهل السنة والجماعة في الدورة الخامسة ،ومن ذلك لا يكون صاحب سنة حتى يسلم من الرفض والتشيع والقدر والجبر والارجاء والغلو ،ولم يذكر الجهمية هنا لأنه لا يعدهم من فرق المسلمين فلا يكون صاحب سنة حتى يسلم من التشيع والرفض و يترضى عن الصحابة أجمعين وأمهات المؤمنين ويقدم الصديق ثم الفاروق ثم ذوالنورين ثم على رضى الله عنهم أجمعين ،ولا يكون صاحب سنة حتى يسلم من الإرجاء ويعتقد أن الإيمان قول وعمل والأعمال ركن في مسمى الإيمان وداخلة في الأصل والواجب والمستحب وأن تارك أعمال الجوارح بالكلية مع القدرة والتمكن وعدم العجز كافر وليس بمسلم كما سبق وفصلناه في أول هذه الرسالة ،ولم يكون صاحب سنة حتى يسلم من الغلو ويصلى وراء كل بر وفاجر ويجاهد مع كل خليفة مسلم ولا يخرج عليه بالسيف لجوره وظلمه ويعرض الأمة للفتن والمفاسد، ويدعوا لولى الأمر المسلم بالهداية والصلاة والبطانة الصالحة لأن هداية الحاكم وصلاحه صلاح للأمة

كلها كما يقول الفضيل بن عياض رحمه الله ،وسيأتى كلامه في أخر الرسالة كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ،ولم يتوقف فيمن ظهرت منه شعائر الإسلام ويحسن الظن بالمسلمين ويحمل اقوالهم وافعالهم على السلامة وحسن الظن ،فمن فعل ذلك فقد سلم من بدعة الخوارج كلها أولها وآخرها وليس صاحب سنة حتى يؤمن بالقدر خيره وشره كله والمقادير كلها من عند الله ،ويسلم ولا يعترض ولا يقدم لما وكيف من فعل ذلك فقد سلم من بدعة القدرية والمعتزلة ،وهو صاحب سنة

١٢٣ - وبدعة ظهرت هي كفر بالله العظيم ومن قال بها فهو كافر بالله لا شك فيه من يؤمن بالرجعة ويقول علي بن أبي طالب حي وسيرجع قبل يوم القيامة ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر ويتكلمون في الإمامة وأنهم يعلمون الغيب فاحذرهم فإنهم كفار بالله العظيم

قال طعمة بن عمرو وسفيان بن عيينة من وقف عند عثمان وعلي فهو شيعي لا يعدل ولا يكلم ولا يجالس ومن قدم عليا على عثمان فهو رافضي قد رفض آثار أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ومن قدم الأربعة على جميعهم وترحم على الباقين وكف عن زللهم فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب

هنا الكلام على الروافض وقد فصلنا القول عن الروافض وأنهم كفروا وخرجوا من الإسلام من أكثر من باب ،في كتاب الروافض عقيدة وتاريخ ، والواقع الأن يشهد لذلك وعلى هذا فإنها لا تدخل في الشيعة في أول الكلام الذي ذكره عن ابن المبارك في الفرق الأربع، لأن الرافضة خرجت من الملة بعدة أمور منها القول بالرجعة، ومنها كذبها على الرسول ﷺ كذبًا صريحًا، وخرجت من الملة بنسبتها البهتان إلى أزواج رسول الله ﷺ، لأنه قدح في عرض النبي ﷺ، ثم إنها خرجت من الملة بتكفيرها للصحابة، وبردها للسنة ردًا مطلقًا، وهي المصدر الثاني من مصادر الدين.

ثم خرجت الرافضة بزعمها العصمة للأئمة وأنهم سيرجعون ،فالرافضة يقولون هناك اثنا عشر إماماً نص عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، أولهم

علي ثم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين هؤلاء ثلاثة، ثم التسعة الباقون من سلالة الحسين وهم علي بن الحسين زين العابدين ثم محمد بن علي الباقر ثم جعفر بن محمد الصادق ثم موسى بن جعفر الكاظم ثم علي بن موسى الرضا ثم محمد بن علي الجواد ثم علي بن محمد الهادي ثم الحسن بن علي العسكري ثم المهدي المنتظر محمد بن الحسن الذي دخل سرداب سامراء في العراق سنة ستين ومائتين.

فالرافضة يقولون :إن هؤلاء الأئمة معصومون، وإن النبي صلى الله عليه وسلم نص عليهم وإنهم الخلفاء من بعده إلا أن أهل السنة ارتدوا وكفروا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وحرفوا النصوص وولوا أبا بكر ثم عمر ثم عثمان؛ لأنهم كفار.نسأل الله السلامة.

ثم كفرت الرافضة بموقفها العام من المسلمين، فإن الرافضة تتفق على أنها على غير دين المسلمين، ويعدون المخالفة من دينهم، وهم يسمون أنفسهم المسلمين، ويسمون أهل السنة الناصبة، ويسمونهم بأسماء أخرى، فهم بكل صراحة قد أخرجوا أنفسهم من الملة.
ولذلك أنا أعجب من تردد بعض طلاب العلم في مسألة الرافضة الآن! أناس لا يريدون الإسلام الذي نريده ونتعبد الله به، فلماذا يقحمهم بعض الناس فيه؟ وأنا وجدت في الآونة الأخيرة نصًا لأحد علمائهم يقرءونه ولا ينكرونه، يقول ما معناه: إن الرب الذي يدّعي الناصبة أنه أباح للنبي ﷺ الزواج بـ عائشة هو غير ربهم، فهذا كلام نعمة الله الجزائري إمام الأئمة، وله كتاب آخر يدّعي فيه أن القرآن محرّف، وهو كتاب مشهور عندهم، وبعضهم ينكر ذلك، ولكن أنا لا أستبعد أن إنكار الكتاب من باب التقية.
فإذًا: الرافضة كما قال الشيخ كفروا بالله العظيم، وذكر أصلًا واحدًا من الأصول التي كفروا بها، وهي كثيرة، وكل واحد منها فيما أعلم وحسب كلام الأئمة المجتهدين كاف للقول بأنهم رافضة، ومن أخفاها على الناس القول بالبدا، حيث يرون أن الله يبدو له أمر آخر فينكشف له ما لم يعلمه من قبل، ولذلك فسّروا كثيرًا من الأشياء التي هي معضلة عليهم بذلك، مثل: جعل عائشة بنت أبي بكر تحت النبي ﷺ، وأيضًا حفصة بنت عمر، ولماذا

كان الصحابة أصحاب رسول الله ﷺ ثم بعد ذلك كفروهم وقالوا: لا يليقون بأنهم أصحاب النبي ﷺ كل هذا يفسّرونه بأنه بدا الله، أي انكشف له أن الصحابة لا يستحقون ذلك، فهذا واحد من الأصول المغمورة عند الرافضة، فكيف بالعقائد الشهيرة! ومن ذلك: قولهم بنقص القرآن وتحريفه، ويعتقدون عقيدة المهدية والرجعة، وأنه سيظهر قرآن آخر غير الذي نتلوه، وهو مصحف فاطمة، وكلهم يعتقدون هذا، صحيح أن بعضهم يموّه على أهل السنة ويقول: نحن نعرف أن هذا القرآن الذي بين أيدينا غير محرف، لكن يعتقدون أن هناك قرآنًا آخر، وغالبيتهم يرون أن هذا القرآن نفسه محرّف ومنقوص ومزيد، لكن بعضهم يموّه على بعض.

١٢٤ – والسنة أن تشهد للعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالجنة أنهم من أهل الجنة لا شك فيه ولا تفرد بالصلاة على أحد إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم وعلى آله فقط وتعلم أن عثمان قتل مظلوما ومن قتله كان ظالما فمن أقر بما في هذا الكتاب وآمن به واتخذه إماما ولم يشك في حرف منه ولم يجحد حرفا منه فهو صاحب سنة وجماعة كامل قد كملت فيه الجماعة ومن جحد حرفا مما في هذا الكتاب أوشك في حرف منه أو شك فيه أو وقف فهو صاحب هوى ومن جحد أو شك في حرف من القرآن أو في شيء جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم لقي الله مكذبا فاتق الله واحذر وتعاهد إيمانك

وكذلك من السنة والسلامة من البدعة والهوى أن تشهد لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ومنهم العشرة الكبار أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيدة عامر بن الجراح وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فهم من أهل الجنة قطعاً لا شك فيه ،وكذلك من السنة أن لا تصلى إلا على النبي صلى الله عليه وسلم ،ولا تخص على رضى الله عنه بالصلاة دون غيره ،والسنة أنه يجوز أن تصلى على المسلمين وتقول اللهم صلى على فلان أو بنى فلان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(اللهم صلى على أبى أوفى) وغير ذلك فالأصل الجواز لكن المحذور التخصيص ،ونعتقد أن عثمان رضى الله عنه قتل مظلوما وقاتله ظالم له ،فذو النورين عثمان شهيد البررة قتيل

الفجرة ،والمؤلف لا يقصد تزكية نفسه وكتابه ويجعله معصوماً وحاكما على الصلاح والفساد ، ولكن يقصد أن هذا الكتاب فيه عقائد ومذهب أهل السنة والجماعة وما كان عليه الصحابة والقرون المفضلة ، فمن أنكر منه حرفا ،يعنى أصلا ،والحرف يطلق في اللغة على الأصل وليس الحرف المعهود المعروف ،وبهذا يستقيم كلام المؤلف أن من أنكر من هذا الكتاب حرفاً يعنى أنكر منه أصلا فليس بمسلم ،فهو بالجملة على الصحة والسلامة ولكنه ليس معصوما وليس كل مافيه قرءاناً وسنة فقط ، لذلك يحمل كلام المصنف رحمه الله على مافيه من حق وصواب موافق للسنة والكتاب

١٢٥ – ومن السنة أن لا تطيع أحدا في معصية الله ولا الوالدين والخلق جميعا ولا طاعة لبشر في معصية الله ولا يحب عليه أحدا واكره ذلك كله لله

وهذا تقدم أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ،مهما كان هذا المخلوق ،ولا يحب مثل حب الله ولا أكثر من حب الله ،وهذا أصل عند أهل السنة والجماعة

١٢٦ - والإيمان بأن التوبة فرض على العباد أن يتوبوا إلى الله عز و جل من كبير المعاصي وصغيرها

وهذا أصل كبير ومقصد جليل من مقاصد الدين التوبة من كل ما يخالف الإسلام ،والتوبة من كل الذنوب والأثام ، ومعاملة الجميع بخلق الإسلام ،هذا هو الهدف من العلم وختام هذه الرسالة الالتزام بخلق الإسلام ليس فقط التمسك بالتوحيد والعقيدة فقط ثم نرى الفسق والفجور في الخصومات والتهاون في السنن الرواتب وسوء الاخلاق وبذاءة اللسان والسب والشتم لخلق الله وسوء معاملة الناس ،فيه إساءة لأهل السنة فيجب التمسك بخلق الإسلام والمحافظة على مكارم الاخلاق ومجاهدة النفس على العمل بالسنة ظاهرا وباطنا ،حتى ننصر دين الله بفعالنا كما نصرناه بأقوالنا ،ومن ذلك المسارعة بالتوبة والاستغفار والندم على التقصير

١٢٧ - ومن لم يشهد لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه و سلم بالجنة فهو صاحب بدعة وضلالة شاك فيما قال رسول الله صلى الله

عليه و سلم قال مالك بن أنس من لزم السنة وسلم منه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم مات كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وإن قصر في العمل وقال بشر بن الحارث السنة هي الإسلام والإسلام هو السنة وقال الفضيل بن عياض إذا رأيت رجلا من أهل السنة فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وإذا رأيت رجلا من أهل البدع فكأنما رأيت رجلا من المنافقين وقال يونس بن عبيد العجب ممن يدعو اليوم إلى السنة وأعجب منه المجيب إلى السنة وكان ابن عون يقول عند الموت السنة السنة وإياكم والبدع حتى مات

من هنا إلى أخر الكتاب في الحث على التمسك بالسنة والعمل بها وترك البدع وهجر أصحابها فإن التمسك بالسنة نجاة ،وبهذا ختم المؤلف رسالته النافعة في بيان معتقد أهل السنة والجماعة في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات قولا وعملا ظاهرا وباطنا

١٢٨ - وقال أحمد بن حنبل مات رجل من أصحابي فرئي في المنام فقال قولوا لأبي عبد الله عليك بالسنة فإن أول ما سألني ربي عز و جل عن السنة وقال أبو العالية من مات على السنة مستورا فهو صديق والاعتصام بالسنة نجاة

وقال سفيان الثوري من أصغى بإذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووكل إليها يعني إلى البدع

كل ذلك يدخل في عبارات السلف في النهي عن البدع والتحذير منها على سبيل الوعيد والردع وحماية السنة والوقاية من البدعة، فهي أشبه بنصوص الوعيد التي يراد بها الزجر، وليست على وجهها من كل جانب، والمعنى أن بعض العبارات فيها قسوة أو فيها حكم مغلّظ، وهذا كله على سبيل الزجر؛ لأن السلف يجعلون هذا من وسائل حماية الأمة من البدع.

فإذًا الآثار الآتية عن السلف التي في النهي عن البدع ووصف أهلها ببعض الأوصاف الصعبة جاءت على سبيل الردع والحماية والوقاية وعلى سبيل الوعيد.

١٢٩ – وقال داود بن أبي هند أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى بن عمران لا تجالس أهل البدع فإن جالستهم فحاك في صدرك شيء مما يقولون أكببتك في نار جهنم

١٣٠ – وقال الفضيل بن عياض من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة
وقال الفضيل بن عياض لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة وقال الفضيل بن عياض من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه وقال الفضيل بن عياض من جلس مع أصحاب بدعة في طريق فجز في طريق غيره
وقال الفضيل بن عياض من عظم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله عز و جل على محمد صلى الله عليه و سلم ومن زوج كريمته مبتدع فقد قطع رحمها ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع
وقال الفضيل بن عياض آكل مع يهودي ونصراني ولا آكل مع مبتدع وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد

وقال الفضيل بن عياض إذا علم الله عز و جل من الرجل أنه مبغض لصاحب بدعة غفر له وإن قل عمله ولا يكن صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا نفاقا ومن أعرض بوجهه عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيمانا ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة فلا تكن صاحب بدعة في الله أبدا انتهى

وقول الفضيل رحمه الله(**ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة)** فيه نظر

فهو قطع لا ينبغي ولو قال أرجوا من الله أن يؤمنه من الفزع الأكبر لكان حسنا موافقا لأصول أهل السنة ولكن على اطلاقه هذا يجب التنبيه عليه حتى لا يغتر أحد به لأنه معظم للفضيل وهو من هو في الإسلام ولكن هو ليس كمعصوم ومثل هذه الاطلاقات يتلقفها بعض الطلبة أو القراء ممن لم تثبت أقدامهم في العلم فيفهمونها على غير مرادها اغترار بمنزلة قائلها

ومثله قوله (**من أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة**)فهذا يحتاج إلى دليل ولا دليل خاص في ذلك .

المقصود في نهاية شرح هذه الرسالة أن نعتصم بالكتاب والسنة ونعمل ونجتهد في الدعوة ونشر التوحيد والسنة بين الناس قدر استطاعتنا ونحذر من البدع وأهلها نصحاً للأمة وأداءً لأمانة العلم نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح وأن يرزقنا الصدق والإخلاص في القول والعمل وأن يثبتنا على الحق ويمسكنا بالإسلام حتى نلقى الله على التوحيد والسنة وبهذا نكون قد أنهينا الكتاب الأول في هذه الدورة العلمية السابعة في عامها الثانى على التوالي ،وغذا أن شاء الله نبدأ في الكتاب الثانى من الكتب المقرر شرحها في هذه الدورة وهو كتاب الفصول في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام للإمام بن كثير رحمه الله

وهذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى أله وصحبه وسلم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا انت استغفارك واتوب اليك

عبد الله الغليفي

رحمه الله وغفر له